

أوقاف الحرمين
في الدولة العثمانية
في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين

مصطفى گولار

ترجمة الدكتور/ **محمد حرب**

مركز التاريخ العربي للنشر

أوقاف الحرمين في الدولة العثمانية
ترجمة الدكتور/ محمد حرب
مركز التاريخ العربي للنشر



مركز التاريخ العربي للنشر

www.arabhistorypublishing.com

أوقافُ الحرمين في الدّولة العثمانيّة

في القرْنين السّادس والسّابع عشر الميلاديّيْن

الدّكتور مصطفى كولار

ترجمة

الدّكتور/ محمّد حرب

الطبعة الأولى 1
1440 هـ / 2019 م

اسم الكتاب : أوقافُ الحرمين في الدّولة العثمانيّة في القرْنين السّادس والسّابع عشر الميلاديّيْن
اسم المؤلف : مصطفى كولار
اسم المترجم : محمّد حرب
موضوع الكتاب : تاريخ
عدد الصفحات : 333 صفحة
مقاس الكتاب : 17 x 24 سم
الترقيم الدولي : 978-977-278-752-4
تصميم الغلاف : أحمد الخولي
الإخراج الفني : صفحات لخدمات دور النشر



مركز التاريخ العربي للنشر
Arab History Publishing
التوزيع والنشر
6/11 شارع وحيد أفندي - حي توفيق بيك - كوجوك حكمجة - اسطنبول - تركيا - ت: 00905454886870
هاتف: 00201555566139 - 00201027013326
E-mail: info@arabhistorypublishing.com
Websit: www.arabhistorypublishing.com

المقدمة

عن المصادر

يجبُ على مَن يريد أنْ يثبت الخدماتِ التي قدّمت للحرمين في القرنين السّادس عشر والسّابع بأبعادِها الحقيقة أنْ يقيّم وثائق ووقفيّات الأرشيف، وتوجد معظمُ الوثائق المتعلّقة بهذا الموضوع في أرشيف المديرية العامّة للأوقاف، والأرشيف العثماني التّابع لرئاسة الوزراء، وأرشيف متحف طوب قابي سراي ومكتبته، ومكتبة السّليمانية التي تضمّ الكثيرَ من المؤلفات المخطوطة، ومكتبة بايزيد وكوبرولو، والمكتبة القوميّة، ولا شكّ في أنّ الوقْفيّات التي خصّصت للحرمين تشكّل أساسًا لهذه الدراسة.

أرشيفُ المديرية العامّة للأوقاف:

وتوجد في هذا الأرشيف وقْفيّاتٌ لأوقاف كثيرة أسّست في القرنين السّادس والسّابع عشر، أو الوقْفيّات التي أسّست قبل ذلك، ولا تزال شروطُها ومصادر دخلِها مستمرّة. (إلّا أنّ هناك اختلافًا بين الفهارس التي صنّفت قبل ذلك وبين نتيجة تصوير الوثائق الموجودة في صفحة توضيح التّصنيف حاليًا، ولم يتمّ حتّى الآن عملُ فهارس لها)، ولم يقتصرِ الأمرُ على الوقْفيّات فقط في الأرشيف بل توجد- أيضًا- الوثائقُ المتعلّقة بتطبيقات الوقف، والحجج والأحكام المنظّمة لبعض الأوقاف، ولأنّ الوقْفيّات المكتوبة باللغة العربية تمّت ترجمتها في السنوات الأولى للجمهورية؛ فإنّ الوقْفيّات الخاصّة ببدايات القرن السّابع عشر لها نصٌّ عربي وآخر تركي[1].

---

[1] – على سبيل المثال الصورة العربية لوقفية لاله مصطفى باشا موجودة في دفتر رقم ٧٤٧ (ص ١٥٩– ١٦٤)، ترجمتها التركية موجودة في دفتر رقم ٢١٣٤.

فهارسُ نظارة الأوقاف الهمايونيّة بالأرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء

يوجد في هذا التّصنيف ١٣٠١ وقفيّة تأسّست معظمُ أوقافها في استانبول وما حولها في الفترة من ٤٤٠- ١٠٤٨/١٣٣١- ١٩١٣ م، وإلى جانب الوقْفيّات المتعلّقة بفترة موضوعنا بشكلٍ مباشر، توجد- أيضًا- وقْفيّات لأوقاف كانت موقوفةً في بادئ الأمر لذريّة الواقف، ثمّ اشترطت للحرمين بعد فناء تلك الذرية.

أرشيفُ متحف طوب قابي سرايى ومكتبته:

إنّ أرشيف متحف طوب قابي سرايى ليس أرشيفًا للدّولة بل هو أرشيف للقصر، وينقسم التصنيف الموجود به إلى قسمين: الدّفاتر ويرمز لها برمز D، والأوراق ويُرمز لها برمز E، أي التي صنّفت على شكل الوثائق، وعلى هذا يوجد بالأرشيف ١٠.٧٢٦ دفترًا، و ١٢.٢٧٤ وثيقة، وبعض الوثائق والوقفيات الهامّة للغاية، والتي لها علاقة مباشرة بموضوعنا، وتوضّح في نفس الوقت تأسيسَ نظارة الأوقاف الهمايونيّة، والأحكامَ الخاصّة بتشغيلها وإعفائها من الضرائب؛ محفوظةً في هذا الأرشيف، أمّا مكتبة القصر فتوجد بها الكثيرُ من المخطوطات الأصلية، والوقفيّات الأصلية ودفاتر الصّرّة والمحاسبة المتعلّقة بدراستنا هذه.

كما يوجد الكثيرُ من الوقْفيّات الأصلية في المكتبات مثل مكتبة ملتْ وبايزيد وكوبرولو، وعلى رأسهم مكتبة السليمانيّة التي تضمّ مخطوطات كثيرة، على سبيل المثال وقفية "طورخان والدة سلطان" مسجّلة برقم ١٥٠ بقسم "طورخان والده سلطان" بالسّليمانية، ووقفيّة الفهرس السّلطاني التي توضّح أوقاف مسيح باشا مسجّلة برقم ٧٢ بقسم مسيح باشا بالسّليمانية، أمّا وقْفيّات "خوّرم والده سلطان" و" مهرماه

سلطان" فموجودة بمكتبة ملتْ، ووقفيّات "كوسم سلطان" و"صقوللو محمد باشا" فموجودةٌ بقسم على أميري بمكتبة ملتْ، أمّا وقْفيّات عائلة كوبرولو فموجودة بمكتبة كوبرولو، أمّا الموجود بمكتبة بايزيد فهي وقْفيّات بَرْتو محمد باشا ووقفية القانوني لكسوة الكعبة، ومن المعروف أنّه توجد بمكتبة السليمانية- أيضًا- صور للكثيرِ من الوقْفيّات التي كُتبت بين المؤلّفات المختلفة، وخاصة الوقْفيّات الموجودة بقسم المخزن غير المصنّف.

وتوجد معلوماتٌ قيّمة تتعلّق بأوقاف الحرمين في الدّفاتر والوثائق الموجودة في التّصنيفات المختلفة للأرشيف العثماني التّابع لرئاسة الوزراء. وتلك هي التّصنيفات الموجودة:

دفاترُ الصّرّة بنظارة الأوقاف الهمايونيّة بالأرشيف العثماني: (BOA)

يوجد في فهارس دفاتر الصّرّة بالأرشيف العثماني ٤.١٧٠ دفترًا نظّمت في الفترة ١٠٠٩-١٣٢٧هـ / ١٦٠٠- ١٩٠٩م.

٤٢٩ دفترًا منها تتعلّق بموضوعنا بشكل مباشر لأنّها نظّمت في الفترة ١٠٠٩-١١٠١هـ/ ١٦٠٠-١٦٩٠م.

دفاترُ الحسابات بنظارة الأوقاف الهمايونيّة بالأرشيف العثماني (BOA):

ويوجد مِن هذه الدّفاتر ٦٠٠ دفترًا تقريبًا، موضوعُها تسجيل محاسبة الأوقاف ومخصّصات الرّواتب، ومحاسبات الأوقاف عن الفترة ٩٣٥- ١٢٤٢هـ/ ١٤٢٨- ١٨٢٦م، والدّفتر الذي يحمل عنوانَ دفتر محاسبة نظارة الأوقاف الهمايونيّة من هذه الدّفاتر لا يختصّ بالأوقاف المؤسّسة لخدمة الحرمين فحسب، بل يشمل- أيضًا- محاسبة كلّ الأوقاف التابعة للنظارة.

الدّفاتر المدوّرة من نظارة الماليّة بالأرشيف العثماني (BOA):

في عام ١٩٤٥م تمّ تحويل ٢٣.٨٨١ دفترًا من نظارة المالية، تمّ تصنيف ٦.٩٥٩ دفترًا منها تخصّ الفترة ٨٣٠- ١٣٤٦هـ/ ١٤٢٧- ١٩٢٧م، وصنفت على ترتيبٍ زمني، ويوجد بتلك الدّفاتر موضوعات مثل الاتجاه المالي للأوقاف، وتحرير الأوقاف، وشئون القصر، ورواتب الإنكشارية، وتوجد بعض الدّفاتر تضمّ معلوماتٍ قيمةً جدًّا متعلقة بموضوعنا من بين هذه الدفاتر، على سبيل المثال دفتر المحاسبة أوقاف الحرمين المرقوم برقم ١٨٠٦ يحتوي على أسماء أوقاف الحرمين التي تأسّست حتّى نهايات القرن السادس عشر، وشروط تلك الأوقاف ودخلها السّنوي بشكل مختصر.

والمُحاسبات السّنوية لأوقاف الحرمين في دفاتر المحاسبة الموجودة بالأرشيف ومكتبة ومتحف طوب قابي سراي وفهارس "كامل كبة جي"، ودفاتر قلم حسابات الحرمين.

دفاترُ تحرير الطابو:

دفاترُ تحرير الطابو هي الدّفاتر المنظّمة لتوضيح تسجيل أراضي البلدان المفتوحة حديثًا، وتثبيت نظام التّصرف والملكية للأراضي، ونسبة الضرائب التي ستحصّل من تلك الأراضي، وكانت تلك الدّفاتر تنظّم من قِبَل أمناء التحرير، وبلغ عددُ هذه الدّفاتر الخاصّة بالفترة ٧٠٢-١٣٠٠هـ/ ١٣٠٢-١٨٨٣م بالأرشيف العثماني ١٠٩٤ دفترًا، أمّا عددُها بأرشيف القيود القديمة فبلغ ٢١٧٠ دفتر تحرير الطابو.

قسمٌ منها يعتبر دفترَ تحريرٍ مستقلّ للأوقاف، كما يمكن مصادفة تحريرات الأوقاف في بعض الدّفاتر المُنفصلة، ونادرًا ما يوجد دفترُ تحرير لوقف واحد، من ذلك على سبيل المثال دفترُ تحرير أوقاف الحرمين الشريفين للوالدة سلطان المرقوم

برقم ٨١٢ بدفاتر تحرير الطّابو بالأرشيف العثماني، وبخلاف هذا توجد وقْفيّات بين الدّفاتر الأخرى منها مثلًا وقفيّة عثمان أغا المرقومة برقم ٨٩٤.

دفاترُ المهمّة:

كانت كلّ الشئون المالية والإدارية والشرعية والسياسية وشتى مختلف الشّكاوى والدّعاوى في الدّولة العثمانيّة تُنظَر في الدّيوان الهمايوني، ويتّخذ فيها قرار، وكانت كلّ الأقلام الإدارية في مركز الدّولة وكذا القرارات الهامّة المتّخذة في الدّيوان الهمايوني ترتّب في دفترٍ على شكل الشّفرة بواسطة رئيس الكتاب أطلق عليه دفتر المهمّة نظرًا لأهمية ما فيه.

وكان بهذه الدّفاتر كلّ الخصائص الهامّة في الدّولة من تاريخٍ للحروب، والمصادر القانونية والشّرعية للأعمال، إلى جانب شكل العمل، وكذا البناء الإداري والعسكري سواء في مركز الدّولة أو في التّشكيلات الخارجية، كما كانت هذه الدّفاتر تضمّ الموضوعاتِ الهامّةَ مثل النّشاطات الفكرية والعلمية والعلاقات مع رعايا الدّولة في الخارج، ويبلغ عدد دفاتر المهمّة ٢٦٦ دفترًا، خاصّة بالفترة ٩٦١- ١٣٢٣هـ/ ١٥٥٣- ١٩٠٥م، وتوجد بها وثائقُ كثيرة للغاية تتعلق بموضوعنا هذا، ويمكن رؤيةُ وثائق كثيرة في هذه الدّفاتر تتحدّث عن إدارة الأوقاف وتوصيل دخل تلك الأوقاف إلى أماكنها، والقضاء على كلّ العقبات التي يمكن أنْ تصادف أثناء توصيل تلك الأموال إلى أماكنها المحدّدة، كما يوجد بتلك الدّفاتر التّنظيمات التي تمّت في مكّة والمدينة كإدارة الحج، وطريق الحج، وتلبية احتياجات أهالي مكّة والمدينة الذين يطلبون حلّ أيّة مشكلات لهم، أمّا الدفتر الذي يضمّ الوثائق التي نحتاج إليها في موضوعنا هذا فهو الدفتر رقم ٩٨ [٢].

---

[٢] – أوّلُ دفتر للمهمّة يخصّ الفترة ٩٦١- ٩٦٢هـ/ ١٥٥٣- ١٥٥٤م، أمّا آخر دفتر للفترة التي نعملُ بها فرقمُه ٩٨ وتاريخه ١١٠٠هـ ١٦٨٩م، للاطّلاع على الدّفاتر وقوائمها انظر: دليل فهارس الأرشيف العثماني، أنقرة ١٩٩٥، ص ١٩٠- ٢٠٨.

تصنيف علي أميري بالأرشيف العثماني (BOA):

هو اسم التّصنيف الذي تمّ في الفترة فيما بين أعوام ١٣٣٦- ١٣٣٩هـ/ ١٩١٨- ١٩٢١م، من قبَل هيئة كان رئيسها علي أميري(وفاة ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م)، وقد رتّبت الوثائق في هذا الفهرس على حسب السّلاطين الذين اعتلوا العرشَ العثماني، والوثائق الخاصّة بالعهود الأولى قليلة للغاية، ثمّ تبدأ في الزيادة اعتبارًا من عهد السّلطان محمد الرّابع، وتتكوّن معظم الوثائق المتعلّقة بموضوعنا من الرّسائل المسمّاة "توجيه نامة"، حيث توجد بعض دفاتر الصّرّة الخاصّة بعهد محمد الرّابع، وكذا تسجيلات للمحاسبة الخاصّة بأوقاف الحرمين، هذا بالإضافة إلى أنّ المعلومات التي قدّمها أوليا جلبي في رحلته عن مكّة والمدينة اللّتيْن قضى بهما سنتيْن تعدّ معلومات مفيدة وقيّمة للغاية عن الأوقاف التي تأسّست للحرمين وعن الخدمات التي تمّت على طول طريق الحج.

كما توجد معلوماتٌ أصلية عن الخدمات التي قام بها السّلاطين ورجال الدّولة للحرمين والتّنظيمات التي تمّت للحجّ في كتب المؤرّخين أمثال عاشق باشا زادة (وفاة ٩٠٦/ ١٥٠٠م) ونشري (٩١٨/ ١٥١٢م) وكمال باشا زاده (٩٤١- ١٥٣٤م) وخوجه سعد الدين أفندي (١٠٠٨- ١٥٩٩م) وصولاق زاده (١٠٦٨- ١٦٥٧م) ونعيما (١١٢٨- ١٧١٦م).

وعندما عرّف أيوب صبري باشا (وفاة ١٣٠٨- ١٨٩٠م) بمدينتي مكّة والمدينة في كتابه مرآة الحرمين[٣] تناول بشكل مفصّل التجديدات والفعاليات التي قامت بها الإدارة العثمانيّة، وكذا نشاطات الأوقاف في الحرمين، أمّا محمد أمين المكّي في كتابه آثار الخلفاء العظام وسلاطين آل عثمان المبرورة والمشكورة في

٣ - استانبول ١٣٠١- ١٣٠٤/ ١٨٨٤- ١٨٨٧.

الحرمين الشّريفين[٤] فقد تناول الآثار التي أسّسها السّلاطين العثمانيّون في الحرمين الشّريفين بدءًا من عهد سليم الأوّل وحتّى عهد عبد الحميد الثاني.

وقد استخدمنا- أيضًا- الدّراسات الحديثة التي تمّت بناءً على الدّفاتر المختلفة كدفاتر تحرير الطّابو ودفاتر تحرير الأوقاف والإجمال وعلى رأسها دفتر تحرير لواء خداوندكار[٥] دفتر تحرير أوقاف استانبول[٦] التي نشرها عمر لطفي بارقان (١٩٠٤- ١٩٧٩م)[٧].

٤ – استانبول ١٣١٩/ ١٨٩٩م.

٥ – أنقرة ١٩٨٨.

٦ – استانبول ١٩٤٢.

٧ – طيب كوك بيلكين، أوقاف أدرنه، والخاص والمقطعة، استانبول ١٩٥٢، عدنان كوربوز، سنجق أماسيا في القرن السادس عشر في إطار علاقات ألأوقاف، رسالة دكتوراه غير منشورة من معهد العلوم الاجتماعية بجامعة أنقرة، أنقرة ١٩٩٣، ناظم قوراجان دفتر تحرير طابو سنجق قسطموني في القرن السادس عشر، رسالة ماجستير غير منشورة من معهد العلوم الاجتماعية بجامعة استانبول، استانبول ١٩٩٥؛ ألباي بيزبيرليك، الأوقاف في إمارة ديار بكر في أواسط القرن السادس عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد العلوم الاجتماعية بجامعة سيواس، قونية ١٩٩٥.

المختصــرات

دفتر سبق ذكره	a.g.d
مصدر سبق ذكره	a.g.e
مقالة سابقة	a.g.m
وقفية سابقة	a.g.v
مجلة كلية الإلهيات جامعة أنقرة	AÜIFD
تصنيف علي أميري بالأرشيف العثماني	Ali Emiri
الأرشيف العثماني رئاسة الوزراء	BOA
محاسبات الحرمين/ الأرشيف العثماني	D.HMH
أوقاف المدينة المنورة	MDMN
الموسوعة الإسلامية وقف الديانة التركي	DIA
حسابات أوقاف الحرمين بالأرشيف العثماني	EV.HMH
دفاتر الصّرة، نظارة أوقاف الحرمين بالأرشيف العثماني	EV.HMK.SE
فهرس الوقفيات، نظارة أوقاف الحرمين بالأرشيف العثماني	EV.VKF
الموسوعة الإسلامية وزارة التعليم العالي	IA
الحضارة الإسلامية	IM
تصنيف كامل كبة جي، بالأرشيف العثماني	Kamil Kepeci
أرشيف القيود القديمة بالمديرية العامة للطابو	KKA
الدفاتر المدورة من المالية، الأرشيف العثماني	MAD
دفاتر المهمّة، الأرشيف العثماني	MD
المؤلفون العثمانيون	OM
مجلة الأبحاث العثمانية	OAD
مجلة أبحاث التاريخ العثماني جامعة أنقرة	OTAM
سجل عثماني	SO

المدخـــــــل

أولا : مؤسّسة الوقف

١- معلومات عامّة عن الوقف

الوقفُ مصدرٌ من صيغة الفعل الماضي "وقف"، ويأتي بمعنى الوقوف أو التوقّف (١).

أمّا الوقفُ في الاصطلاح: فهو أنْ يقوم أحدُ الأشخاص بوقف ملكيّة عينٍ له كأرض أو بناء أو مال أو بضائع؛ لله تعالى بالمعاملة الشّرعية على أنْ تكون منفعةُ تلك العين للناس للفوز برضا الله (٢).

وتستخدم لفظتا الحبس والصّدقة اللّتان تؤدّيان نفس معنى كلمة الوقف بكثرة في الفقه الإسلامي، وكلمة الحبس هي المرادف لكلمة الوقف من حيث المفهوم والمعنى.

أمّا الصّدقة بمعناها الذي يفيد "كلّ أنواع المساعدات المادية والمعنوية قليلة كانت أو كثيرة سرًّا كانت أو علانية"؛ فهي أشمل من المعنى الذي تفيده كلمتا الوقف والحبس، وأحيانًا تستخدم تلك الكلمات مكانَ بعضها البعض.

وتلك هي بعضُ الكلمات التي تستخدم بكثرة مع كلمة الوقف ومعانيها:

الواقف: وهو الشّخص الذي يقوم بوقف الشيء.

الموقوف: وهو الشّيء الموقوف نفسه وقيمتُه الموضوعة في الوقف.

الموقوف له: أي الشّيء الذي خُصّص له الوقف.(٣).

الهدف من الوقف: ضمان المحافظة على الأوقاف الموجودة(٤)، وتلبية الاحتياجات المادية والمعنوية والدينية لذوي الحاجة، وتأمين تعلّمهم العلوم اللازمة في حياتهم.

شروطُ الوقف: يجبُ لصحّة الوقف أنْ تحقّق فيه شروط هي:

١- أنْ تكون شروط الوقف موافقةً لقواعد وأسس الشريعة الإسلامية.

٢- ألّا يكون تحقّق تصرّف الوقف مربوطًا بشرطٍ ووقت محدد.

٣- أن يكون الوقف مسجّلًا من قبل الدّولة حتّى يكون معتبرًا.
٤- أن يكون الشيء الموقوف من عيْن أو عقار أو مال مبيّنًا ومعلومًا([٥]).

١- نشأةُ الوقف

عندما نلقي نظرةً على الأنظمة التي كانت موجودةً قبل الإسلام أو الأنظمة غير الإسلامية يُمكننا

رؤية بعض المؤسّسات التي كانت تقدّم نفس الخدمات التي قدّمها الوقف بعد ذلك، ففي بابل كان يوجد قاعدة تشبه قاعدة حقّ "الانتفاع"، وفي مصر القديمة كانت توجد خدماتُ المعبد، وفي روما "مفهوم الأشياء المقدسة [٦]"، وعند التّرك القدامى كان يوجد عندهم عادة "الولائم" كما كان يوجد بالأدب الأيغوري نصوصٌ[٧] تشبه الوقفيات.

وقد أقام سيدنا إبراهيم- عليه السلام- طرقَ الحجّ، وعمّر بئر زمزم، وأنشأ الطّرق المائية في مكّة[٨]، وكان لقبيلة قريش قبل الإسلام اهتمامًا كبيرًا ببعض الخدمات التي تشبِه الوقف كالسدانة والسقاية والحجابة [٩].

وكان يوجد في أمريكا وأوروبا مؤسّسات تشبه الوقف، ومؤسّسات وقفية لكنيسة فرنسا، كما كان للأمريكان مؤسّسات يطلقون عليها مؤسّسات الضّمان [١٠] أو الاعتماد[١١]، وكلّ واحدة منها بمثابة نموذج للأوقاف خارج الإسلام[١٢]، إلّا أنّ كلّ تلك النماذج لا تظهر لنا أنّ تلك الأنظمة غير الإسلامية أو تلك الأنظمة التي كانت موجودةً قبل الإسلام كان لها دورٌ في نشأة الوقف في الإسلام؛ لأنّ مؤسسة الوقف نشأت وتطوّرت بالمفهوم الإسلامي، واستقت كلّ قواعدها وأنظمتها وأصولها من المصادرِ الأساسية للإسلام، ففي القرآن الكريم الكثيرُ من الآيات التي تحمل أساسَ

مفهوم الوقف، فأحيانًا تأتي الآياتُ القرآنية للحثّ على الإنفاق والصدقة والتّسابق في الخيرات، وأحيانًا أخرى كانت تأتي بعد الأمر بالصّلاة[١٣]، وأحيانًا كانت تأتي مع شروط عمل الخير[١٤]، وأحيانًا بعد الإيمان بالله واليوم الآخر والصّلاة[١٥]، وأحيانًا مع أهميّة قراءة القرآن [١٦].

وأحيانًا كان ذكرُ[١٧] الوقف في القرآن يأتي بشكل مجرّد[١٨]، أمّا الآيات الكريمات التي تظهر العذاب الأليم لمَن يفرّون من الإنفاق في سبيل الله[١٩] فكانت تشكّل العوامل الأساسية لظهور مؤسّسة الوقف.

ومن منطلق هذه الأوامر القرآنية والحثّ القرآني على التسابق في الخير، سعى النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- وصحابتُه الكرام منذ اليوم الأوّل لظهور ونشأة الإسلام في إنفاق أموالهم وأرواحهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وقد جعل النبي- صلّى الله عليه وسلّم- أراضي قبيلة بني النضير التي أخرجت من المدينة بسبب نقضها المعاهدة التي عقدوها مع المسلمين بمثابة الوقف، وكانت تلك الأراضي هي الأعراف، الصفية، الدّلال، المسيب، البركة، الحسناء ومشربة أمّ إبراهيم [٢٠]، أمّا أراضي الفدك فهي بمثابة الوقف الثّاني للرّسول صلّى الله عليه وسلم[٢١]، والحديث الشّريف للنبي- صلّى الله عليه وسلّم- (إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية أو علمٍ ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) [٢٢] كان أحدَ العوامل الأساسيّة والهامّة لنشأة الوقف.

ولم يتأخّر سيدنا أبو بكر الذي كان من أغنى أغنياء مكّة في الأيام الأولى للإسلام عن تقديم أيّة مساعدات ماديّة لازمة لنشر الإسلام، فقد اشترى العبيد المسلمين الذين كانوا يتعرّضون للتعذيب على يد سادة قريش المشركين وأعتقهم

لوجْه الله، أمّا سيدنا عمر الذي اغتنمَ قطعة أرض نصيبًا له من الغنائم مثله مثل باقي المسلمين الذين اشتركوا في غزوة خيبر؛ فقد جاء للنبي- صلّى الله عليه وسلّم- وسأله عن كيفيّة التصرّف في تلك القطعة من الأرض التي اغتنمها بشكل يكون فيه خيرٌ، فأجابه النبي- صلّى الله عليه وسلّم- "إذا أردتَ فاحبس أصلها وتصدّق بمنفعتها"، لذا حبسَها (أوقفها) عمر ليستفيد منها الفقراء وذوو القربى والمساكين وأبناء السبيل ومَن هُم في سبيل الله بشرط عدم بيع أصل المال أو توريثه أو هِبَته[٢٣]، ويعدّ هذا الحبس الذي قام به عمر أوّلَ وقف في العالم الإسلامي، كما أنّه أوقف أرضه المسمّاة (سمك) والتي كان يحبّها كثيرًا، وقوبل تصرّفه هذا بالتّقدير من جانب الرّسول صلّى الله عليه وسلم[٢٤]، وهذا يظهر لنا الأهميّةَ التي أوْلاها سيدنا عمر لهذا الموضوع.

أمّا سيدنا عثمان فلعلّه الشخصيّة الأولى بين الصّحابة في مسألة التصدق، فقد أوقف مالَه المعروف باسم ابن أبي الحقيق في خيبر، وعيّن ابنه (أبان) متولّيًا على هذا الوقف [٢٥].

وإذا ما وضعنا نصبَ أعيننا أنّ الصحابةَ الأثرياء الآخرين كانوا يسعون لتأسيس الأوقاف فإنّنا سنعي من ذلك أنّ مؤسّسات الوقف انتشرت بين المسلمين منذ السّنوات الأولى للإسلام [٢٦]، وتوجد في المجموعة الفقهية لزيد بن علي (١١٢هـ ٧٤٠م) نصّ وقفيّة منسوبة لسيدنا علي بن أبي طالب[٢٧].

ومِن أبرز النماذج الأخرى لتأسيس الوقف على يدِ الصّحابة، وقف خالد بن الوليد الذي أوقف دروعَه وجياده الحربية، كما أوقف محيرق بن النضر كلّ أمواله من بعْدِه ليتصرّف فيها النّبي صلّى الله عليه وسلم، وينفقها في الأوجه التي يراها مناسبةً لصرفها [٢٨].

كما أوقفت زوجاتُ النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- اللاتي سماهنّ القرآن أمّهات المؤمنين قسمًا كبيرًا من حصصهنّ من الغنائم لذوي الحاجة سواء في حياتهنّ أو بعد مماتهنّ (٢٩).

والزّبير بن العوّام وزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير من الصّحابة الذين كانت لهم أوقافٌ في عصر النّبوة، وكلمة الصّحابي الجليل جابر بن عبد الله "لا أعرفُ شخصًا قطّ من المهاجرين أو الأنصار صاحب مال، فقد تصدّقوا بها وأوقفوها" (٣٠) خيرُ تعبيرٍ مشخّص عن مدى تطبيق الصّحابة لنظام الوقف.

والخلاصة أنّ الوقف مؤسّسة ظهرت مع الإسلام، إلّا أنها تأثّرت بالأنظمة المُشابهة لها، والتي كانت موجودةً قبل الإسلام كأيّ مؤسّسة تتطوّر في نفسها في فترة نشوئها وتطوّرها(٣١)، بل إنّها كانت أفيدَ وأنفعَ من تلك الأنظمة، وليس معنى هذا أنّها مؤسّسة من خارج الإسلام، بل على النّقيض لقد كانت مؤشرًا على أنّها مؤسّسة أكثر شمولًا وتطورًا (٣٢).

٢-أنواعُ الوقف

أ- الأوقافُ طبقًا لجهة الموقوف

الأوقافُ الخيريّة: وهي الأوقاف التي تأسّست بهدف الخدمات الخيرية كالجوامع والمدارس والأسبلة والعمارات والخانات وإطعام الفقراء.

الأوقافُ الذرّية: الأوقاف التي تأسّست بشروط محدّدة لمَن هُم من عائلة الشّخص الواقف(٣٣).

أوقافُ العوارض: الأوقاف التي تأسّست بهدف تأمين الإمكانيات والاحتياجات لأصحاب الحاجة في الأوضاع والأحوال غير المنتظرة (٣٤).

ب- الأوقافُ طبقًا لنوع المال

وقفُ العقارات: وهي الأوقاف التي تدرّ دخلًا كالأبنية والعقارات والحوانيت والمنازل، والحدائق والحقول.

الأوقافُ المنقولة: كوقف الأموال والألبسة والحيوانات.

وقفُ الإقطاع: وهي جعل الأراضي الممنوحة من الدّولة للأهالي كالإقطاع بمثابة الوقف.

ج- الأوقافُ طبقًا لإدارتها

الأوقافُ القديمة: اسمٌ يُعطى للأوقاف التي تأسّست دونِ أنْ يؤسّس لها إدارة خاصّة، بل تكون تابعة لإدارة وقفٍ أسّس حديثًا.

الأوقافُ المضبوطة: وهي الأوقاف التي تديرها الدّولة بشكل مباشر، وتنقسم إلى عدّة أنواع؛ كأوقاف السّلاطين، والأوقاف التي ليس لها متولي، والأوقاف الموضوع اليد عليها [٣٥].

الأوقاف غير المضبوطة: ويدخل ضمن هذا النّوع الأوقافُ الملحقة والمستثناة.

د- الأوقافُ طبقًا للملكية

الأوقافُ الصّحيحة: كأنْ يوقف الشخصُ شيئًا منقولًا أو غيرَ منقول في يده.

الأوقافُ الإرصادية: كأنْ يوقف الحاكم أو مجموعةُ أشخاص مالًا خاصًّا بالخزينة.

هـ- الأوقافُ طبقًا للإيجار

الأوقافُ ذاتُ الإيجار الواحد: وهي الأوقاف التي تؤجّر لفترة انتقالية.

الأوقافُ المقطعة: وهي وقف الأشياء الخاصّة التي تؤجّر على أرض ملك للواقف.

الأوقافُ ذات الإجارتيْن: وهي الأوقاف التي تؤجّر بإجارة مؤجّلة وأخرى مُعجّلة[٣٦].

٣ - الخدماتُ التي أسهمت بها الأوقاف في المجتمع الإسلامي

لمعرفة الخدمات التي قامتْ بها الأوقافُ في المجتمع الإسلامي ولفهم التطوّر الذي جلبه الوقفُ للمجتمع؛ علينا أوّلًا أنْ نحلّل الوقْفيّات الموجودة، وأن نكونَ على علمٍ بالبنية الاجتماعية والسياسية والثقافية للعهد الذي تأسّس فيه الوقف، كما أنّ إثبات الدّراسات التي تمّت في هذا الموضوع وتقييمها بشكل عام يعدّ خاصيةً أخرى تحمل أهميّة كبرى في توضيح المسألة[٣٧].

ويأتي التعليمُ والثقافة على رأس الخدمات التي أسْهمت بها الأوقاف للمجتمع، فقد رأينا تخصيصَ الأموال من كلّ الأوقاف لإنشاء الجوامع والمساجد التي تخدم التّعليم والثقافة، وتخصيص الرّواتب للموظّفين بهما من تلك الأوقاف أيضًا، وهذا هو أجملُ نموذج في هذا الشّأن: بلغ إجمالي إيرادات الأوقاف الموجودة بإيالة الأناضول[٣٨] في الفترة من عام ٩٣٧-٩٤٧هـ / ١٥٣٠- ١٥٤٠م ١٣.٦٤١.٦٨٤ أقجة[٣٩].

كان يشتغلُ بهذا المبلغ ١١٢ مدرسة، ٦٢٣ زاوية، ١٥٤ دار معلمين، ٤ دار الحفاظ، كما كان ١٢١ مدرّسًا، و٨٠٥٥ خادمًا يتقاضون أجورهم من نفس هذا المبلغ- أيضًا- [٤٠].

لقد أدّت الأوقاف- ومازالت تؤدّي- خدماتٍ كبيرة للغاية في مجالي العمران والعبادات، فكلّ أثرٍ من آلاف الآثار الخيرية التي أنشئت لخدمة الناس كالجسور والحمامات والأسبلة والخانات والجوامع والعمارات والأربطة والطرق؛ إنما هي أثرٌ لوقفٍ من الأوقاف.

وكان يُدار في إيالة الرّومللي في القرن السّادس عشر ٧١ خانًا و١٠٥٥ مسجدًا و ٣٤٢ جامعًا من دخل الأوقاف[٤١]، وكان هذا الرّقم مرتفعًا نسبيًّا في هذه الإيالة التي كانت تشتملُ على ١٧ لواءًا، كما أسّست المدن وعمرتْ بمساعدة الأوقاف، فقد عمرت مدينة الصّالحية القريبة من القاهرة بفضل الأوقاف التي أسّسها السّلطان سليم الأول بعد أنّ تسنى له فتح مصر، كما أعمرت المدن الرئيسية في الدّولة العثمانيّة وكبرتْ وتطوّرت كبورصة وأدرنه واستانبول وسليستره وأماسيا وسراي البوسنة ونَوْشهر بفضل الأوقاف- أيضًا- [٤٢].

وكان الوضعُ السّياسي للدّولة مؤثّرًا جدًّا في ترقّي وتقدّم الأوقاف التي أصبحت بمثابة المؤسّسة منذ عهد الخلفاء الراشدين، وأخذت في التقدّم والتطوّر بعد ذلك، كما كان يرى أحيانًا تأثير الأوقاف على إدارة الدولة[٤٣]، وكانت الأوقاف التي أسّسها الإداريّون في العالم الإسلامي بمثابة الأساس لمؤسسة الوقف.

وتوجد أوقافُ كثيرة لكلّ السّلاطين والوزراء ورجال الدّولة ونساء السّلاطين في الدّولة العثمانيّة [٤٤]

وأوّل الأوقاف التي أوقفها العثمانيّون هي أراضي الوقف التي خصصها عثمان الغازي لزاوية قومرال بابا بناحية أرمني دربند[٤٥] التي فتحها عثمان، ولأن وقفيّة هذا الوقف لم تصلْ لأيدينا حتّى هذا اليوم ولم نتعرّف على مصادر دخل هذا الوقف[٤٦] فتذكُر بعض المصادر أنّ أوّل وقفٍ للسّلاطين العثمانيّين هو وقف أورخان الغازي [٤٧].

وتحتلّ الأوقاف مكانةً هامّة في الحياة الاقتصادية للمجتمع العثماني، وتُعطينا العديد من دفاتر التّحرير والحسابات معلوماتٍ مفصّلةً في هذا الشأن، على سبيل المثال بلغ مجموعُ الدّخل السنويّ لإيالة الأناضول بما فيها سناجق قسطموني وعلائيه

وتكه وحميد وقره حصار في الفترة من عام ١٥٣٠-١٥٤٠م ٩٣٧- ٩٤٧هـ ٧٩.٧٨٤.٩٦٠ أقجة، كان منها ١٧ % أي ١٣.٦٤١.٦٨٤ أقجة من حصيلة الأوقاف[٤٨]، أمّا الدخل السنوي لثلاثين مزرعة في قضاء مانيسا عام ٩٣٨هـ ١٥٣١م فبلغ ٦٣.٥٢٨ أقجة[٤٩]، أمّا نسبة الأوقاف من الدخل العام لإيالة قرمان فكانت ١٤ %، وفي إيالة الروم ١٥.٧ %، وفي إيالة حلب والشام ١٤ %، وفي إيالة ذو القادر ٥ % وفي إيالة الرّوملّي ٥.٤ % [٥٠].

وفي الفترة من عام ٩٣٧- ٩٤٧هـ/ ١٥٣٠-١٥٤٠م خُصص عُشر الدخل من سبعة وأربعين قرية من ١٩٦٦ قرية هي مجموع قرى لواء خدانودكار و١٦٦ قرية من ١٠٧١ قرية هي مجموع لواء كوتاهية، و١١٨ قرية[٥١] من ٦٢٩ قرية هي مجموع قرى لواء قرة حصار، و٤٥ قرية[٥٢] من قرى أسكى شهر، و ٢١١ قرية[٥٣] من قرى لواء آق سراي للأوقاف، أمّا في القرن الثامن عشر فكان ما يقرب من نصف دخل الدّولة مخصّصًا للأوقاف[٥٤]، وبلغ مجموع دخل الأوقاف والخزينة في سنجق سليسترة عام ١٠٠٦هـ ١٥٩٧م ١٤.٥٣٥.٧٨٧ أقجة، منها ٣.٤٨٩.٠٥١ أقجة للأوقاف [٥٥]، أي كان يمثل ٢٤ % من الدخل العام بالسنجق.

كان يعمل بهذه الأوقاف الكثيرُ من الموظّفين الذين كانوا يتقاضون راتبهم من الأوقاف التي كانت صاحبة قوّة اقتصادية هائلة، وكان ٧٠٥٥ شخصًا يتقاضون راتبهم من دخل أوقاف السّلاطين والوزراء في خداوندكار وكوتاهية وقرة حصار[٥٦]، كما كان ٤٩٦ شخصًا يتقاضون راتبهم من أوقاف الفاتح عام ٨٩٥هـ ١٤٩٠م، و٤٥٧ شخصًا يتقاضون راتبهم من أوقاف جامع آيا صوفيا[٥٧]، وقد بلغ عددُ الذين يتقاضون راتبهم من الأوقاف في القرن الثامن عشر ٨٦.٩١٥ شخصًا[٥٨].

ومِن المعروف أنّ أوقاف الأموال(٥٩) التي جرتْ فيها مناقشات طويلة بين أبي السّعود أفندي والإمام البرجوي لعبت دورًا كبيرًا في الحياة الاقتصادية العثمانية، ففي القرن الثامن عشر أُسّست أوقاف أموال كثيرة جدًّا على يد الحرفيّين والمشايخ والعلماء وأركان الدّولة ونساء السّلاطين(٦٠).

وأصدرت الأحكامُ بخصوص إدارة هذه الأوقاف وتشغيلها (٦١).

وقد أظهرت الأوقاف نشاطًا في كلّ الساحات الاجتماعية في العالم الإسلامي، وكانت تؤدّي الخدمات في الكثيرِ من الساحات كتلبية احتياجات ذوي الحاجة، وتأدية الدّيْن عن المَدينين، وخدمات الصّحة، وإطعام الطيور المهاجرة(٦٢)، ويعبّر الأستاذ الدكتور جلال أسعد أرسبوك بن علي حيدر أفندي المؤرّخ القانوني "شارح المجلة" عن هذا الموضوع بأجمل تعبيرٍ قائلًا:

"إنّه بفضل الأوقاف التي كانت مظهرًا للتمدّن الكبير في الإمبراطورية العثمانيّة كان الرجل يولَد في منزل الوقف، وينام في مهْد وقف، ويسكن في مكان الوقْف، ويقرأ في كتب الوقْف، ويشتغل مدرّسًا في مكتب الوقف، ويتقاضى أجره من إدارة الأوقاف، وعندما يموت يوضَع في تابوت موقوف، ثمّ يدفَن في قبرٍ من قبور الوقف، وبهذا يظهر لنا أنّ الوقف كان له دورٌ كبيرٌ في الحياة البشرية ملازمًا للإنسان منذ ولادته وحتّى موته" (٦٣).

وعلى هذا حقّقت الأوقاف التّوازنَ الاجتماعي، ولعبت دورًا كبيرًا في توزيع الثّروات بشكل عادل(٦٤).

لقد أمّنت الأوقاف تلبيةَ احتياجات ذوي الحاجة دون المساس بميزانية الدّولة، وجعلت الأموال متحرّكة بشكل دائم، وكانت من أكبر العوامل في فتح المؤسّسات التي تخدم العامّة كالحمامات والأسبلة ودور العبادة وأماكن التعليم والخدمات الصّحية

والطرق والعمارات الخيرية وغيرها من المؤسّسات التي تخدم عامّة الناس (٦٥)؛ لأنّ خدمة السّاحات التي يشعر المجتمع بالاحتياج لها كثيرًا كانت واحدةً من أهمّ الغايات لتأسيس الوقف (٦٦).

والأوقاف بهذا الاعتبار تعدّ بمثابة المقياس الذي يحدّد المرتبة الاجتماعية والدّينية(٦٧) لمؤسّسي الأوقاف والبنية الحضارية للمجتمع الذي عاشوا فيه (٦٨).
وعندما ندقّق- بحقّ- في الأوقاف العثمانيّة سنجد أنّها مرآة اجتماعية وأخلاقية لمجتمعهم (٦٩).

ويذكرُ الرّحّالة الشّهير ابنُ بطوطة في رحلته، أنّه عندما زار بلاد الشّام رأى صحنًا من البورسلين غايةً في الجمال قد انكسرَ من أحد العبيد، وأنّ هذا العبد لم يتحمّل ثمنَ هذا الصّحن الثّمين، بل كان هناك وقفٌ أسّس خصّيصًا لتحمّل الخسائر التي تقع من العبيد أثناء خدمتهم لسادتهم(٧٠).

وقد أمر أميرُ أربيل مظفّر الدّين كوك بورو (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) ببناء بيت لتُقيم فيه النّسوة الأرامل، وخصّص المرضعات للأطفال الذين توفّيَت أمهاتُهم، وأسّس وقفًا لتأمين ملجأ لليتامى(٧١)، وتأسيس الأوقاف على يد السادة والأشراف في كلّ أرجاء العالم الإسلامي، وترتيب المنح لتحمّل مصروفات المستشفيات للفقراء يُظهر إلى أيّ مدى كان هناك تكافلٌ اجتماعي بين المسلمين (٧٢).

والخلاصةُ أنّ الأوقاف أظهرت نفسَها بقوّة في كلّ مجالات الخدمات الاجتماعية في كلّ العصور الإسلامية، وخاصّة العصر العثماني، وأنها أدت الخدمات التي حملتها على عاتقها بشكل متناغم ومستمر(٧٣)، ولم تجعل الأوقاف المجتمعَ يشعر بالأزمات التي كانت تتعرّض لها الدّولة اقتصاديًّا وإداريًّا، بل إنها

على النّقيض كانت عاملًا مساعدًا في محْو وعلاج تلك العقبات والأزمات، والنظر إلى الأوقاف من هذا المنطلق سيعرض أمامنا أهمية الأوقاف من الناحية الاجتماعية.

ثانيا : أهمّية الحرمين في العالم الإسلامي

١- تعريفُ الحرمين:

الحرمُ كلمةٌ عربية، وهي مصدر من الفعل "حرّم"، والتحريم، وصيانة شرف الأشخاص المقرّبين(٧٤)، ولها عدّة معانٍ أخرى مثل المكان المقدّس غير المسموح لكلّ شخص بدخوله، والأماكن المخصّصة للنساء في المنازل الإسلامية، وتعني- أيضًا- الفناء الدّاخلي للمساجد(٧٥) والأقسام المحاطة بالحوائط منه(٧٦).

والحرمين صيغة التّثنية من كلمة الحرم(٧٧)، وتعني الحرم المكّي الموجود بمكّة المكرمة التي بُنيت على يد سيدنا إبراهيم بوحيٍ من الله سبحانه وتعالى عن طريق جبريل عليه السّلام، والحرم المدني الموجود بالمدينة المنورة التي بُنيت على يدِ الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- بعد ذلك (٧٨).

ولا يقتصر هذا التّعريفُ على التّحديد الجغرافي فحسب، بل إنه يعني في نفس الوقت مسئوليةً وحرمة خاصّة ومحدّدة، فبالرغم من أنّ هناك بعض الأفعال تعدّ حلالًا في كلّ مكان على وجه الأرض، إلّا أنّها تعدّ من المحرّمات في نطاق الحرمين، فالشّخصُ الذي يُحرم- أي يدخل الحرم مُحْرمًا- محرم عليه لبس المَخيط، أو جماعُ زوجته، أو التطيّب بالطيب، كما أنّه لا يمكنه حلق شعر جسده بما في ذلك رأسه، وقصّ أظافره، ويحرم عليه الصيد، أو قطع الأشجار، وإذا ما ارتكبَ شخصٌ جرمًا ممّا ذكر سواء كان على علمٍ بتحريمها أو جاهلًا بتحريمها، فعليه الكفّارة طبقًا

لنوع الجُرم الذي ارتكبه(٧٩)، وقد ورد في الحديث الشريف أنّ الدّعاء في الحرم أكثرُ قبولًا، والأعمال فيه أكثرُ ثوابًا، فرحمة الله تعالي في الحرم واسعة لأبعد الحدود.

حتّى أنّ الأشخاص الذين يؤدّون فريضة الحجّ بإخلاص تغفَرُ ذنوبهم ويعودون من الحجّ كيوم ولدتهم أمهاتُهم، وكما أنّ الدخول والخروج من الحرم له آدابٌ إسلاميّة خاصّة فإنّه يُشترط- أيضًا- فيمَن يدخل الحرم أنْ يكون مسلمًا، ففي موسم الحجّ في السنة التي تلتْ فتح مكّة (٩هـ/ ٦٣١ م) حرّم الله تعالى على المُشركين الاقترابَ من المسجد الحرام مِن بعد عامهم هذا، وبذلك حرّم على غير المسلمين دخول المسجد الحرام (٨٠).

وقد استخدمت المصادرُ العثمانيّة في القرن السادس والسابع عشر وكذا المكاتبات الرّسمية تعبيرَ الحرمين بدلًا من مكّة والمدينة، وفضّل العثمانيون توصيفَ الحرمين بأوصاف "الحرمين الشّريفين- الحرمين المحترمين- الحرمين المحرمين" (٨١). وبعضُ الوثائق العثمانيّة تضمّ الحرم القدسي- أيضًا- لمفهوم الحرمين، إلّا أنّ موضوعنا محدودٌ بالحرمين المكي والمدني فقط (٨٢).

٢- مكّة المكرمة والكعبة المعظمة

تقع مكّة بين تلّي الصّفا والمروة على مسافة ١٠٠ كيلومترًا شرق مدينة جدة، في المنطقة الغربية لشبه الجزيرة العربية المعروفة بالحجاز، وتضمّ مكّة الكعبة المعظّمة قبلة المسلمين، وبئر زمزم، ومقام إبراهيم، والحجر الأسود(٨٣)، ومكة المكرّمة هي الحرم، ويطلق عليها- أيضًا- البلدة الطيبة، وتوجد ثلاث روايات مختلفة

متعلّقة بكوْنها حرمًا: الأولى أنّ الله تعالى جعل أرض مكّة حرمًا منذ أنْ خلق الأرض والسموات وحتّى يوم القيامة (٨٤).

الثّانية أنّ سيدنا آدم عندما هبط على الأرض ورأى الملائكة تطوف حول الكعبة جعلَ الله تعالى

الأراضي الواقعة بينه وبين الكعبة حرمًا(٨٥)، والثالثة أنّ سيّدنا إبراهيم عندما أتمّ بناء الكعبة وثبّت

الحجر السود في مكانه؛ بيّن الله تعالى له حدودَ الحرم (٨٦).

وتعني الكعبةُ في اللّغة المنزلَ المربع الهيئة، أو أنّها بناء مربع مرتفع الأركان، أمّا معناها في الاصطلاح فهي قبلةُ المسلمين كافّة عامّة، والمكان المقدّس الذي يحجّ إليه الناس(٨٧)، والكعبة بالبيان القرآني هي أوّلُ بيت وضع للنّاس في الأرض(٨٨)، وثمّة روايات مختلفة بخصوص بانيها وتاريخ بنائها، فيذكر الأرزقي (٢٣٢هـ/ ٨٤٧م) المؤرّخ المشهور الذي أرّخ لمدينة مكّة المكرمة أنّ الملائكة هُم أوّل مَن بنوا الكعبة قبل ظهور الإنسان، وأطلقوا عليها البيت العتيق، وكانوا يطوفون بها(٨٩)، ويذكر نفسُ المؤلف- أيضًا- أنّ أوّل مَن بناها من البشر هو آدم عليه السّلام(٩٠)، وأنّ أوّل ترميمٍ تشهده الكعبة تمّ على يد أبنائه(٩١)، إلّا أنّ تلك الروايات ليست مؤيّدة بالوثائق التاريخية.

وتلك هي الأخبارُ المتعلّقة بأنّ سيدنا إبراهيم هو أوّلُ مَن أنشأ الكعبة، وأسّس بجوارها مدينة مكّة: عاش سيدنا إبراهيم مع زوجته سارة فترة طويلة لم ينجبا خلالها، فقدّمت له زوجته جاريتَها المصريّة هاجر، التي أنجبت له سيدنا إسماعيل.

فضغطتِ السّيدة سارة على سيدنا إبراهيم ليبعد عنها هاجر وابنها، وذلك من فرْطِ غيْرتها، وبوحي من الله أخذ سيدنا إبراهيم ولده إسماعيل وأمه هاجر وخرج بهما من أرض كنعان إلى وادي بكّة الموجود بأرض الجزيرة العربية، وأسكنهم هناك، ودعا سيدنا إبراهيم بالدّعاء المذكور في القرآن الكريم "ربّنا إنّي أسكنت من ذرّيتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتِكَ المحرّم ربّنا ليقيموا الصّلاة فاجعل أفئدة من النّاس تهوي إليهم وارْزقهم من الثّمرات لعلّهم يشكرون" (٩٢)، ثمّ ترك معهم كمية من الطّعام والشّراب، وتركهم وعاد إلى أرضه.

وعندما فرغ الطّعام والشرابُ الموجود مع السّيدة هاجر، بدأت تعاني من قلّة الطّعام والشراب، وكان ابنُها يبكي من الجوع والعطش، فأخذت السيدة هاجر تهرول بين الصّفا والمروة بحثًا عن الماء، وحينئذٍ أنعم الله تعالى على سيدنا إسماعيل بأنْ فجّر ماءَ بئر زمزم من تحت قدميه(٩٣)، وبعد فترة قصيرة من ظهور الماء في هذا الوادي المُجْدب أصبح وادي بكّة مركزَ جذب لكلّ العرب(٩٤)، واستقرّت هناك قبيلة خزاعة إحدى القبائل العربية التي كانت تعيش على حياة التنقّل والتّرحال، وأصبحوا جيرانًا لهاجر وإسماعيل.

أمّا سيدنا إبراهيم فكان يأتي بين الحينِ والآخر لمكّة لزيارة زوجته وابنه، وقد أخبرنا القرآن الكريم بأنّ سيدنا إبراهيم قام ببناء الكعبة المعظمة هو وابنه إسماعيل ليطوف الناس بها(٩٥).

وبعد أنْ فرغ سيّدنا إبراهيم من بناء الكعبة جعلها الله مركزًا للعبادة، وأمر النّاس بأن يتّخذوا من مقام

إبراهيم مصلّى، كما أُمر سيدنا إبراهيم وإسماعيل بأن يطهّرا البيت للطّائفين والعاكفين والركّع

السجود[٩٦]، ولمّا أتمّا بناء الكعبة دعا سيّدنا إبراهيم النّاس للحجّ، وحجّ مع الذين لبّوا نداءه وعلّمهم مناسك الحجّ [٩٧].

وقد أدرك أبناءُ سيدنا إبراهيم مِن بعده مدى أهميّة وظيفة الاعتناء بالكعبة، وتأمين احتياجات القادمين للحجّ، ولكنْ بمرور الأيام نسي أهالي مكّة الدّين الحقّ وعبدوا الأصنام، وملئوا الكعبة بها، وأصبحت عبادة الأوثان عبادة، وعندما ظهر الإسلام قوبل النبي- صلّى الله عليه وسلّم- منهم بمعارضة شديدة حتّى أنّهم ادّعوا أنّهم مقبولون عند الله لأنّهم يخدمون الكعبة والحجّاج، ولكن الله ردّ على مزاعمهم الباطلة بقوله "أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمَن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين"[٩٨] وقوله تعالى- أيضًا- "إنّما يعْمُر مساجد الله مَن آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصّلاة وآتى الزكاة" [٩٩].

وقد ورد الكثيرُ من الأحاديث النّبوية الشريفة التي تدلّ على فضل مكّة والكعبة، فقد روي عنْ أبي هريرة أنّ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- قال "لا تشدّ الرّحالُ إلّا إلى ثلاثةِ مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" [١٠٠]، والحديث الشريف يشير إلى أنّ الكعبة هي أقدسُ مكان على وجه الأرض[١٠١].

وهي أوّل ما أنشئ من تلك المساجد[١٠٢]، وقد أشار النبي في حديث آخر إلى أنّ مكّة هي أفضلُ بلد على وجه الأرض، فعند هجرة النبي- صلّى الله عليه وسلّم- من مكّة نظر إليها وقال: "والله إنّك لأحبّ البلاد إلي، ولو لم يخرجني قومي منك لما خرجت" [١٠٣].

أمّا الحجر الأسود فقد أنزل من الجنّة مع مقام إبراهيم، وكان أبيضَ وقت نزوله، ولكنّه اسوَدّ لأسباب مختلفة(١٠٤)، ومن المعلوم أنّ تمام إنشاء الكعبة لم يحدثْ إلّا بعد أنْ وضع سيدنا إبراهيم الحجرَ الأسود في مكانه، وحينئذ أوضح الله له حدودَ الحرم (١٠٥).

وقد استخدمت أسماء كثيرة جدًّا لمكّة والكعبة في عهود الجاهلية والإسلام، منها؛ بيت الله، بكّة، البيت العتيق، الخاتمة، الباسة، البيت الحرام، القادسة، الناظرة، القرية القديمة، الناضرة(١٠٦).

وقد أوضح الأزرقي في كتابه تاريخ مكّة المكرمة أنّ لها ما يقرب من خمسين اسمًا، ذكر منها في كتابه ٣٠ فقط (١٠٧).

كما نقل أوليا جلبي بعضَ أسماء مكّة ومنها بيت المعاد، والقوس، وقرية النّمل(١٠٨)، كما ذكر الفاسي في كتابه أسماء مكّة والكعبة ومعاني تلك الأسماء(١٠٩).

٣- المدينة المنورة

اسمُها القديم يثرب، تقع من الناحية الجغرافية على مسافة ٣٤٢ كيلومترًا شمال مكّة، وعلى مسافة ٢٠٠ كيلومترًا من ينبع البحر الواقعة على البحر الأحمر، والمدينة على حافّة وادي منبت محاط بالجبال من ثلاث جهات(١١٠).

وقد أسّست المدينة على يد شخصٍ يُدعى يثرب بن عبيد أحد أحفاد عجربة من أحفاد نوح(١١١)، وتسمّت المدينة بعد أنْ هاجر إليها الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- باسْم مدينة النّبي، ولانتشار الإسلام منها إلى كافّة أرجاء الدنيا، ولوجود غرفة الرّسول الموجود بها قبره الأنور، ومسجده بها يقال لها- أيضًا- المدينة المنورة (١١٢).

ولأنّ المسجد النّبوي هو أوّلُ مسجد يؤسَّس في الإسلام، فقد كان بمثابة مركزِ الدّولة في عهد النّبي وعهد الخلفاء الراشدين من بعده، وأصبح نموذجًا لكل المساجد بعد ذلك[١١٣]، أمّا الرّوضة المطهّرة فهي المكان الواقع بين المحراب وحجرة السّعادة [١١٤]، أصبح حرمًا آمنًا، فقد دعا النبي- صلّى الله عليه وسلّم- بعد الهجرة للمدينة قائلًا: "اللّهم اجعل ما بين هذين الجبلين أي (المدينة) حرمًا لي كما جعلت مكّة حرمًا لإبراهيم، وبارك اللّهم في مدّها[١١٥] وصاعها[١١٦].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب إنّ المدينة حرمٌ آمنٌ، مَن اقترف فيها إثمًا وهو يعلم فإنّه يستحقّ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[١١٧]، وهذا يوضّح لنا حديثَ رسول الله السّابق، ولهذا فإنّ المدينة حرمٌ آمنٌ مثل مكة[١١٨].

وتعدّ المدينة دارَ الهجرة، فقد هاجر إليها المسلمون الأوائل الذين عانوا من العيش في أوطانهم، وعلى رأسها مكّة، بسبب إسلامهم، وكانت تلك الهجرة بأمر من الله وتبليغٍ من النبي صلّى الله عليه وسلم[١١٩]، وقد أوضح النبي في ذلك إلى أنّه أُمر بالهجرة إلى القرية التي تأكل القرى التي يطلقون عليها يثرب، وهي المدينة" [١٢٠]، وقد أوضح النبي- صلّى الله عليه وسلّم- أنّ الهجرة إلى المدينة قد فرقتْ بين المؤمنين على حقّ وبين المنافقين، وقد دعا النبي بأن يجعل الله تعالى البركة التي في مكّة ضعفيْن في المدينة[١٢١]، كما أوضح النبي- صلّى الله عليه وسلّم- في حديثٍ له آخر أنّ الصّلاة في المسجد النبوي خير من الصلاة في أي مسجدٍ على وجه الأرض بألف درجة، إلّا المسجد الحرام فإنّ الصلاة فيه بمئة ألف درجة[١٢٢]، وبذلك يتّضح لنا أهمية المدينة والمسجد النبوي، حتّى أنّ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- قال" لو صلّى أحدٌ أربعين صلاةً متّصلة في مسجدي هذا كتب له النّجاة من عذاب جهنم والنّجاة يوم

القيامة[١٢٣]، ولهذا فقد اعتاد الأتراك المسلمون الذّهاب للمدينة المنوّرة بعد الفراغ من أداء الحجّ ليقيموا بها ثمانية أيام ليصلوا بالمسجد النبوي أربعين صلاة متّصلة.

وكان كبارُ علماء الإسلام وأئمّة المذاهب يستحبّون الإقامة في مكّة ومجاورة رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- في المدينة.

وأشاروا إلى ضرورة وجود بعض المسئوليات على مَن يقيم بهما بخلاف ثوابِ الإقامة هناك، وأنّ مَن لم يستطع أنْ يوفّي بتلك المسئوليات فقد اقترف جرمًا كبيرًا[١٢٤]، لقد شعر المسلمون بالاحترام والتّوقير الكبيريْن لمكّة والمدينة، ومن ذلك أنّ الشيخ أبا عمرو الزّجاج قضى في مكّة أربعين سنة لم يقضِ حاجته في حدود الحرم أبدًا، ونفس الشيء فعلَه في المدينة، وكان عندما يريد قضاء حاجته يخرج للخلاء في مكانٍ يطلق عليه معمس [١٢٥].

أمّا أسماء المدينة المنورة فهي أرضُ الله، أرض الهجرة، آكلة البلدان، آكلة القرى، البارة، الباخرة، بيت الرسول، الحبيبة، الحرم، حرم الرسول، دار الأبرار، دار السلام، دار السنة[١٢٦].

وكان دورُ كُتّاب تاريخ مدينتي مكّة والمدينة في ظهور التّأريخ للمدن الإسلامية وتطوّره دورًا كبيرًا؛ لأنّه- ومنذ العصور الأولى للإسلام- ألّفت الكثير من المؤلّفات التي تتحدّث عن تاريخ هذين البلديْن وبركتهما واقتصادهما والنواحي الاجتماعية والدّينية بهما، وأوّلُ كتاب ألّف عن تاريخ مكّة كتبه الحسن البصري (١١٠هـ/ ٧٢٨م) وهو رسائل بعنوان فضائل مكّة [١٢٧].

أمّا أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي فقد جمع في كتابه المسمّى "أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار" (١٢٨) كلّ المعلومات المتعلقة بمكة والكعبة، وكان بمثابة المرجع لكلّ الكتب التي ألفت بعد ذلك.

أمّا أوّل الكتب المؤلّفة عن تاريخ المدينة المنورة فهو كتاب باسم تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (٢٦٢هـ/ ٨٧٦م) (١٢٩).

ثالثا : تأريخ لخدمات الحرمين

١- عهدُ الجاهلية:

نشأ سيدنا إسماعيل وترعرع في مكّة مع أمّه، ولمّا وصل لمرحلة الشباب لم يعدْ لأبيه، فقد ظلّ في مكّة التي أسبغ الله تعالى عليها نعمه، وجاور القبائل العربية الموجودة هناك وتزوّج منهم، وبذلك أسّس بينه وبين العرب قرابة، وأنعم الله عليه بالأبناء، وأُطلق على كلّ مَن أتى مِن ذرية إسماعيل "العرب المستعربة" (١٣٠)، وداوم هؤلاء الأبناء على الإقامة في مكّة، ثمّ عُرفوا بعد ذلك ببني عدنان لأنّهم ينتسبون لعدنان أحد أحفاد إسماعيل، وبالرّغم من أنّهم لم يكونوا حكامًا سياسيّين لمكّة في تلك العصور الأولى، إلّا أنّهم عملوا على استمرار مجموعة الخدمات التي بدأها أجدادهم (١٣١).

ولمّا انتصر الخزاعيّون بمساعدة قبيلة قصيّ بن كلاب (قريش) أحد أبناء عدنان، انتقلت إدارة مكّة لأبناء إسماعيل، وبذلك أسّست أوّل مدينة- وإن كانت بدائيّة- في مكّة (٤٤٠م)(١٣٢)، ثمّ اضطلع قصيّ بن كلاب بعمل تنظيم لإدارة مكّة يهدف إلى تأدية خدمات الكعبة والحجّ بشكل أكثر راحة، وكانت خدمات الكعبة والحجّ في تلك

الأوقات عبارة عن السّدانة ودار الندوة واللواء، والسقاية والرّفادة، والقيادة، وقسّمها بين أبنائه على ما يلي:

جعل السّدانة ودار الندوة واللواء لعبد الدار، والسّقاية والقيادة والرفادة من نصيب عبد مناف(١٣٣).

وسوف نتناولُ منها ما يخصّ موضوعنا:

السّقاية: معناه سقي الماء، أو المكان الذي يقدّم الماء، أو الكوب الذي يقدم فيه الماء. وتعني مجموع الأعمال الخاصّة بتقديم الماء للحجيج، التي كانت من مهامّ عبد مناف بن قصيّ بن كلاب، ثمّ أصبحت لأبنائه وأقاربه من بعده(١٣٤).

الرّفادة: تعني في اللّغة المساعدة والهبة، أمّا في الاصطلاح فهي الأموال والأشياء التي كانت تجمَع وتُصرف لتأمين احتياجات الحجّاج الفقراء من العرب في عهد الجاهلية، والرّفادة بمعني عام هي اسمٌ أطلق على كلّ المُساعدات التي قدّمتها قبيلة قريش للأشخاص الذين كانوا يجدون مشقة في سفرهم لمكّة، سواء كانوا أصحاب إمكانيات أو غير ذلك، واستمرت الرّفادة في العهد الإسلامي باسم الدشيشة ولكنْ بتغيير ماهيتها.

وكانت الرّفادة في عهد الجاهلية تتمّ على يد هاشم بن عبد مناف جد النبي صلّى الله عليه وسلم(١٣٥)، وكانت الدّشيشة في العهديْن المملوكي والعثماني لها أهميّة كبرى بين الأوقاف التي كانت مخصّصة للحرمين، كما كانت تعبر عن مفهومٍ اجتماعي، وقد تحقّقت الرّفادة- أيضًا- في عهد النبي صلّى الله عليه وسلم، وكان الصّحابة يطهون القمحَ مع الشعير مع بعض اللحوم والتّمر، وكانوا يدعون الرّسول والصّحابة للطعام، وقد استمرّت هذه العادة القديمة كصدقة لفقراء الحرمين، ثمّ أصبحت بعد ذلك بمثابة المؤسّسة الوقفية، وعرفت بعد ذلك باسم "دشيشة رسول الله" (١٣٦).

السّدانة: وتعني بشئون وخدماتِ الكعبة كالعناية بها، وفتحها وإغلاقها، وقد كانت هذه الوظيفة قديمًا من مهامّ عبد الدار، ثمّ انتقلت بعد ذلك إلى أبناء عبد

مناف، وكان للسّدانة قديمًا جانبٌ سياسيّ، حتّى أنّ الشخص الذي كان يقوم بتلك المهمّة كان يعتبر أميرًا لمكّة [١٣٧].

ولم تكنِ الكعبة فقط هي المكانَ الوحيد المقدس في مكّة عند العرب في الجاهلية، فكانوا يعدّون بعض المنازل الأخرى مقدّسة، ويقدّمون لها الخدمات، ويقدّمون لها الهدايا التي يقدّمونها للكعبة، ويطوفون بها ويذبحون القرابين عندها [١٣٨].

٢- الحرمين بعد الإسلام:

شاركَ الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- في ترميم الكعبة الذي قامت به قبيلة قريش قبْل رسالته، وبعدَ الرّسالة كان الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- يصلي في بعض الأماكن المناسبة للعبادة في الكعبة التي أصبحت بمثابة مقرٍّ للأوثان، إلّا أنّ الوضع السياسي والاجتماعي لمكّة في عهد الجاهلية لم يجعل هناك إمكانية لتطهيرها من تلك الأوثان، ومن المعروف أنّها طَهُرت من تلك الأوثان بأمر الرّسول بعد فتح مكّة في العام الثّامن للهجرة.

أمّا المدينة، فهي مدينة تحملُ آثارَ الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- في كلّ شبرٍ من أرضها، فقد شارك الرّسول بنفسه في بناء ١٨ مسجدًا بُنيت في المدينة في عهده وعلى رأسِها المسجد النبوي، والقبّة والمصلّى، والغامة والفتح، والقبلتين، ولم يكتفِ النبيُّ بذلك بل كان يجتهدُ في رعاية تلك المساجد والعناية بها حتّى أنه كان يتصبّب عرقًا في ذلك [١٣٩].

وقد أضيفَ للمسجد النبوي على عهد رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- حجرات زوجاته الطّاهرات، والحوائط التي كانت في حالة متهدّمة، والأماكن الخالية التي كانت تُحيط بالمسجد[١٤٠]، وكان السببُ في ذلك توسّعةَ المسجد الذي أصبح لا

يستوعب الأعدادَ الكبيرة للمسلمين الذين كانوا يزيدون يومًا بعد يوم، كما كان بمثابة التّصريح والنّموذج الذي يسير عليه المسلمون بعد ذلك إذا ما أرادوا توسعة المسجد النبوي.

وكان النبي- صلّى الله عليه وسلّم- ينظّف المسجد النبوي بيده الشريفة في معظم الأوقات، وكلّف عمر بن الخطاب بمسألة الاعتناء بالمسجد وتنظيمه (١٤١).

أمّا سيدنا أبو بكر فقد اشترى المنازلَ الواقعة في الناحية الشمالية للمسجد وضمّها له، وبذلك أصبحت مساحة المسجد وقتَها ١٥ × ٢٢ مترًا (١٤٢).

وكان سيدنا عمر بن الخطاب هو أوّلَ مَن وسّع ساحة المسجد الحرام بعد الإسلام، فقد أمر بهدمِ المنازل التي تحيط بالكعبة، ووسّع حدود ساحة المسجد، ولأنّ الكعبة لم تكنْ مُحاطة بالحوائط فكانت تُستخدم كطريق للمارّين وهو ما يقلق المتعبّدين، فقام عمر بإحاطة ساحةِ الكعبة بالحوائط(١٤٣)، وبهذا أمّن طواف المسلمين الذين كانوا يزدادون يومًا بعد يوم حول الكعبة بشكل أكثر راحة، كما أمر عمرُ بهدم المنازل التي بُنيت حول الكعبة، والتي كانت ترتفع في البناء عنها، وغيّر نوعَ القماش الذي كان يُصنع منه كسوة الكعبة(١٤٤) من النّوع اليمني إلى النّوع المصري الذي كان يُعرف بالقماش القبطي(١٤٥)، وقطع كسوة الكعبة القديمة ووزّعها على الحجّاج، كما أمرَ بهدم حجرات زوجات النبي ومنزل العباس المجاور للمسجد النبوي، وضمّ تلك المساحات للمسجد، ووسّع المسجد بمقدار ٢٠ ذراعًا من الغرب إلى الشّرق (١٤٦)، و١٠ أذرع إلى ناحية القبلة، وثلاثة أذرع إلى ناحية الشّام، وبذلك أصبحت المساحة الكلية للمسجد النبوي ١٤٠ ذراعًا (١٤٧).

أمّا سيدنا عثمان فقد ستر الكعبةَ بالقماش المصري الذي يطلق عليه القبطي والبرود[١٤٨]، ووسّع ساحة الكعبة، وأمر بوضع الشّموع على الأماكن المختلفة في المسجد النّبوي لإنارته، وكان هذا الإجراء بمثابة النموذج الذي يُحتذى به في إنارة كلّ المساجد، وعلى رأسها الأماكن المقدسة بعد ذلك، وأسّست الأوقاف لذلك [١٤٩].

وقد أضاف سيدنا عثمان إضافاتٍ كبيرةً للمسجد النبوي، وأحاطه بالأحجار المزيّنة، وأمر بوضع الأعمدة الحجرية فيه ليكون أكثرَ تحمّلًا وصلابة، واستمرت تلك الأعمال الإنشائيّة قرابة العشرة شهور، وقد توسّع المسجد توسعةً هائلة بالنسبة لمساحته الأولى التي بُني عليها بعد تلك الترميمات، حتّى أنّ مساحته بلغت ١.٨١٠ ذراعًا [١٥٠].

أمّا في عهد الأمويّين (٤١- ١٣٣هـ/ ٦٦١- ٧٥٠م) فقد تصرف القادة المسئولون عن النّزاعات التي حدثت بمنطقة الحرمين بشكل لم يَرَ له مثيلٌ قبل ذلك حتّى يعرضوا منافسيهم للهزيمة؛ فقد احتلّوا المدينة المنورة وهتكوا حرمتها وكانوا سببًا في الواقعة التي عُرفت باسم واقعة الحرة، وهجموا على الكعبة ومكّة لهزيمة عبد الله بن الزبير، وتعرّضت الكعبة لوضعٍ لم يحدث حتّى في عهد الجاهلية [١٥١]، وقد أراد عبد الله بن الزبير ترميمَ الكعبة بالشكل الذي أظهره الرّسول قبل ذلك[١٥٢]، وشرع في البناء إلّا أنّه توفّي قبل أنْ يتمّه بسبب تضييق القائد الأموي الحجّاج بن يوسف الثقفي عليه، وأمر الحجّاج بن يوسف الثقفي بإكمال تلك الإنشاءات التي بدأها عبد الله بن الزبير قبل استشهاده، ولكنه غيّر تلك الإنشاءات التي كانت تتّخذ من الأسس التي وضعها سيدنا إبراهيم أساسًا لها، وأمر بإنشاء الكعبة كما كانت في عهد الجاهلية[١٥٣].

وقام الوليد بن عبد الملك بتوسعةِ المسجد النبوي، وزيّن بيت الله الحرام بالذهب [١٥٤].

أمّا أوّل صرّةٍ أرسلت للحرمين فقد أرسلت في عهد العباسيّين على يد الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٨هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) [١٥٥]، وأمر- أيضًا- بترميم طريق الحجّ، وبذلك حقّق سهولة كبيرة للحجّاج.

كما أنعمَ الخليفة الواثق (٢٢٧- ٢٣٢هـ/ ٨٤٢- ٨٤٧م) على فقراء الحرمين بالهدايا والإحسان، ولكنه لم يستمرّ في هذا[١٥٦]، أمّا المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) فكان يرسل للحرمين سنويًّا ٣١٥.٤٢٦ عملة ذهبية، وذلك اعتبارًا من عام ٣١١/ ٩٢٣م[١٥٧].

وقد استمرّت الدّول الإسلامية في إرسال الصّرّة لمكّة والمدينة وإنْ تغيّرت ماهيّتها اعتبارًا من هذا التاريخ، وفي عام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م أمهل السّلطان المملوكي جاقمق إرسالَ الصّرّة للحرمين فترةً بسبب الأزمة المالية التي ألمّت بالدّولة[١٥٨]، إلّا أنّ الدّولة العثمانيّة كانت قد بدأت في إرسال الصّرّة من أراضي الأناضول في تلك السنوات، وبذلك وقفت الدّولة العثمانيّة حائلًا دون توقّف دور مؤسّسة الأوقاف.

أمّا الدّشيشة التي كانت تطهى في المدينة وتوزّع على الفقراء منذ عهد النبوة فقد أرسلت من الخارج ولأوّل مرّة في عهد الخليفة المقتدر بالله [١٥٩].

وتسلّم العباس مهمّة السقاية بعد وفاة أبي طالب، واستمرّت هذه الوظيفة مُنْحصرةً على أبناء العباس وأحفادِه في عهد الخلفاء الراشدين، والعهد الأموي، وعندما تأسّست الدّولة العباسية عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م أعطى إداريّو الدّولة أهمية خاصّةً لوظيفة السّقاية نظرًا لأنّها كانت وظيفة أجدادهم، وفي عام ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م

بنوا الكعبة وبئرَ زمزم بالحجارة بعد أنْ كانتا مبنيّتان بالطوب الآجر(١٦٠)، وكانت جهودُ السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد وجهودُها في إيصال المياه الوافرة النّابعة بين الطائف وعرفات إلى مكّة؛ من أهمّ الأعمال التي تمّت في مجال المياه حتّى ذلك الوقت.

وبدأ العملُ في هذا الخطّ المائي عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م، واستمرّ لمدّة عام وأنفق فيه ١٧٠٠٠٠٠ مثقالًا من الذّهب، وتمّ توصيل المياه بواسطته إلى مكّة، ولم يقتصرِ اهتمام السيدة زبيدة بمجال توصيل المياه فقط، بل اشترت كلّ الأراضي والحدائق الموجودة على طريق الحجّ؛ وذلك لتأمين طريق الحجّ (١٦١).

وقد سمّي هذا الخطّ المائي باسم عين زبيدة نسبة لمؤسّسَتِه السيدة زبيدة، وظلّ هذا الخطّ المائي يعمل حتّى فترة قريبة، لأنّ طبيعة المنطقة في مكّة كانت تعمل على اضطراب أوضاع هذا الخطّ المائي فقد كان يشهد أعمال ترميمات بين الحين والآخر، وقد تمّت أوّل ترميمات للعين المذكورة بعد ٢٠ عامًا من إنشائها في عهد الخليفة المتوكّل على الله (٢٣٢هـ/ ٨٤٧م) (١٦٢).

وبإرسال أوّل صرّةٍ ودشيشة في عهد العباسيّين انتهت وظيفة السّدانة، وباشتغال خطّ مياه عين زبيدة انتهت وظيفة السّقاية- أيضًا- (١٦٣).

ومن النشاطات الإعمارية التي تمّت في هذا العهد- أيضًا- ترميم المنزل الذي ولِدَ فيه

النبي- صلّى الله عليه وسلّم- على يد الخيزران والدة الخليفة هارون الرّشيد، وتحويله إلى مسجد، وقد تمّ تجديد هذا المسجد في العهد العثماني على يد السّلطان القانوني عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م(١٦٤).

وقد أضاف الخليفة المهدي[١٦٥] والخليفة المقتدر بالله[١٦٦] بعضَ الإضافات للكعبة، ووسّعوا حدود الحرم الشريف، فقد اشترى الخليفة المقتدر بالله المكان المعروفَ باسم الباب الهمايوني، والذي كان يقع خارج فناء الكعبة، وأضاف تلك المساحة للحرم[١٦٧].

ومِن بعد تلك التّوسعات التي تمّت في الحرمين لم تتمّ أيّ توسعات أخرى حتّى عهد السّلطان سليم الأوّل العثماني.

وأوّلُ مَن أمر بصنع كسوةٍ للكعبة من الدّيباج الأبيض هو الخليفة هارون الرّشيد من الخلفاء العباسيّين، ثمّ تلاه النّاصر لدين الله (٥٧٥- ٦٢٢هـ/ ١١٨٠- ١٢٢٥م) حيث أمر بصنع كسوةٍ خضراء، ثمّ أحدث الكسوة السوداء بعد ذلك[١٦٨]، وهي الكسوة التي استمرّت حتّى وقتنا هذا.

ويعتبر عهدُ العثمانيّين هو العهد الذي بدأت خدماتُ الحرمين فيه تأخذ شكل المؤسّسة، وكانت تمثّل الأساس الذي سارت عليه النشاطات التي تمّت بعد ذلك.

٣- خدماتُ المماليك للحرمين (٦٥٩- ٩٢٣هـ/ ١٢٦١- ١٥١٧م)

لم يكنْ في مقدور المنطقة الحجازية أنْ تؤمّن احتياجاتها الكافية من الأرزاق والأموال من داخلها دونَ الشّعور بالاحتياج للخارج، وجعلها هذا الوضع في احتياج لمصرَ التي كانت أقربَ مركز تجاريّ وزراعي لها؛ حتّى تتمكّن من تأمين المواد الأساسية للحياة الإنسانية، وسرى هذا التّرابطُ الاقتصادي بين مصر والحجاز في الشّئون السياسية بمرور الوقت، فأصبحت كلّ دولة تحكم مصر بعد العباسيين تحكم- أيضًا- الحجاز معها، ومن ذلك الدّولة المملوكية التي تأسّست في مصر وسوريا

وجزء من الأناضول، فقد أصبحت الحجاز وشئون الحرمين تحت إدارة المماليك منذ عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، ومن خلال هذا عيّنوا أمراء الحجّ والإداريّين الآخرين على المنطقة التي كانت تقع تحت سلطتهم السياسية، كما أنّهم سعوا لتأمين كلّ احتياجات الحرمين (١٦٩).

وقد أوقف السّلطان سيف الدين قلاوون قريةً تسمّى باسوس تقع في منطقة تُعرف باسم بيت الماق لكسوة الكعبة، واشترطَ في هذا الوقف أنْ يخصّص دخل الوقف مرّة كلّ خمس سنين لكسوة الحجرة النبوية (١٧٠).

وحافظت هذه القرية على وضعها في عهد العثمانيّين(١٧١)، كما عين السّلطان قلاوون ١٦ خادمًا

لخدمة قبر رسول الله، وأسّس وقفًا لتأمين كافة احتياجاتهم (١٧٢).

ولم يتوانَ المماليك عن ترميم أو تعمير الأماكن التي تحتاج لذلك في الحرمين، وحفروا الآبار الجديدة، واعتنوا بالآبار القديمة، ورمّموا المسجد النبوي والمسجدَ الحرام وكلَّ الأماكن المقدسة الأخرى التي تحتاج للترميم والتزيين(١٧٣)، كما قام كلّ من السّلطان برسباي(١٧٤) والسّلطان جاقمق ببناء كلّ الحوائط والأبواب التي تهدّمت في المسجد الحرام لأسباب مختلفة(١٧٥).

أمّا السّلطان قايتباي فقد رأى رؤية عام ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م تأثّر بها جدًّا، وقام على إثرها بتزيين قبرِ الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- عن آخره بالزينات الفاخرة، وغطّى الرّوضة بقبة(١٧٦)، وأمر ببناء قبرٍ له في مكانٍ ما حول الروضة(١٧٧)، وفي الفترة فيما بين أعوام ٨٧٨- ٨٨١هـ/ ١٤٧٤- ١٤٧٧م قام بعمل ترميمات كبيرة للمسجد النبوي (١٧٨).

وعندما ذهب السّلطان بيبرس للحجّ عام ١٢٦٩م أمر بغسل الكعبة بماء الورد لتكون ذكرى لزيارته هذه لمكّة، وحمل السّلطان بيبرس الماءَ على كتفه أثناء غسل الكعبة[١٧٩]، والسّلطان بيبرس هو أوّلُ مَن أرسل المَحْمل للحرمين عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م، واتّخذها كلّ الحكام المماليك مِن بعده عادة.

حتّى بعد انهيار الدّولة المملوكية في العهد العثماني ظلّ المَحْمل يخرج من مصرَ لفترة [١٨٠].

والسّلاطين المماليك- أيضًا- هم أوّل مَن أحدثوا أوقاف الدشيشة التي كانت تمثّل أهمية كبرى للحرمين، حتّى أنّ السّلطان بيبرس أوقف دخل أراضيه التي تدرّ محصولًا سنويًّا يقدّر بسبعة آلاف[١٨١] أردب للحرمين[١٨٢]. أمّا السلاطين المماليك الآخرين الذين أوقفوا الأوقاف للدّشيشة فهم السّلطان جاقمق وقايتباي والغوري[١٨٣] (٩٠٧- ٩٢٢هـ/ ١٥٠١- ١٥١٦٩) [١٨٤].

وقد خصّص السّلطان بيبرس الأموالَ لإنشاء مدرسته الأشرفية وعمارته، وسائر الاحتياجات الأخرى، كما أسّست الأربطة في نفس العهد، وأجريت بعض الأعمال في شئون المياه، وتمّ الاعتناء بالحدائق التي في المدينة[١٨٥]، وأوقف السّلطان قايتباي شمعدانًا للحجرة النبوية[١٨٦]، وقام السّلطان قنصوه الغورى بتعمير وترميم طريق الحجّ للمرّة الثّانية بالرغم من أنّه كان في حالة حربٍ مع العثمانيين، وأصلح منابع المياه الموجودة في الطريق، وأمر بترميم الكعبة[١٨٧].

وكانت شئون أوقاف الحرمين في العهد المملوكي تُدار بواسطة تشكيل أطلق عليه الأوقاف الحكمية التي كان يرأسها القاضي الشافعي[١٨٨]، وكانت الأوقاف

المؤسّسة لشراء الأسرى المسلمين من الكفار تابعة لهذه الإدارة[١٨٩]، لقد كان العهد المملوكي مهمًّا جدًّا من ناحية خدمات وأوقاف الحرمين.

لأنّ العديدَ من تلك الخدمات والأوقاف التي أشرنا إليها باختصار فيما سبق استمرّت كما هي في العهد العثماني، أو إنّها تطوّرت واستمرّت على هذا التطوير.

٤- الخدماتُ التي قامت بها الدولُ الإسلامية المختلفة للحرمين

خصّص السّلطان إبراهيم بن مسعود- من السّلاطين الغزنويّين- (٣٨٨-٥٨٢هـ/ ٩٩٨- ١١٨٦م) قافلةً كانت تذهب لمكة كلّ عام في موسم الحجّ لتوزّع على الفقراء والحجاج، كما أمر بنسخ المصحف الشريف وتوزيعه على الحجّاج[١٩٠].

وعندما علم السّلطان السلجوقي العظيم ألب أرسلان (٤٥٥- ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣-١٠٧٢م) من أمير مكّة بأنّه يقرأ الخطبة في مكّة باسمه منحه الهدايا الكثيرة له ولأهل مكّة، كما خصّص راتبًا سنويًّا لأمير مكة[١٩١].

أمّا قازان خان ذلك الحاكم الإيلخاني (٦٩٤- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥- ١٣٠٤م) الذي أعلن إسلامه فقد أولى أهميةً كبرى للأوقاف وشروطها، وخصّص الأوقاف للحرمين وأمر بضرورة توصيل إيرادات تلك الأوقاف للحرمين سنويًّا، وعدم استخدامها بشكل قاطع في الشئون الإدارية أو شئون الجيش [١٩٢].

أمّا أبو الحسن- أحدُ الحكّام المرينيّين، الذين حكموا في شمال أفريقيا (٥٩٢-٩٥٤هـ/ ١١٩٦- ١٥٤٧م)- فقد ذهب لأداء الحجّ مع وفدٍ من رجال دولته عام ١٣٣٧م، وأهدى أهالي الحرمين الهدايا الكثيرة ونسخةً من القرآن كتبه بخطّ يده غايةً في الجمال [١٩٣].

وأسّس الأيوبيّون (٥٦٥- ٦٤٨هـ/١١٧٠-١٢٥٠م) الأوقاف والخدمات الكبيرة

للحرمين، وإلى جانب الخدمات الكبيرة التي قام بها مظفر الدين جوكبورو أمير أربيل (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) كان يرسل للحجاز الأشياء اللازمة للحجّاج، و٦٠٠٠ عملة ذهبية لفقراء الحرمين مع قافلة كانت تذهب كلّ عام للحجاز.

وأمر بشقّ القنوات المائية في عرفات، وبذلك أزال عقبة المياه التي كانت تواجه الحجيج، وأمر بإنشاء صهاريج للمياه- أيضًا- في مكّة(١٩٤)، أمّا صلاح الدّين الأيوبي فقد أوقف الكثيرَ من الأراضي الموجودة بإقليم الصعيد بمصر للقضاء على أزمات الحجّاج والأمراء في مكّة (١٩٥).

وأرسل شاه روخ- أحد أبناء تيمور- في عام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م صرَّةً للحرمين(١٩٦)، واضطلع ببعض الخدمات مثلُه مثل بقية الدّول الإسلامية الأخرى.

أمّا الأمير الفاطمي الواعظ بأمر الله فقد أوقف قرية بلقس والأراضي المجاورة لها بمصر لمَن يعيشون بمكّة والمدينة، ولمَن ينحدرون من نسل الحسين(١٩٧)، وكان الفاطميّون (٢٩٧- ٥٦٧هـ/ ٩٠٩- ١١٧١م) يرسلون كلّ عام لأولاد الحسين ١٢٠.٠٠٠ دينارًا، وقام الوزير الفاطمي بازوريد بإيصال هذا الرقم إلى ٢٠٠.٠٠٠ دينارًا(١٩٨).

والخلاصة أنّ كلّ الدّول الإسلامية التي تأسّست قبل الدّولة العثمانيّة كانت لها نشاطاتٌ مختلفة للحرمين كتأمين احتياجات مكّة والمدينة، وضمان سفر الحجّاج في أمن وطمأنينة، والعناية بالحرمين وإعمارهما، فقد كانوا يدركون أنّ هذا العمل عملٌ دينيّ وإسلاميّ، وداوموا على إرسال تلك المخصّصات دون النظر إلى الأوضاع المالية أو الاقتصادية، وبذلك لم تمتدّ يدُ الإهمال قطّ لمدينتي مكّة والمدينة المقدّستين من قِبَل الله تعالى ورسوله الكريم.

القسمُ الأوّل

الخدماتُ التي قدّمها العثمانيّون للحرمين الشّريفين

أولا : ضمّ الدّولة العثمانيّة لمصر والحجاز

١- الصّراعُ المملوكي العثماني وضمُّ مصر:

أتمّت الدّولة العثمانيّة تأسيسَها في منتصف القرن الرّابع عشر، واختارت الأراضي البيزنطية لتكون مسرحًا لتوسّعاتها، ولهذا عبَر العثمانيون إلى الرّوملّلي عام ١٣٥٣م- ٧٥٤هـ، واستمرّوا في فتوحاتهم في تراقيا والبلقان، وكان لفتوحات العثمانيّين في البلقان أثرٌ طيّبٌ عند المماليك الذين كانوا يعدّون في مقام الخلافة الإسلامية، حيث كانوا يرسلون سفراءهم قبلَ وبعدَ تلك الحملات العثمانية، وبأمر الخليفة دُعي للجيش العثماني بالنّصر في جهاده، وبدأت أوّل أزمةٍ بين المماليك والعثمانيّين عندما سيطر يلدريم بايزيد على مالالطيا، فقد دعا هذا لخلْقِ أزمة صغيرة بينهم [١]، إلّا أنّ يلدريم بايزيد أعاد كلّ الأراضي التي سيطر عليها مسبقًا عندما بدأ خطر تيمورلنك في الشّرق، وبالرغم من ذلك لم تستطعْ كلتا الدولتين أنْ تقف ضدّ تيمور.

وبعد هذه الفاجعة التي تعرّضت لها الدّولة العثمانيّة على يد تيمور عاشت الدّولة العثمانيّة فترةً عرفت بفترة الضّعف والوهن استمرّت عشْرَ سنوات، حتّى قام محمد جلبي ابن بايزيد بجمع شتات الدّولة ووحّدها من جديد، وبدأ علاقاتُ صداقة من جديد مع الدّولة المملوكية، واستمرّ هذا الوضع في عهد محمد جلبي وابنه مراد الثّاني بالرّغم من ظهور بعض الأحداث التي يمكن أنْ تعدّ صغيرة [٢].

وحاز عهد السّلطان محمّد الفاتح على أهمية مختلفة بالنسبة للعلاقات العثمانيّة المملوكية.

فقد دعّم المماليك الفاتح فكريًّا ومعنويًّا خلال الفتوحات التي قام بها حتّى بعد فتح استانبول، إلّا أنّ الإداريّين المماليك تركوا هذه الصّداقة بينهم وبين العثمانيين عندما أدركوا أنه يريد أنْ يحقق

حكمًا شاملًا، ويتوسّع في الفتوحات بسبب النّفوذ الذي حقّقه الفاتح على الأراضي التي كانت تخضع لحكم المماليك (٣).

وأدّى هذا الوضع إلى ظهور حربٍ باردة بين الدولتين العثمانيّة والمملوكية، وكانتا تنتظران الشّرارة التي تحوّل هذه الحرب الباردة إلى حربٍ ميدانية، وفي نهاية الأمر حدثت حادثة كانت بمثابة السّبب الرئيسي في بدء النّزاع بينهم، ألا وهي الصّعوبات التي واجهتها القافلة العثمانيّة التي كانت متوجّهة إلى الحجّ عام ١٤٦٤م، فقد واجهت هذه القافلة مشقّة في الحصول على المياه وتأمين الإعاشة في طريق الحجّ الذي كان يقع ضمنَ مسئولية الدّولة المملوكية، وعندما عادت تلك القافلة شرحت الوضعَ للسّلطان الفاتح فكان هذا سببًا رئيسيًّا في بدء الصدام بينهما، وقد أرسل الفاتح سفيرًا من عنده للسّلطان المملوكي يقترح عليه إرسال الأموال والعمّال للقيام بمهمّة تعمير القنوات المائية وسائر الخدمات الأخرى في طريق الحجّ وذلك لإزالة كلّ العوائق والصّعوبات التي يعاني منها الحجّاج، فردّ عليه السّلطان المملوكي بأنهم قادرون على تولّي هذا الأمر بأنفسهم، ورفضَ اقتراحَ الفاتح (٤).

وتلك هي أسبابُ الأحداث التي نتج عنها دخول مصر والحجاز ضمن الإدارة العثمانية، والتي بدأت باضطراب قنوات المياه في الحجاز:

كان ملك أرسلان أميرُ إمارة ذي القادر يتبع الدّولة المملوكية من الناحية السياسية، ولكنه أظهرَ قربًا أكثرَ للعثمانيّين لأنه كان متزوّجًا من أخت السّلطان الفاتح، فقام أخوه شاه بوداق بإخبار السّلطان المملوكي بهذا الأمر، فنتجَ عن هذا أنْ تجمّع الأمراء المماليك حول شاه بوداق وقرّروا الحربَ على ملك أرسلان، وهزم ملك أرسلان في الحرب وقُتل، وعندما علم السّلطان الفاتح بذلك قام على الفور بتعيين شاه سوار على إمارة ذي القادر.

وكانت هذه أوّلَ مواجهة فعليّة بين الدّولتين، فالمماليك لم يكونوا يريدون تعيين شاه سوار أميرًا على ذي القادر، لا سيّما وأنّه كان يتبع الدّولة العثمانية، فأرسلوا جيشًا إليه وشتّتوا جيشه

وأسَرُوا شاه سوار، وأعْدموه في القاهرة، وغضب السّلطان الفاتح كثيرًا، وعيّن أمير بوزقورت أميرًا على إمارة ذي القادر، وأعدّ حملة ضدّ المماليك، وبالرغم من أنّ تلك الحملة لم تتحقّق بسبب وفاة الفاتح، إلّا أنّنا يمكننا القول بأنّ الصّدام المملوكي العثماني بدأ من ذلك التاريخ، واستمرّ حتّى تاريخ انهيار الدّولة المملوكية (٥).

وفي عهد بايزيد الثّاني تحاربتِ الدّولتان قرابة العشرين عامًا على حدود الدولتين، وتلك هي الأسباب التي ساقتهم إلى الحرب:

بعد وفاة السّلطان الفاتح تنازع ابناه بايزيد وجم على العرش العثماني، وبعد أنْ خسر جم في هذا النّزاع ذهب إلى القاهرة، وقابله السّلطان المملوكي واحتفى به(٦)، وأعطاه السّلطان قايتباي المملوكي الجند وأرسله للأراضي العثمانية، إلّا أنه لم يتمكّن من الفوز في المعركة (٧)، هذا بالإضافة إلى أنّ السّلطان قايتباي لم يهنّئ السّلطان بايزيد بجلوسه على العرش العثماني، في حين أنّ هذه كانت عادةً متّبعة عندهم.

دعا هذا الوضعُ إلى التّحارب بين الدولتين، ولم يتمكّن أيّ طرف منهما تحقيق التفوق على الطرف الآخر، إلّا أنّ البرتغاليّين اغتنموا هذه الفرصة ودخلوا البحر الأحمر، وبدأوا في تهديد أمن الحرمين الشريفين (٨).

من ناحية أخرى وطّد الأسبانُ حكمَهم في المحيط الهندي، وانتهت هذه الفترة المضطربة بين المماليك والعثمانيّين عام ١٤٩٨م ٩٠٤هـ بتوسّط من أمير تونس، وتصالح الطرفان على أنْ يأخذ العثمانيون إمارة "ذو القادر"، وأن يأخذ المماليك إمارة "بنو رمضان" (٩).

أمّا السّلطان سليم الأوّل- وهو السّلطان العثماني التّاسع- فقد قضى فترةً طويلة واليًا على طرابزون عندما كان وليًّا للعهد، وقد فسّر السّلطان سليم تصرّفات الشاه إسماعيل الصفوي الذي تجرّأ على والده بايزيد الثاني الذي كان محبًّا للصّلح بطبيعته، وبالرغم من أنّه- أي سليم- أقْدمَ على

بعض الإجراءات أثناء ولايتِه للعهد، إلّا أنّ إجراءاته الحقيقيّة والفعلية بدأت بعد أنْ جلس على العرش وتخلّص من نزاع إخوته معه.

كان السّلطان سليم يدرك جيدًا أنّه لن يتمكّن من القضاء على الشاه إسماعيل الصفوي ويتفرّغ له كلية إلّا بعد أنْ ينهي كلّ المشكلات الموجودة بينه وبين المماليك، وذلك لأنّ الشاه الصفوي كان يحرّض على القيام بثورات في منطقة الأناضول لربطها به مذهبيًّا وسياسيًّا، ولأنّ الدّول الأوروبية لم يكنْ لها في تلك الفترة أيّ نشاط عدواني تجاه الأتراك، فقد استفاد سليم الأوّل مِن هذا الوضع فحوّل كلّ اهتمامه لحلّ مشكلة الشرق، وسار على رأس حملةٍ إلى الشاه الصفوي وهزمَه في موقعة جالديران في عام ٩٢٠هـ ١٥١٤م.

وبطبيعة الحال كان الهدف التّالي للسّلطان سليم بعد ذلك هو الدّولة المملوكية، ولكن الدّولة المملوكية كانت تسير على المذهب السّني مثل الدّولة العثمانية، كما أنهم حملوا الخلافة الإسلامية إلى مصر بعد استيلاء المغول على بغداد عام ١٢٥٨م ٦٥٦هـ، وأصبح المماليك حماة للخلفاء، ولهذين السببيْن لم يكن للدّولة العثمانيّة المبررُ للتّحارب مع المماليك، ولكن حرب جالديران وما تلاها من أحداث وتطوّرات شكّلت بعض العوامل التي تجعل الحرب على مصر مشروعة.

ويمكنُ عدّ تلك العوامل فيما يلي:

١- قيام إمارة "ذو القادر" التي كانت تتبع الدّولة المملوكية سياسيًّا بقطع كلّ سبل الإعاشة للجيش العثماني أثناء موقعة جالديران، بل إنهم لم يكتفوا بذلك بل أرسلوا تهديدًا للعثمانيّين.

٢- عقد الشّاه الصفوي اتفاقًا سرّيًّا مع المماليك بعد انتصار العثمانيين عليه في موقعة جالديران.

٣- إهمال المماليك لخدمات الحرمين الشّريفين اللذيْن يعدان بمثابة قرّة العين لكلّ مسلم، وتعرّض الحالة الأمنية فيهما للسقوط، وعدم الاعتناء بطرق الحجّ، وهزيمة المماليك في المعركة التي تمّت بينهم وبين البرتغاليين عام ١٥٠٩م ٩١٥هـ، وبدأت السّفن الحربية البرتغالية في تهديد أمن الحرمين الشّريفين [١٠].

٤- شكاية كبار رجال الدّولة الذين اضّجروا من المعاملة السيئة التي يُعامَل بها الأهالي بسبب الإدارة الفاسدة.

٥- هزيمة الجيش العثماني بشكلٍ مستمرّ أمام القوات المملوكية أثناء سلطنة بايزيد الثاني[١١].

واستنادًا لكلّ تلك الخصائص خرج السّلطان سليم بالجيش مرّة أخرى تجاه الشرق، وبالرّغم من أنّه أظهر أنّ كلّ استعداداتِه موجّهة لإيران إلّا أنه في الحقيقة كان يتجه لمحاربة المماليك، ولم يفدْ إرسال السّفراء بين الحاكمين بشيء ولم يغيّر من الأمر شيئًا أيضًا، وانتهى الأمر بلقاء الجيشيْن في منطقة مرج دابق عام ١٥١٦م ٩٢٢هـ، ولأنّ العثمانيّين استخدموا المدافعَ بشكل جيد وبراعة فائقة كانت الغلبةُ لهم [١٢].

وإبّان هذا الانتصار للجيش العثماني توغّل الجيش في أعماق سوريا، وتمكّن من ضمّ كلّ مدن سوريا، وعلى رأسها حلب والشّام له، كما تمكّن من ضمّ فلسطين بعد ذلك.

ووصل السّلطان سليم بالجيش حتّى القاهرة، أمّا القادة المماليك فقد احتشدوا عند الريدانية بالمدافع الكثيرة لأنّهم علموا أنّ العثمانيّين أظهروا براعة في استخدام المدافع في موقعة مرج دابق، إلّا أنّ السّلطان سليم جعل كلّ تلك الاستعدادات التي قام بها المماليك تضيع سدًى، بفضل المعلومات التي حصل عليها من عملائه، حيث هجم على الجيش المملوكي من الناحية المعاكسة تمامًا لكلّ التّحصينات التي أعدّوها، وانهزم طومان باي بجيشه أمام العثمانيّين بالرغم من كلّ الاستعدادات التي أعدّوها، وفرّ إلى خارج القاهرة (١٥١٧م ٩٢٣هـ)، لذا أصبحت كلّ قوى الدّولة المملوكية المواجهة للجيش العثماني بلا تأثير، وبذلك خطى العثمانيون خطوةً هامّة في تثبيت دعائم حكم العثمانيّين لمصر.

بعد موقعة الرّيدانية دخل الجيش العثماني القاهرة التي كانت مركزًا للمماليك، وحققوا السّكون بها، أمّا طومان باي فقد عاد للقاهرة مرّة أخرى بما استطاع جمعه من القوات، ولكنه لم

يتحمّل ضربات العثمانيّين، ففرّ هاربًا للصعيد، وانهزم في المعارك الأخرى التي تمّت بينه وبين العثمانيّين، وأخيرًا قُبض عليه وأعْدِم؛ وبذلك انتهت الدّولة المملوكية (١٣).

٢- اعترافُ أمير الحجاز بالحكم العثماني:

هزم السّلطانُ العثماني سليم الأوّل دولةَ المماليك، ولأنّه ضمّ لحكمه مصر وما حولها، فقد قام حاكم الحجاز الذي كان يتبع الدّولة المملوكية سياسيًّا الشّريف أبو البركات بن محمد الحسني بإرسال ابنه أبو نمي بالهدايا وبعض الأمانات المقدسة(١٤) التي كان يحتفظ بها عنده لعدّة عصور لمصر (١٥).

وصل الشّريف أبو نمي إلى القاهرة يوم الاثنين ٦/ يوليو/ ١٥١٧وقدّم للسّلطان سليم هدايا والدِه ورسالةً منه يخبرُه فيها بأنّه يوافق على حماية الدّولة العثمانيّة للحجاز(١٦)، فرح السّلطان سليم جدًّا بهذا التصرّف من الشّريف، وأظهر له اهتمامًا كبيرًا بسبب كوْنه من نسل الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- ولحبّه للمدن المقدّسة المتمثّلة في شخصه(١٧)، وخصص السّلطان سليم للشّريف معاشًا يقدّر بخمسين عملة فلورية، و٨٠ أردبًّا من القمح، و٣٠ أردبًّا من الأرزاق(١٨)، كما أرسل ٢٠٠ ألف دينارٍ لتوزّع على أهالي الحرمين(١٩)، أمّا السّلطان سليم فقد أخبر الشّريف أبا البركات بأنّه قد حصل له ما يريد من أنّه خادمٌ للحرمين وذلك لأنّ الشريف خاطبه في رسالته بلقب صاحب الحرمين (٢٠).

ومنذ ذلك التّاريخ والخطبة تقرأ في مساجد المدينة ومكّة باسم السّلاطين العثمانيّين على أنّهم خلفاء الإسلام (٢١)، وأصبحت الحجاز بذلك قطعةً من الدّولة العثمانية.

إدارة مكّة والمدينة:

كان الأشرافُ الذين ينحدرون من نسلِ عليّ بن أبي طالب هُم الذين يديرون مكّة المكرّمة اعتبارًا من عام ٩٥١م ٣٤٥هـ، وفي ذلك التّاريخ آلت إدارة مكّة إلى موسى بن عبد الله من أحفاد

علي بن أبي طالب عندما أعاد الحجر الأسود[٢٢] الذي أخذه القرامطة إلى نواحي البحرين، ووضعه في مكانه في الكعبة [٢٣]. وآخر شريف من تلك الأسرة هو شكر بن أبي الفتوح الذي توفّي عام١٠٦١م دون أنْ يخلف أبناءً له، وبعده انتقلت الشّرافة في مكّة لأسرة أخرى من نسل علي بن أبي طالب، وهي أسرة بني فوليطة، واستمرّت شرافتها حتّى عام ١٢٠١م، حتّى أخذت عائلة قتادة الشّرافة منها [٢٤].

وعندما ضمّ العثمانيون الحجازَ لهم كان يحكم مكّة أبناء أبي زر من نسل بني هاشم، وآخر مَن تولّى الشّرافة من هذه الأسرة هو الشّريف أبو نمي الذي أتى سفيرًا لسليم الأوّل في مصر[٢٥]، وبالرّغم من أنّ الشرافة في مكّة كانت شكليّة بعد هذا التاريخ، إلّا أنها استمرت حتّى استيلاء الوهابيّين على الحجاز (١٣٤٣هـ ١٩٢٤م).

وقد كانت تبعيّة الحجاز للدّولة الأيوبية والمملوكية تبعيّةً شكلية فقط، ولكن في العصر العثماني تغيّر الوضع بتعيين مشايخ للحرم المكّي والمدني[٢٦] من قبل الدّولة العثماني، ممّا أدّى إلى تقليص نفوذ الأشراف [٢٧].

وبمرور الوقت أصبحت هذه المنطقة تُدار بواسطة إمارة الأمراء التي مركزها جدة (٢٨)، فقد أصبحت مكّة والمدينة وجدّة بمثابة ثلاثة سناجق تمثّل إمارة أمراء إلّا أنّ العثمانيين أحالوا بعض شئون الحجاز واليمن والسودان والحبشة لمصر؛ نظرًا لبعد تلك الأراضي عن مركز الدولة[٢٩].

وكانت الدّولة العثمانيّة تترك جنودًا بمقدارٍ ضئيل للغاية في الحجاز في الأوقات التي لم يكنْ بها أيّة تهديدات خارجية أو اضطرابات، ولكن في حالة ظهور تهديدات- وخاصّة من الناحية البحرية- كانت ترسل الجنودَ وبكميّات كبيرة إلى الحجاز، على سبيل المثال تمّ إرسال سليمان باشا

الخادم عام ١٥٤٤م للحجاز، وتقاتل مع البرتغاليّين في معارك بحرية من أجل تـأمين طريق التجـار والحجّاج الهنود، وأنقذ المحيط الهندي والبحر الأحمر من خطر البرتغاليين المحقّق [٣٠].

وعلـى نفس الشّـاكلة أرسـلت الدّولـة العثمانيّـة القـواتِ إلـى المدينـة ومكّـة بسـبب وصـول الأسطول البرتغالي للبحر الأحمر وتهديده للحرمين [٣١].

ويعدّ أهمّ عمل قـام بـه العثمـانيّون- بعـد ضـمّهم للحـرمين- هـو تنظيمهم لشئون الحجّـاج وأهالي الحرمين، فقد أنهى السّلطان سليم الاضطراباتِ الداخليـة، وأثنـاء عودتـه استدعى خـاير بك أمير أمراء مصر، وقال له: "إنّني جعلتك على خدمة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وإنني لا أريد أيّ دخلٍ من مصر، فقد فتحتها لخدمة المدن المقدّسة، وخصّصت دخلها بالكامل لخدمـة رسـول الله، وأنت- أيضًا- على رأس هذا الوقف الذي وقفتُه لله، ولتقمْ بهذه الوظيفة على أكمل وجـه"[٣٢]، ولعلّ هذا الخطاب يوضّح أنّ العثمانيين عبّروا بأوضح تعبير عن تعظيمهم لحرمـة البلـدان المقدّسـة التـي جعلها الله ورسوله أمانة في أعناقهم.

وبعد أنْ دخلت منطقة الحجاز في حوْزة العثمـانيين خصّصت الأوقـاف والمدفوعات التـي كانت تدفع لأمراء مكّة من خزينة الدولة، وهي على مـا يلـي: ألف عملـة فلوريـة كخاصّـة سلطانية، ٢٥٠ كيسًا هي نصف دخل جمرك جدّة، خمسة عملات مصرية ذهبية يوميًّا من جمركي الهند واليمن، مخصّصـات الصّـرة[٣٣]، أمّـا فـي المدينـة فكـان يُعيّن شيخ الحـرم مـن الـوزراء السـابقين وأغوات البنات، حيث يخصّص منهم أربعون شخصًا يكون شيخ الحرم رئيسَهم [٣٤].

أمّا مولوية قضاة مكّة التي تعتبر درجة علميّـة فكـان يخصّـص لهـا ٥٠٠ أقجـة، وقد سـاوى السّلطان محمد الرّابع بين مولوية مكّة ومولوية استانبول فزاد مـن أهميتهـا، وكانت محصّـلاتها مـن الصّرّة ألف ذهبية، ومن مصر ٢٠٠ أردبًّا من القمح[٣٥].

وقد استمرّ العثمانيون على نفس ما بدأه المماليك في خدماتهم للحرمين [٣٦]، بل إنّ العثمانيّين لم يكتفوا بهذا فقط، بل خصّص كلّ سلطان وكلّ إداري من ماله الخاصّ للأعمال الخيرية، وتباروا في عمل الآثار الخيرية [٣٧].

ولم يذهبِ الإداريّون العثمانيون إلى تطبيق نظام المقطعة والزعامة والتيمار في الحجاز؛ لأنّها أرض تختلفُ عن بقية الأراضي الأخرى الموجودة تحت إدارتهم، بل إنّ نصف ريعِ ميناء ينبع البحر الذي كان بمثابة جمرك لجدّة كان يمنح لأشراف مكّة [٣٨].

وخلاصةُ القول أنّه بعد أنْ تشرّف سلاطين آل عثمان بخدمة الحرمين الشريفين، اعتبروا حماية المدينة ومكّة واجبًا دينيًّا على الخليفة وعلى رافعي رايات الإسلام[٣٩]، حتّى أنهم فتحوا اليمن خصيصًا لحماية هذه الأماكن المقدّسة من أيّ خطر أو تعدٍّ خارجي [٤٠].

ثانيا : طريقُ الحجّ والخدماتُ التي تحقّقت في الحرم

١- أوقافُ طريق الحج:

منذ القدم- وحتّى اليوم- والنّاس يخرجون من الأماكن التي عاشوا فيها ويسيحون في الأرض، ولهذا فإنّ الأماكن التي يمرّ بها المسافرون وتأمينَ الطرق إنّما هي مسألة غاية في الأهمية.

ولا شكّ في أنّ أهمّ الرّحلات التي تتمّ في الإسلام إنما هي الرحلات التي تتمّ بهدف ديني، ولعلّ حماية هؤلاء المرتحلين في سبيل العبادة من المخاطر، وتأمين وصولهم وعودتهم من هذه الرحلات؛ إنّما هو جزء من تلك العبادة.

وكلّ المسلمين- وعلى رأسهم الدّول التي أسّسها الأتراك، وحتى الإدارات غير المسلمة- أقاموا آثارًا خالدة، وأظهروا جهدًا كبيرًا في سبيل تأمين تلك الرحلات التي تتمّ بهدف العبادة.

والنّزل والخانات ونُزل القوافل الموجودة في كلّ المساحة الجغرافية التي عاش فيها الأتراك مثل القوقاز والأناضول ووسط آسيا وإيران والبلقان؛ إنّما هي نماذج حيّة على هذا الاهتمام بأمن الطريق.

ولا شكّ أنّ أطول رحلة وأكثرَها مشقّة وأكثرها عددًا إنّما هي الرحلة التي يقوم بها المسلمون لأداء الرّكن الخامس من أركان الإسلام، وهو فريضة الحجّ في مكّة المكرمة، ومنذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب وأفواجُ المسلمين تتزايد كلّ عام لمكّة المكرمة لأداء هذه الفريضة، لا سيّما بعد كثرة الفتوحات وازدياد أعداد المسلمين في تلك الفترة، ولهذا ظهرت الحاجة الماسّة لتأمين هذا الطّريق وتأمين الرّاحة للقادمين لأداء فريضة الحجّ، وكانت هناك مهمّة للدول التي كانت تقع تحت سيطرتها الشّام ومصر والحجاز، وذلك لأنّ أكثر النّزل مشقّة في هذا الطريق هو تلك الصّحراء الواقعة بين الشّام ومكّة.

وها هي الدّولة العثمانيّة التي ضمّت مصر والحجاز إليها عام ١٥١٧م، وحملت على عاتقها مهمّةَ حماية الخلافة والأماكن المقدسة، نجدها حقّقت المشروعات الكبرى لراحة الحجّاج وتأمين طرق الحج، وإذا ما استثْنينا المسلمين الذين يأتون للحجّ من جنوب آسيا والهند التي تصل إلى مكّة عبْرَ المحيط الهندي، سنجدُ أنّ نزلَيْن رئيسيّين من الطرق التي يتعقبها المسلمون الذّاهبون للحجّ يمرّان من الأراضي العثمانية؛ الأوّل منها طريق القاهرة الذي يستخدمه مسلمو مصر وشمال أفريقيا، الثّاني طريق الشّام الذي يتعقبه الحجّاج الذاهبون إلى مكّة من البلقان والأناضول والقوقاز ووسط آسيا والقرم.

وقد أوقف الرّجال العثمانيون الأوقافَ الكثيرة بغيَةَ تحقيق بعض الخدمات في طريق الحجّ إلى جانب التنظيمات السياسية والإدارية واستتباب الأمن في هذه الطرق.

٢- نُزل طريقِ الحج

تلك هي النّزل التي كانت موجودةً بين مكّة المكرمة واستانبول، والتي كانت تعدّ بمثابة الطّريق الذي يستخدمه أكثر الحجّاج في العهد العثماني: أسكدار، قارتال، جبزه، حركة، إزنيك، لافكه، وزير خاني، سويت، بوزويوك، أسكي شهر، سيد غازي، برادقجي، ينى خان، حيات، خسرو باشا، بولوادين، إسحاقلى، آق شهر، إلجين، لآديق، قونيه، إسماعيل، قرة بينار، أريكلي، أواو قيشله، جفته خان، رمضان أوغلو يايلاسي، جاوش خاني، ميسي، أطنه، قورت قولاغي، باياس، بالاب، أسكندرون، بكتاش، حما، حمص، أيكي قابلي، قوناتاره، الشام، قبة الحج، طارخان خاني، مزيريب، مفرق، عين الزرقا، بلقا، قطران، خاصة، قلعة معان، ظهر العقبة، ذات الهجا، تبوك، أخيضر، خيبر، البركة المعظمة، مدائن صالح، على، بئر زمرد، النعام، وادي القرى، المدينة المنورة، بدر، قضيضة، بدر العفان، وادي فاطمة، عرفات، قبور الشهدا، مكّة، مينا، المزدلفة (٤١).

أمّا المنازل الموجودة على طريق الحجّ بين مكّة ومصر، فهي: البركة، دار الحمرا، المثاني، العجرود، السبخة، وادي التيه، ناحى الحرما،، العدوية، حران، العقبة، ظهر الحار، شرف النبي، عطية، عيون الكساب، مويلح، أزلم، اصطبل عنتر، قلعة ووش، أيكرا، خانكى، حرا، وادي النار، ينبع، ثقيفة، بدر الحنين، قاء، رابغ، طارق، عسفان (٤٢).

والحاجّ الذي يريد الذّهاب إلى الحجّ من استانبول عليه أنْ يقطع المسافات والنزل الموجودةَ في الأناضول وسوريا، ثمّ يبدأ بعد ذلك في الدّخول في الصحراء الموجودة بين الشّام ومكّة، وهي صحراء غير مؤهّلة لأقصى درجة من حيث ظروف الطبيعة والإقليم، لذا كان من الضّروري القيامُ بعمل استعداداتٍ كبيرة في الشّام لتأمين عبور هذا الحاجّ بشكل مريح وآمن من كلّ الجوانب، وذلك لأنّ الشّام كانت نقطة تلاقي لكلّ الحجّاج القادمين للحجّ من الجهات المختلفة، لذا كان إداريّو الشّام

مسئولين عن مواجهة احتياجات الحجّاج وتأمين الطريق، وقسْمٍ من شئون الحجّ في مكّة المكرمة نفسها.

٣- تأمينُ طريق الحج

بعد أنْ ضمّ السّلطان سليم الحجازَ لحكم الدّولة العثمانية، أمر بعمل الكثير من الأعمال الخيريّة بُغيةَ إعمار طريق الحجّ الذي أصبح فوضى لأسباب مختلفة (٤٣)، كما أمر السّلطان سليمان القانوني بتأسيس قلعةٍ في العريش التي كانت تتبع فلسطين بهدف تأمين طريق الذاهبين والآيبين، وجعل بتلك القلعة وحدة عسكرية (٤٤).

هذا بالإضافة إلى أنّ الوزير العثماني الكبير صقوللو محمد باشا (٩٨٧هـ ١٥٧٩م) الذي كانت لديه ثروة طائلة أمر بإنشاء قلعةٍ ومسجديْن بالقرب من باب أنطاكية وذلك ليقيم المسافرون في تلك المنطقة بأمان، كما أمر بإنشاء مكتبٍ ومدرسة عليّة وجامعٍ وكليّة بجوارهما، وأمر بإنشاء ٣٠ حجرة حول المدرسة والجامع لإقامة الفقراء، وخصّص ٣ أقجات يوميًّا لكلّ حجرة، كما خصّص ٢٥ أقجة يوميًّا لإنارة الجامع (٤٥)، ولم تكنْ تلك الآثار التي أنشأها صقوللو محمد باشا هنا هامّة من الناحية العسكرية فحسب، بل كانت- أيضًا- هامّة من الناحية التعليمية.

وأمرَ لاله مصطفى باشا- أمير أمراء قبرص والشام، ومربي السّلطان سليم الثاني- بإنشاء محلّ للإقامة في قرية قوناي تره على طريق الحجّ عام ١٥٦٦م، وأمر بترميم الأبنية التي آلتْ للخراب حوله (٤٦)، **كما** أمر هذا الباشا ببناء مكتبٍ وعمارة خيرية وجامعٍ في نفس المكان(٤٧).

وأوقف الباشا دخلَ إيجار الحوانيت الموجودة هناك من أجل مواجهة احتياجات مصاريف تلك الأبنية التي أمر بإنشائها (٤٨).

ولأنّ دخل تلك الحوانيت لم يكن كافيًا لتلبية الاحتياجات أضيفَ إلى الوقف دخل بعض القرى والمزارع التي كانت ملكًا للباشا في الشّام وما حولها بالأمر نامه المؤرّخ بتاريخ أواخر ذي

القعدة ٩٧٤هـ، أبريل ١٥٦٧م، وكان هذا الوقف مثل سائر أوقاف الحرمين معفيًّا من الضّرائب[٤٩]، وقد ربط بهذا الوقف- أيضًا- دخل المزارع والقري التي يبلغ مجموعها ٦٧ قطعة تقع في نواحي الشام، ويبلغ إيرادها السنوي ٠٢٤، ١٠٣ أقجه، وذلك بالأمر نامه الأخرى الصّادرة في ٩٨٢هـ [٥٠]، ومن الإجراءات الأخرى التي قام بها لاله مصطفى باشا لاستتباب الأمن في طريق الحجّ أنّه اختار ٥٠٠ جنديًّا من جنود الإنكشارية الموجودين في الشّام والبالغ عددهم ١٥٠٠ جنديًّا، وذلك ليكونوا في معيّة الحجّاج أثناء ذهابهم وإيابهم [٥١].

أمّا فاطمة خاتون زوجة الباشا المذكور فقد أوقفت مئة درهمٍ لتلبية احتياجات المسلمين في طريق الحجّ، وطلبت ممّن انتفعوا بهذا المال أنْ يدعوا لها في مكة[٥٢].

كما أمر أوكوز محمد باشا بترميم العديد من القلاع المستخدمة بهدف تأمين الطريق الواقع بين الشّام والحجاز[٥٣]، وأمر كمانكش مصطفى باشا بإنشاء قلعة عين الزرقا من جديد، ووضعَ فيها الكثيرَ من المحافظين، وخصّص بعض الأوقاف التي أوقفها لفقراء الحرمين من أجل هذه القلعة[٥٤]، كما أوقف بعضَ الأرزاق التي تكفي لطهي بعض الأطعمة مثل العاشورة لتوزّع على المسافرين في نزل طارخانه خاني الواقع في منتصف طريق الحجّ [٥٥].

وفي عام ٩٩٠هـ ١٥٨٢م تهدّم جسر بركة المرعي القريب من الشام، وكان الحجّاج يجدون مشقّة في العبور من هناك، وعندما علمت الإدارةُ العثمانيّة بذلك كتبت فرمانًا لأمير أمراء الشّام ودفتر دارها بأن يتمّ التّعجيل في ترميم الجسر في أسرع وقت[٥٦].

وقد خصّص السّلطان مراد الرّابع من وقفِه ١١٩ ألف و٩٠٠ عملة لتأمين احتياجات المياه وشراء أربعين سجّادة وثلاثين قنطارًا من البقسماط لتوزّع على الخدّام الذين يعملون في النّزل الموجودة على طريق الحجّ [٥٧].

ولأنّ كلّ الطّريق الواقع بين مكّة والشام طريقٌ صحراوي مغطّى بالرمال عن آخره، فإنّ العبور منه يكون غايةً في الصعوبة عندما تهبّ عاصفة فتجعل الصحراء كلّها غبار وتراب، وأكبرُ قسمٍ في الطريق يتضرّر من هذه العواصف الترابية المنطقة المعروفة بالعقبة وما حولها، لذا بدأ السّلطان مراد الرّابع بعملٍ كبير في سبيل إصلاح هذا الطريق وتمهيده، إلّا أنّ طبيعة المكان لم تسمحْ بمثل تلك الإصلاحات، وبعد ذلك أوقف أمير الحجّ رضوان بك مبلغ ألف قرش بغيةَ تسوية الطريق، وخطّط لحلّ تلك المشكلة [٥٨].

أمّا وقفيّة السيدة خديجة طورخان سلطان والدة السّلطان محمد الرابع والمؤرخة بتاريخ ١٦٥٦م ١٠٦٦هـ، فتشمل كلّ أوجه الخير التي قامت بها، وقسْمٌ من هذه الخيرات يشمل خدماتِ طريق الحج.

فأمرت بإنشاء قلعتيْن على النّزل المعروف باسم استانبول القديمة، هما "قلعة السّلطان وقلعة سدّ البرهان"، وأمرت ببناء جامع داخل هذه القلاع ليؤدّي الحجّاج الصلاة في خشوع وطمأنينة، كما أمرت بإنشاء العديد من الحوانيت داخل تلك القلاع لتؤمن الاحتياجات التي سيشتريها الحجّاج، وأمرت- أيضًا- بإنشاء البيوت لتكون بمثابة الاستراحات الآمنة للمسافرين[٥٩].

كما أوقف محمد أغا من أغوات دار السّعادة مزارعه الموجودة في قصبة شيراز الملحقة بسنجق حماة الذي مُلّك له، كما أوقف العديدَ من أراضيه الموجودة في نواحي قلعة المصطبة وحلب، وأمر- أيضًا- بإنشاء قلعة في منطقة تعرف بميدك في حلب، وخصّص خمسين قرشًا رياليًّا ليُصرف منه على ترميم الخان الموجود هناك، كما عيّن موظفًا لخدمة الحجّاج في نفس الخان، وربط راتبًا لهذا الخادم خمسة أقجات، ولإمام الجامع الموجود بالقلعة ستة أقجات يوميًّا، وللمؤذّن أربعة أقجات يوميًّا، أمّا إجراءات محمد أغا المرتبطة بأمن الطريق فكانت موجهة للنّاحية العسكرية، فقد عيّن ثلاثين جنديًّا مسلّحًا براتب يوميّ لكلّ جندي منهم خمسة أقجات، واشترط عليهم مرافقةَ الحجّاج لتأمين سلامتهم (أوائل جمادى الأولى ١٠٧٣هـ ديسمبر ١٦٦٢م) [٦٠].

٤- صرّةُ طريق الحج

لم تكتفِ الدّولة العثمانيّة بالتّدابير العسكرية فقط من أجل أمن الحجّاج وسلامة وصول الصّرّة بأمنٍ وسلام، فبالرّغم من الإجراءات المشدّدة التي اتخذت ضدّ البدو الذين يعيشون في الصّحراء ويعرفون خباياها جيدًا، إلّا أنّ هؤلاء البدو كانوا أحيانًا يهجمون على قوافل الحج، وينهبون الصّرّة، ويقتلون الأغنياء الموجودين في القافلة، ويستولون على أموالها، ولهذا اتفق رجالُ الدّولة العثمانيّة مع بعض القبائل البدوية المطيعة لتكون إلى جانب الإجراءات العسكرية الأخرى، وخصّصوا لهم صرّةً تكاد تكون مثل صرّة أهالي الحرمين، وكان لهم دورٌ في الحفاظ على القوافل من بعض الهجمات، والمهمّ في ذلك أنّ تلك القبائل التي كانت تأخذ من الصّرّة كانت تساعد الدّولة في تأمين طريق الحجّ، وتلك هي القبائل التي كان يخصّص لها صرّة، ومقدار الأموال الواردة بها:

قبيلة عنزة ١٤٤٩ قرش أسدي– قبيلة الحسينات ١٥٠٠ قرش أسدي– قبيلة عبد النبي ١٠٠٠ قرش أسدي [٦١].

واستنادًا للتحرير المكتوب لقبيلة بني صخر عام ١٠٩٨هـ ١٦٨٧م، وجد أنّ مبلغ الصّرّة وصل إلى ٦٠٠٠ قرشًا، بعد علاوة ٤٧٨٥ قرشًا بدلًا من ١٢١٥ (١٨/ رجب/ ١٠٩٨هـ، ٣٠/ ٥/ ١٦٨٧م) ([٦٢])، ونفس الشيء مع قبيلة عنزة الواقعة على طريق الحج، فقد كانت تأخذ قبل ذلك ١٠٥٤ قرشًا، أصبحت تأخذ ٦٠٠٠ قرشًا، وبالتالي وصلت صرّة هاتين القبيلتين ١٢ ألف قرشٍ، وأمر بأنْ يضاف ٤٣٥١ قرشًا من مال طرابلس الشّام لحصص تلك القبائل [٦٣].

كما كانت هناك بعضُ العشائر التي تعيش في الشّام وحلب تقوم بحماية طريق الحج، وبالرّغم من أنّ تلك العشائر تعيش في المدن المركزية المذكورة إلّا أنّه لأنّهم خبراء بالطرق الصّحراوية ويعرفونها جيدًا، يشتغلون في وظيفة الإرشاد والحماية لكلّ القوافل التي تجوب طريق الشّام المدينة، وعلى رأسها قوافل الحجّاج، على سبيل المثال كانت أسرة الزهراوي في حلب تشتهر

بتلك الوظيفة في القرن السّابع عشر (٦٤)، وأصبحت أعمال حماية وإرشاد القوافل في هذا الطريق بمثابة فرعًا من أفرع العمل.

وبالرّغم من تلك الإجراءات التي اتّخذت لحماية طريق الحجّ إلّا أنّ قوافل الحجّ لم تكن تسْلَم من تعدّي العربان وإلحاقِ الضّرر بها؛ لذا كان ولاةُ الشّام لا يتورّعون في تأديب هؤلاء العربان، بل وقتل بعضهم (٦٥)، وخلاصة القول أنّ الدّولة العثمانيّة نجحت بفضل إداريها في مسألة تأمين طريق الحج، اللّهم بعض جوانب القصور البسيطة.

٥- تداركُ الإبل كوسيلةِ نقل

تعدّ الإبلُ من دوابّ النّقل البرية التي تحتلّ الصّدارة في وسائط النقل التي تسير في الصّحاري، فقد كانت بمثابة مركبًا للمسافرين، وإذا تطلّب الأمر أصبحت مأكلًا ومشربًا لهم، وكانت هناك أهمية كبرى لوجود الإبل بسبب هلاك الكثير منها في الطريق خاصّة بين مكّة والشّام، لهذا اتّجه رجال الدّولة لعمل بعض التنظيمات الخاصّة لحلّ هذه المشكلة عن

طريق تخصيص الأوقاف وبعض المدفوعات الأخرى التي تخصّص من الخزينة المركزية.

ويُفهم من الحكم السّلطاني الذي أصدره السّلطان مراد الثالث، والصّادر بتاريخ ٩٨٨هـ ١٥٨٠م، أنّه أوقف ٦٠ ناقة لخدمة الحجّاج في طريق الحجّ (٦٦).

وقد أسّس الوزير الأعظم إبراهيم باشا وقفًا لشراء ٦٠٠ ناقة للخدمة في طريق الحجّ عام ٩٩٧هـ ١٥٨٧م(٦٧)، وبالرغم من أنّ تلك الأوقاف لم تدمْ طويلًا إلّا أنّها تُرى على أنّها نموذجٌ مختلفٌ للأوقاف التي تمّت من أجل رحلات الحج.

وكانت الدّولة على رأس مَن يقوم بتلك الخدمات، وكانت تشتري الإبل من مشايخ قبائل عمر وحرفوش ورشيد وآل معان والترابي وآل الرياح والشهاب وسليم وإبراهيم وسعيد وحنش

وزيد وصفر وعطية وزهد؛ الذين يعيشون في نواحي الشّام، كما كانت تشتريها من القبائل التي تعيش في نواحي نابلس وعجلون والخليل وعكا وصفد والرملة وغزة والقدس؛ والبالغ عددها ٧٧ قبيلة، أمّا عدد الإبل التي تمّ شرائها بالتقريب فبلغ ٥٠ ألف ناقة [٦٨].

وقد صدر حكمٌ سلطاني في ٢٤ / صفر/ ٩٨٦هـ إلى أمير أمراء الشّام مَفاده أنْ يتمّ إرسال ٤٠٠ ناقة سنويًّا إلى الاصْطبل العامر الواقع بطريق الحجّ، وذلك بسبب تردّد أبناء العربان في إعطاء هذه الإبل، وعلى الأمير المذكور أنْ يزيل هذا النقص [٦٩].

وكانت الأموال التي تدفَع لتأجير الإبل تردّ من دخل منطقة الشّام وحلب، وقد تقدّم شخص يدْعَى ناصر كان يؤجّر الإبل التي تستخدم في طريق الحجّ بشكوى عام ٩٨٦هـ بأنه لم يتمكّن من أخذ مبلغ الأربعة آلاف ومائتي سكّة التي كان يأخذها كلّ عام نظير تأجيره الإبل فطلب أنْ تتحمّل خزينة حلب تلك الأموال[٧٠]، كما يُفهم من شكوى الفقراء أنهم لم يأخذوا الستين ناقة المخصّصة لهم، أنّ تلك الإبل أعطيت لكبار رجال الدّولة، وأنه قد طُلب من أمير أمراء الشّام ودفتر دارها بأنْ يقاوموا هذا الانحرافَ الذي ظهر في عدم تسليم المخصّصات المخصّصة للفقراء، وإعطائها لمَن هم ليسوا أهلًا لها أو في غنى عنها، وهى العشرة آلاف عملة، والملبوسات التي كانت توزّع عليهم [٧١].

وقد استأجرتِ السيدة كوسم سلطان الإبلَ لنقل الحجّاج الفقراء، واشترطت أنْ تدفع أجرة سنويّة لتلك الإبل ٦٥ أقجة حسنة، وذلك عام ١٠٦١هـ ١٦٥١م[٧٢]، أمّا طورخان سلطان فقد خصّصت ٢٥٠ قرشًا أسديًّا لتأجير الإبل للحجاج الفقراء الذين يضطرّون للسير على الأقدام بسبب هلاك إبلهم [٧٣].

٦- تداركُ المياه في طريق الحج:

لأنّ طريق الحجّ بين مكّة المكرمة والشّام طريقٌ صحراويّ، فإنّ وجود المياه فيه بكميات كافية أمرٌ غاية في الأهمية، وإذا ما وضعنا نصبَ أعيننا الظروف الإقليمية لهذا المكان الذي تمرّ مِن عليه قوافل الحجّ سنجد أنّ إيجاد المياه فيه أمرٌ غاية في الصعوبة ليس للقوافل التي تمرّ فحسب؛ بل- أيضًا- للذين يمرّون فرادَى أو الدّواب التي تعيش هناك، لهذا بذلت الإدارة المركزية العثمانيّة والإدارة المحليّة في هذا المكان، وكذا رجال الدّولة المحبّين للخير، الجهودَ الحثيثة للقضاء على هذه الأزمة، وتجلّت هذه الجهود في ترميم الآبار الموجودة والتي أسّست على يد الدّولة أيضًا، وكذا تدارك منابع ومصادر جديدة للمياه.

أمّا الخدماتُ التي قام بها محبّو الخير الذين أوقفوا الأوقاف لحلّ مشكلة المياه فقد كانت تتمثّل في استئجار الإبل لنقل المياه إلى المناطق التي ينزل بها الحجّاج، والعمل على وجود أكواب المياه طوال طريق الحج، وتعيين السقائين لحمل المياه للحجّاج، وتلك هي الأوقاف ومَن قاموا بها في هذه الخدمة:

طلب السّلطان مراد الرّابع تخصيص مبلغ ٦٠ بارة لشراء ١٦٠ قربة لتأمين احتياجات الحجّاج في طريق الحج، وتخصيص مبلغ٦٤.٥٠٠ بارة لشراء ٤٣ ناقة لحمل هذه القرب من دخل وقفه الذي أسّسه في أواسط رمضان ١٠٣٦هـ/ مارس/ ١٦٢٧م، كما طلب تخصيص مبلغ١٢٦٠٠ بارة لـ ٢١ سقاءًا يوزّعون المياه على الحجيج [٧٤].

وأوقفت السيدة كوسم سلطان ثلاثينَ ناقة لتكون سبيلًا للمياه لقوافل الحجّ الذاهبة من الشّام إلى مكّة، وذلك مِن الوقف الذي أسّسته في شهر المحرم ١٠٢٦هـ، يناير ١٦١٧م، من العائد المتحصّل لها من دخل الثّمان قرى التي ملّكها لها السّلطان عثمان الثاني في ناحية ليواديا[٧٥] بسنجق أغريبوز، وقد اشترطت في هذا أنْ يكون ٢٥ ناقة من الثلاثين مخصّصة لحمل المياه، وتوزيعها على المحتاجين، أمّا الخمسة الباقية فتخصّص لحمل أغراض مَن يقومون بمهمّة توزيع

المياه، وقد أعطت الوالدة سلطان أهميةً كبرى لهذا العمل، حيث أنها- وفي ظلّ هذه الظّروف- لم تنسَ راحةَ مَن سيعملون في توزيع المياه، كما خصّصت سبعة قناطير شامي ونصف من البقسماط والأرز بالقدرِ الكافي والعدس والزيت والحمص والبصل والجبن والعسل والبلغور؛ وذلك لتوزيعها على الاثنا عشر شخصًا الذين يقومون بمهمّة إدارة الإبل والسقاية، ومِن بين شروط هذه الوقفية الأوعية التي سيتمّ حفظ تلك المواد الغذائية بها [٧٦].

أمّا أعمال خديجة طورخان سلطان في هذا الشّأن، فهي أعمق؛ فقد أمرت بتنظيف الآبار الموجودة، وبذلك أمّنت استخدام المياه بشكل أكثر إيجابية، وأمرت- أيضًا- بحفر الآبار الجديدة في المنازل والنّزل التي تمرّ بها قوافلُ الحج، وأوقفت- أيضًا- الإبل التي تنقل المياه للحجاج[٧٧].

أوقافُ الإبل التي خصّصت لنقل المياه في الصحراء:

مراد الرّابع ٤٣ رأس ٥٠٠، ٦٤ نقود

كوسم سلطان ٣٠ رأس ٤٥٠٠٠ نقود

خديجة سلطان ٦٥ رأس ٥٠٠، ٩٧ نقود

كما اشترط مصطفى أغا- أغا دار السّعادة- وجود عشرة سقّائين لحمل المياه لتوزيعها على فقراء الحجّاج المصريين

في طريق الحجّ وأثناء أداء فريضة الحج[٧٨]، أمّا محمود جلبي بن إبراهيم باشا فقد خصّص ٨ عملات ذهبية لمَن

سيحمل المياه في طريق الحج، و٦ عملات في مقابل خدمة شيخ الحرم الذي سيشرف على تلك الأعمال [٧٩].

٧- مساعداتُ الملابس:

نظرًا لأنّ الحجّاج كانوا يذهبون للحجّ سيرًا على الأقدام في غالب الأمر، فقد كانوا يجدون مشقّة من هذا، وهو ما يؤدّي إلى تلف الملابس التي يرتدونها بسرعة، وخاصّة النعال، لأنّهم يسيرون فترةً طويلة، ممّا يجعلهم يشعرون بالضيق، وللقضاء على هذا الوضع المضطرب

خصّصت السيدة كوسم سلطان وقفًا لشراء ألف زوجٍ من النعال وألف جبّة، ومئة طربوش سنويًّا لتوزّع على مَن يحتاج مِن الحجّاج [٨٠].

٨- التّنظيماتُ الإداريّة والسياسيّةُ في طريق الحج:

عهدَ بالتنظيماتِ الإدارية والسياسية في طريق الحجّ للإداراتِ المحليّة في مصر والشام، ومِن تلك التّنظيمات الإدارية والسياسية أنّه قد كتب حكم سلطاني لأمير أمراء مصر عام ١٥٧٠م بأنّ الأشقياء هجموا على قوافل الحجّ في السنوات السابقة، وأنّه يجب ترميم وتجديد القلاع الموجودة على طريق الحجّ لتأمين الطريق، أو أنْ يستخدم الطريق البحري في حالة الضرورة، وأرسل لذلك ١٧ ألف عملة فلورية [٨١].

ومِن الأمور التي كانت ترهقُ الحجّاج في طريق الحجّ ضيقُ المكان الذي يسير فيه الحجّاج في الطريق بسبب المساحات التي بذرها الفلاحون حديثًا في طريق الحجّ في المدينة المنورة وما حولها وهي ليست مُلكًا لهم، وفي مقابل هذا أرسلت الدّولة حكمًا لقاضي المدينة تطلبُ فيه إعاقةَ هذا الخلل وإعادة هذه الأراضي التي اغتصبها الفلاحون [٨٢].

والحفاظُ على قوافل الحجّاج من الشّام وحتّى المدينة كانت عائدةً لأمراء الحج، أمّا من المدينة وحتى مكّة المكرمة فكانت حماية القوافل خاصّة بأصحاب الإبل، أمّا الأعمال التي تمّت لعبور القوافل بسهولة ويُسْر بين مكّة والمدينة فكانت من مسئولية قضاة المدينة [٨٣].

وعلينا أنْ نقول هنا إنّ الخدماتِ التي قامت بها الدّولة العثمانيّة لم تكن تقتصرُ على الأمن وضمان إرسال الأموال المرسَلة إلى الحرمين فحسب، بل على العكس اتخذت الدّولة كلّ الإجراءات الضرورية في هذا العمل.

وبسبب فتح صناديق البخور والشّمعدانات التي كانت ترسَل من استانبول إلى المدينة في الطّريق ونهب قسمٍ منها؛

قدّمت شكوى إلى استانبول بأنّ تلك الأشياء لا تصل كاملة؛ فأرسلت الدّولة حكمًا لكلّ القضاة الموجودين على طريق استانبول مكّة تطلبُ منهم إعاقة مثل تلك الأعمال (٨٤).

أمّا قوافل الحجّ التي كانت تذهب من مصر إلى مكّة فكانت تتحرّك بسرعة بسبب الأمن في الطّريق، لدرجة أنّ هذه

القوافل لم تكن تدرك صلاةَ الفروض في أوقاتها بسبب تلك السرعة، وأدّى هذا الوضع إلى فواتِ خمس صلواتٍ في اليوم من أجل عبادة تؤدّى مرّة واحدة في العمر، وبالتّالي كانت هناك اعتراضات على هذا، ولمّا انتقلت المشكلة إلى مركز الدولة، وكتبت رسالة لمَن يهمّه الأمر بضرورة إلغاء هذا الإجراء الذي يخالف روحَ الإسلام، وطالبوا بأن تؤدّى الصّلوات الخمس في أوقاتها مهْما يكن من أمر (٨٥).

وقد بذلت الدّولة جهدًا كبيرًا في القضاء على أيّة عوائق يمكن أنْ تبعد عن هدف الحجّ الأساسي، والابتعاد عن الانشغال بالأمور المالية، خاصّة في الشّام التي تعدّ أكبر مركز لتجمّع الحجّاج في الطريق، ويتّضح هذا جدًّا في الحكم الذي أرسله السّلطان محمد الرابع لدفتر دار الشّام عام ١٠٥٨هـ، ولأنّ الشّام تعدّ بمثابة بوّابة مكّة والمدينة فقد طلب السّلطان في حكمه إغلاق المقاهي الموجودة في معابر طريق الحجّاج لأنّها تبعد الحجّاج عن روح العبادة، كما أنّ تلك الأماكن قد أغلقت في عهد السّلطان مراد الرّابع، ثمّ افتتحت من جديد في عهد السّلطان إبراهيم مقابل ١٨ ألف قرش، وكانت توجد أوامر أخرى بخصوص عدم فتح تلك الأماكن وإرسال دخلها إلى خزينة الدّولة (٨٦).

على أيّ حال كان طريق الحجّ آمنًا ومريحًا لأقصى درجة بواسطة الخدمات التي تمّت عن طريق الوقف، أو من خلال الإداريّين، وخاصّة في أهمّ نقطةٍ في طريق الحجّ، وهي مشكلة المياه وإيجاد الإبل، وقد توافر الاثنان من خلال الأوقاف.

ثالثا : الخدماتُ التي تحقّقت في الحرمين

١- أوقافُ المياه

أيّ عمل من أعمال الخير يكون بنيّة خالصة لكسب رضاء الله وما ينفع الناس؛ يكون عند الله مقبولًا، وكلّما كان العمل الذي يقوم به الشّخص موجّهًا للسّاحات التي يشعر الناس فيها بالاحتياج بالنّسبة للزمان والمكان فإنّ جزاءه من الله سيكون مضاعفًا أيضًا، ومثلما كان إنشاء مدرسة في مكانٍ يشكو من قلّة المدارس، وجامع في بلدة لا يوجد بها مكان للعبادة، وجسر على مياه جارية لم يكنْ عليها جسرٌ؛ من الأعمال العظيمة التي لها ثوابها الكبير؛ فإنّ النشاطات التي كانت للأوقاف العثمانيّة، والتي تمّت للقضاء على نقص المياه في الحرمين؛ يعدّ- أيضًا- عظيمًا بنفس الدّرجة، ويمكن دراسة تلك النشاطات

تحت تلك العناوين الرئيسية:

أ- عينُ زبيدة:

بدأتِ الحياة الاستقرارية في مكّة بعد أنْ منح إسماعيل بئرَ زمزم المعجزة، أمّا في العهد الإسلامي فقد كانت هناك ضرورة لبحث سبلٍ جديدة لتأمين المياه بسبب الزيادة المفرطة في أعداد السّكان خاصّة في موسم الحجّ، لذا كان يتمّ البحث في كلّ العهود عن مصادر جديدة للمياه، وأوّل وسيلة لجأ المسلمون إليها حينذاك هي حفرُ الآبار العميقة، ولكن نظرًا لكثرة أعداد الذاهبين والآتينَ في موسم الحجّ بدأتِ المياه التي في الآبار تقلّ، وأصبحت المياه الموجودة لا تفي بالغرض، وقد بحثت السّيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد عن حلّ جذريّ لهذه المشكلة، وأنفقت في سبيل هذا مليونًا وسبعمائة ألف عملة فلورية بعملة زمانها، وتمكّنت من إيصال المياه إلى الأماكن القريبة من مكّة، وكانت تلك العين تعرف باسم مياه عرفات، وكانت تعمل حتّى فترة قريبة (٨٧)، وفي العهود التالية كان يتمّ ترميم هذه العين باستمرار، لذا كانت مياهها تنهمر باستمرار.

وأوّلُ نشاطٍ كبير من الدّولة العثمانيّة لهذه العين تمّ في عهد للسّلطان القانوني، حيث هدمتْ وأنشئتْ من جديد، وذلك لأنّ كلّ الطرق التي كانت توصل لمكّة من المكان الذي تنبع منه العين أصبحت مهملةً تمامًا عام ٩٣٩هـ، هذا بالإضافة إلى أنّ قلّة المياه وانسحابها من الآبار في أشهر الحجّ خاصّة كانت تجعل ثمنَ المياه غاليًا، فكانت جرّة المياه تباع بذهبية.

وعندما علم القانوني بهذه الضّائقة التي تعيشها مكّة طلبَ من مصلح الدين أفندي الذي يعيشُ في مكّة بأن يقدّم له تقريرًا مبدئيًّا عن تنظيف المجاري المائية في عرفات وحنين، وجعلها في حالة صالحة للاستخدام (٨٨).

وأتمّ مصلح الدّين أفندي دراساته، وقدّم للسّلطان تقريرًا يشتمل على الترميمات اللازم عملها حتّى يعود المجرى المائي على ما كان عليه، درس القانوني هذا التقرير، وخصّص لمصلح الدين أفندي المساعداتِ النقديّةَ والعينية اللازمة لتأمين القوى البشرية والأدوات الخاصة بعملية الترميم، فقام مصلح الدين أفندي أوّلًا بتنظيف المجارى المائية الموجودة في مكّة، وعمّقها، كما أمر بترميم وإصلاح كلّ الأسبلة والأحواض الموجودة في المدينة، وفعل نفس الشّيء في المجاري المائية بحنين، وخصّص العبيد الزنوج ليعتنوا بهذه المجاري المائية بشكل دائم، واستمرّت عملية التّرميمات ستّ سنوات، وانتهت في عام ٩٣٧هـ-١٥٣١م (٨٩)، كما أضاف القنواتِ الجديدةَ لعين زبيدة(٩٠)، وأنشأ بمكّة حوْضين قطرهما ٨٠٠ خطوة، وعمقهما ٢٠ ذراعًا (٩١).

لقد عمل مُصلح الدين أفندي خلالَ هذه الفترة الطويلة على القضاء على مشكلة المياه، وطوّر آليّة متكاملة للغاية للقضاء على كلّ أوجه النّقص في أقصر فترة، فقد أنشأ قبّة كانت بمثابة نقطة تقسيم المياه من المجرى المائي، وأحاط تلك القبّة بخمسة وأربعين ميزابًا، وللتحكّم بشكل دائمٍ في هذه الميزابات عيّن ناظرًا وكاتبًا ومعماريًّا عليها، وطلب منهم سرعة التحرّك عند عطل أيّ ميزاب كأن تقلّ فيه المياه أو تنقطع كلية (٩٢).

ولم تفسدْ تلك المنظومة المتكاملة للمجاري المائية في مكّة إلّا بعد ٣٠ عامًا تقريبًا عندما خربتْ بفعل الظّروف

المناخية للمنطقة كالعواصف الرمليّة والسيول، وأصبحت تلك المجاري المائية في حالة لا يمكن استخدامُها، وقد

أرسل شريف مكّة عريضةً إلى استانبول عام ٩٧٠هـ ١٥٦٢م يخبرها بضرورةِ ترميم هذه المجاري المائية.

وعندما علم السّلطان بذلك عيّن قاضي مكّة الشيخ عبد القادر بن علي المغربي لهذا الأمر، وطلب منه أنْ يقوم بعمل

تقريرٍ عن الترميمات اللازمة والحسابات اللازمة لها، فقدّم للسّلطان تقريرًا ذكر فيه أنّه يلزم إنشاء مجاري مائية

جديدة لحلّ أزمة المياه، وأنّها ستتكلّف ٣٠ ألف عملة فلورية (٩٣).

وعندما وصل التقريرُ إلى استانبول تكفّلت مهرماه سلطان هذا المبلغ من مالها الخاصّ دون أنْ تحمّل ميزانية الدّولة أيّة أعباء، وقامت بزيادة المبلغ إلى ٥٠ ألف عملة فلورية، ودعت إبراهيم بك دفتردار مصر ليكون ناظرًا على أعمال التّرميمات (٩٤)، استمرّ العمل في هذا المشروع الإحيائي للمجاري المائية بمكّة ١٢ عامًا، وشارك فيه ألفُ عامل تقريبًا، وقد عمل إبراهيم بك الدّفتردار ليلَ نهار لكي ينجز هذا العمل على وجْه السّرعة، ولكنْ وافته المنيّة قبل الانتهاء منه، فانتقل الإشراف على العمل إلى قاسم بك متصرّف جدّة، ثمّ منح الإشراف على العمل بعد ذلك لمفتي مكّة حسين بن أبي بكر الحسيني (٩٥).

وقد وصلت المياه إلى مكّة مرّة أخرى بعد الانتهاء من هذا العمل، بل زادت المنابع المائية الموجودة بمكّة، حيث أنشأت الأسبلة الجديدة (٩٦)، وعلى هذا لم يكنْ هذا المشروع تجديدًا لمنابع

المياه فحسب؛ بل كان- أيضًا- لإحياء وتطوير عين زبيدة. وذلك لأنّ عين زبيدة التي حفرتْها السيدة زبيدة كانت تصل إلى عرفات فقط، ولم تصل إلى الأحياء الداخلية بمكة، أمّا في عهد القانوني فقد وصلت المياه إلى داخل مكّة بواسطة حفر الهضاب الحجرية الموجودة بين مكّة وعرفات (٩٧).

وقد ظهرت بعضُ المشكلات الكبرى أثناء العمل في هذا المشروع، وكان مركز الدّولة يصدرُ الأحكامَ لحلّها، وتلك هي بعض المعلومات الموجودة في دفتر المهمّة والمتعلّقة بهذه النشاطات:

لمّا أصبح الحديد الخام والصّلب الذي يجلَبُ من مصر غيرَ كافٍ، تمّ تدعيم هذا من استانبول، وكان يتمّ نقل المعدات والمستلزمات الضرورية إلى مكّة عن طريق مصر(٩٨)، وكان محمد بك المسئول عن تأمين الاحتياجات المطلوبة والتي ترسل من استانبول يرسل الحديد والصّلب من استانبول، وكان يرسل معها الأموال أيضًا(٩٩)، وعندما توفّيَ إبراهيم بك ناظر العمل في هذا المشروع في ٢٤ / شعبان/ ٩٧٥هـ، ٢٣ / فبراير/ ١٥٦٨م؛ تولّى بعده محمد بك ناظر الأموال في مصر (١٠٠).

وكان يرسل كلّ عام من مصر للعاملين في هذا المشروع ١٥٠٠ أردبّ من القمح، و١٠٠٠ أردبّ من الأرز والحمص والعدس والفول(١٠١)، أمّا رواتب العاملين فكانت تخصّص من دخل جمرك جدّة(١٠٢)، ولأنّ فترة العمل في هذا المشروع طالت فقد كان يتمّ تغيير العمّال الذين أصبحوا غيرَ قادرين على العمل بعمّال آخرين جدد (١٠٣).

وفي ٢٧/ ذي الحجة/ ٩٧٨هـ ٢٢/ مايو/ ١٥٧١م صدر الأمر لسنان باشا الصدر الأعظم بأنْ يكون مسئولًا عن تأمين الاحتياجات اللازمة للمشروع من أخشاب ومواد خام؛ وذلك عندما لوحظ أنّ الأموال التي تأتي من جمارك مصر واستانبول وجدّة غيرُ كافية(١٠٤)، وفي ٢٣/ جمادى الأخرى/ ٩٧٩هـ عيّن الشيخ حسين قاضي مكّة الشافعي ناظرًا لعمل في هذا المشروع(١٠٥)، وفي

النهاية تمّ الفراغ من العمل فيه في ١٦/ ربيع الأول/ ٩٨٠هـ/ ٢٧، يوليو/ ١٥٧٢م، ووصلت المياه إلى مكّة، ولامتنان الدّولة من الانتهاء من هذا المشروع الضخم العظيم؛ قامت بإرسال الخُلَعْ للنّظّار الذين أشرفوا على العمل فيه، والهدايا المختلفة لمَن قاموا بالعمل.

وكان إنشاء الأسبلة في الأماكن المختلفة من مكّة ليتمكّن الأهالي من الحصول على المياه بسهولة؛ بمثابة آخر مرحلة متمّمة لهذا العمل (١٠٦).

وفي عام ١٥٧٦م، أي بعد خمسِ سنوات من الانتهاء من هذا العمل، حدث سيل في مكّة فلحقَ الضّرر بقسمٍ من عين زبيدة، وتكلّف إصلاحُه ٢٧ ألف عملة فلورية، وعاد للعمل مرّة أخرى(١٠٧).

وبالرّغم من تعرّض تلك العين لعمليتي ترميمٍ صغيرتين خلال القرن السابع عشر مرّة منها كانت في عام ١٦٣٠م، والثّانية كانت في عام ١٦٨٢م؛ إلّا أنّه يمكن القول بأنه نتيجة لتلك الأعمال الشّاملة التي بدأت من عهد القانوني وحتّى عهد مراد الثالث كانت المياه تنهمر في مكّة لمدّة ٢٠٠ عامًا تقريبًا بواسطة منابع ومجاري المياه التي تمّ حفرها (١٠٨).

وبخلاف ترميم عين زبيدة أوصى السّلطان القانوني- أيضًا- بإيصال مياه العين الموجودة بين جدّة ومكّة إلى مكّة، وقد تولّى هذه المهمّة ابنُه السّلطان سليم الثّاني الذي عيّن قاضي مكّة ومتولّي الأوقاف بها لتحقيق هذه الوصية التي أوصى بها والده، وطلب عمل كشف بعدد الصّهاريج وكمية الأموال اللازمة لتحقيق هذا العمل(١٠٩).

ب- زمزم

كانت بئرُ زمزم هي مصدرَ المياه الوحيد الدّائم في مكّة منذ ظهورها وحتى عهد العباسيّين، ولكن بعد إيصال مياه عينِ زبيدة إلى مكّة أصبحت بئرُ زمزم بمثابة الرمز فقط، ولأنّها من مياه الجنّة لا تقل، ولأنّها محفوظة في مركز المدينة فلا تؤثّر فيها عوامل الطبيعة، لذا عندما نقيس

الخدمات التي تمّت لبئر زمزم خلال القرنين السّادس والسّابع عشر ببقية الآبار الأخرى نجد أنها قليلة للغاية، وفي عام ٩٨٥هـ ١٥٧٦م أمر السّلطان مراد الثالث ببناء بئر زمزم من جديد نظرًا لتهدّمها [١١٠]، أمّا في عام ١٠٢٤هـ ١٦١٥م فقد أمر السّلطان أحمد الأوّل بعمل سياجٍ حديدي على زمزم، ممّا أدّى إلى سحب المياه بسهولة [١١١].

ج- عينُ الزّرقا

كانت المدينة لا تعاني من مشكلة المياه بقدر ما تعاني منها مكّة، إلّا أنه ظهرت في بعض الأوقات بعضُ الضّائقات المائية بسبب ازدياد أعداد المسلمين في وقت الحجّ، ولأنّ بعض المسلمين يفضّلون الإقامة في المدينة، ولإزالة تلك المشكلة تمّ توصيل مياه بئر عين الزرقا إلى المدينة بواسطة القنوات المائية، وعين الزرقا هذه بئرٌ عظيمة تقع في روضة الجعفرية في الجهة الغربية لجامع القبّة، وقد أضيفت اللواحقُ المختلفة لهذه العين في عهد القانوني وتمّ توسعتها.

وبالرّغم من قيام السّلطان القانوني بتطهير وتوسيع هذه العين، إلّا أنّ صقوللو محمد باشا عيّن السيد أحمد نقيب أشراف المدينة ليقوم بتطهير هذه العين عام ٩٨٠هـ ١٥٧٢م، وعلى الفوْر اشترى السيد أحمد بئري النّبي وخاتمة الواقعتين على حدود قرية القبّة، وضمّهما إلى عين الزّرقا، بخلاف قيامه بعمل الترميمات اللازمة، ووسّعت قنوات المياه، وتمّ توزيع المياه إلى الأحياء المختلفة في المدينة، وإلى أربطة الفقراء، وأنشأ حمّامًا عند آخر نقطة وصلت المياه إليها بالقرب من مدرسة خاصكي سلطان[١١٢]، واشترط صقوللو محمد باشا إحضار سبعين صينية من مياه هذه العين كلّ يوم لتوضَع في المكان المعروف بميزان الشمس بالحرم المدني.

وعندما اشتكى الأهالي من قلّة المياه في المدينة على عهد السّلطان مراد الثالث أمر بإنشاء سبيلٍ بالقرب من باب مصر، وعيّن لكلّ خادم من خدّامه ستة أقجات يوميًّا، كما عيّن لهم ٥٠ أردبًّا من القمح سنويًّا، وطلب توزيع المياه على الأهالي بواسطة السّقائين[١١٣]، وقام السّلطان مراد

الثّالث- أيضًا- بتوسعة بئر غربالي عام ٩٩٩هـ ١٦٨٦مـ، فأصبحت مياهها عشرة أضعافِ ما كانت عليه قبلَ ذلك، وبذلك تمّ القضاء على مشكلة المياه في المدينة المنورة تمامًا(١١٤).

وقد أمرتِ الدّولة بإنشاء الأسبلة في الأماكن المختلفة في مكّة والمدينة بخلاف المنابع الكبرى المذكورة سابقًا، وهذه الأسبلة كانت عادةً عند الأتراك في الأناضول ووسط آسيا منذ دخولهم الإسلام.

وفي عام ٩٨٨هـ ١٥٨٠م أنشئ العديدُ من الأسبلة في مكّة، وأنشأت المدارس حول تلك الأسبلة، وكانت يومية السّقّا لهذه الأسبلة خمسة أقجات (١١٥).

ويمكن القول أنّ معظم الخدمات التي تمّت في مجال المياه في الحرمين قامت بها الدولة، وذلك لأنّ تدارك المياه في مكانٍ يندر فيه الماء أمرٌ غيرُ سهل، لذا وجدنا أنّ كلّ النفقات الباهظة المتعلّقة بالمياه في الحرمين كانت تُنفق من جانب الدولة، أمّا ما قام به الأشخاص في هذا المجال فكان ينحصر في إنشاء الأسبلة في طريق الحجّ، وتوزيع المياه وسحب المياه من الآبار.

على سبيل المثال خصّصت خديجة طورخان سلطان في وقفيتها ٨٠٠، ٧ (٨) ريالًا لمواجهة احتياجات المياه في

الحرمين والحجّاج، واشترطت في وقفيّتها هذه أنْ يمنح رئيس السّقائين في المدينة ٣٠٠٩ ريالًا منها، و٦٠٠٠ منها

توزّع بمعرفة أغا دار السّعادة على الأهالي لمواجهة نقص المياه، والباقي وهو ١٥٠٠ ريالًا يتمّ التحفظ عليه (١١٦).

---

٨ - الأرقام الواردة في الوقْفيّات وفي الجداول نُقلت كما هي من الأصل .

كما أحسنتْ نفس السيدة بمائة قرشٍ أسدي على المحافظين على بركة الجديرة[١١٧] الموجودة بالقرب من المدينة المنورة، وهي من المراكز التي تؤمن المياه إلى المدينة، كما خصّصت ٧٠ قرشًا أسديًا أخرى لتستخدم في ترميم هذا المنبع عند الضرورة [١١٨].

أمّا لاله مصطفى باشا فقد أسّس وقفًا لإنشاء سبيل وبركة في المدينة المنورة[١١٩]، أمّا زوجته فاطمة خاتون فقد خصّصت ٢٠٠ دينارًا لمواجهة الاحتياجات العاجلة لعين الزرقا، وخصّصت ٩٠٠ دينارًا أخرى لمواجهة احتياجات المياه في المدينة المنورة [١٢٠].

أمّا مصطفى باشا كمانكش الذي كان وزيرًا أعظمَ فقد أمر بإنشاء خطّ مياه جديد في مكّة يختلف عن الخطوط الموجودة؛ وذلك لمواجهة احتياجات مكّة من المياه، أمّا في المدينة فقد أمر بإنشاء برجا يرى خطّ مياه عين الزرقا من أعلى، وذلك لمعرفة ما يحدث به من أيّ أعطال ليتمّ إصلاحُها بسرعة، وبخلاف هذا خصّص الواقف ٢٥٠٠ سكة سنوية لفقراء الحرمين الشريفين [١٢١].

واشترط مصطفى أغا- أغا دار السّعادة- في وقفيّته أنْ يخصّص ١٢ سقاءًا لحمل المياه للحجّاج المصريين الفقراء أثناء تأدية فريضة الحج[١٢٢].

كما خصّص محمود جلبي ابن إبراهيم باشا ٢٠ سكّة من أوقافه التي في إزنيك للسقائين الذين يحملون المياه للحجاج [١٢٣].

وقام سنان باشا فاتح اليمن بتأدية فريضة الحجّ عام ٩٧٨هـ ١٥٧١م وأمر بإنشاء سبيل في مكّة ليكون ذكرى لمجيئه إلى مكّة [١٢٤].

وأسّس المعمار سنان سبيلًا ورباطًا للخيل في مكّة لخدمة البشر والدواب[١٢٥].

وإلى جانب أهمية الأعمال التي كانت تتمّ في مكّة والمدينة للمياه كانت- أيضًا- التّنظيمات المتعلّقة بوظائف أوقاف المياه تحمل نفس الأهمية، على سبيل المثال صدر حكم في ١٧/ رمضان / ٩٩٣هـ

جاء به أنّه بالرّغم من أنّ الموظّفين المسئولين عن أسبلة الأوقاف الموجودة في مكّة يتقاضون أجورهم كاملة إلّا أنّهم لم يقوموا بالرّعاية والصيانة الواجبة في خطوط المياه، كما أنّهم لم يقوموا بإكمال المياه في الأسبلة الموجودة بالمدينة؛ ممّا أدّى إلى حدوث أزمة كبيرة، ولأنّ شكوى الأهالي من هذا الموضوع وصلت استانبول؛ صدرت الأوامر من استانبول للإداريّين- وهُم قاضي مكّة وأمير جدة- بسرعة التحرّك في هذا الشأن، وطلب منهم فصل المقصّرين في أعمالهم وسرعة ملء الأسبلة. وطلب منهم- أيضًا- تعيين مَن يكون لائقًا بهذه الوظائف (١٢٦).

٢- أوقافُ الكسوة

الكسوةُ اسمٌ يطلق على غطاء بعض الأماكن المقدّسة، وعلى رأسها الكعبة والحجرة النبوية.

وبعد أنْ آلت منطقةُ الحجاز إلى الدّولة العثمانية، أمر السّلطان سليم باستمرار التطبيقات التي كانت متّبعة من عهد العباسيّين والمماليك بالنسبة لأوقاف الكسوة وكسوة الكعبة، بل إنه لم يكتفِ (١٢٧) بهذا فحسب؛ بل أمر بتخصيص معوناتٍ مادية من خزينة الدّولة لصنع الكسوة(١٢٨)، ووصلت المخصّصات السنوية المخصّصة لصنع الكسوة ٥٠٠ ألف عملة، وكان هذا المبلغ يزيد في عهد كلّ سلطان مِن بعده حتّى وصل إلى ٥٦٥٠٠٠ عملة عام ١٠٨٢هـ ١٦٧١م(١٢٩).

وأوّل مَن قام بتخصيص الأوقاف من أجل الكسوة من السّلاطين العثمانيين هو السّلطان سليمان القانوني، فقد أوقف عام ٩٤٧هـ ١٥٤٠م الدّخل السنوي لقرى باسوس وأبو الغيث وحوض البيكماس وسالكة وصابر وجانجة وقريش الحجر وكوم ريحان والمنايل وبيجام ومنية النّصارى؛ ليستخدم في صنع الكسوة (١٣٠) وقد حقّقت تلك القرى دخلًا سنويًّا يقدّر ١٥٢، ٣٤٥ درهمًا شريفًا عام ٩٤٧هـ ١٥٤٠م (١٣١).

وبالرّغم من أنّ الإداريّين العثمانيين أوقفوا الأوقاف الجديدة، وخصّصوا مخصّصات جديدة للكسوة منذ عام ٩٢٣هـ ١٥١٧م، إلّا أنّهم لم يغيّروا المكان الذي يتمّ صنعُ الكسوة فيه.

وبمقتضى الحكم الصّادر يوم الخميس الموافق ٢٩/ ذي الحجة/ ٩٧٩هـ ١٣ / مايو/ ١٥٧١م تمّ تغيير لونِ الكسوة من اللّون الأسود إلى اللون الأبيض؛ وذلك لعدم تحمّل اللون الأسود لحرارة الشّمس العالية ممّا يؤدّي إلى تمزّق الكسوة بعد فترة قصيرة من تعليقها، ولكن بعدَ فترة تمّ خلط اللونين الأبيض والأسود فأصبح لونُ الكسوة من اللونين (١٣٢).

وفي ٢٣ / محرم/ ٩٨٥هـ ١٢/ ٤/ ١٥٧٧م صدر حكمٌ لأمير أمراء مصر يقضي بعدم كتابة آياتٍ من القرآن الكريم على الإطار السّفلي للكسوة نظرًا لأنّ الحجّاج يقومون بالتعلّق بأهداب الكعبة في وقت الحجّ ممّا يؤدّي إلى تمزّق هذا الإطار المكتوب عليه الآيات القرآنية (١٣٣).

وفي ٢٨/ جمادى الأخرى / ٩٨٩هـ ٣١/ يوليو/ ١٥٨١م صدر حكم يقضي بصنع كسوة الرّوضة المطهّرة من الأطلس، وينقش عليه بالحرير الخالص (١٣٤).

وقد أهدى السّلطان محمد الثالث كسوةً قيّمة للغاية للمسجد النبوي لتفرش على الروضة المطهّرة، كما أهدى سجادةً أخرى قيّمة للمحراب (١٣٥).

كسوةُ استانبول:

كان الإداريّون العثمانيون يرسلون الكسوةَ من مصر حتّى عام ١٠١٨هـ ١٦٠٩م، وذلك حتّى أصدر السّلطان أحمد الأوّل فرمانًا يقضي بنقل صنع الكسوة إلى استانبول، وخصّص لهذا العمل يوسف كشكو، وقد كانت الكسوةُ التي تمّ صنعُها في استانبول في هذا العام مِن أقْيَم وأغلى الكسوات التي أرسلت إلى مكّة حتّى ذلك التاريخ، فقد استخدم فيها قطنًا يقدر بثمانية وأربعين ألف درهمٍ، وكانت بعرض ألف وستّين ذراعًا، وقد أرسلت إلى مكّة في جمادى الأول من نفس العام (١٣٦). وفي العام التّالي، تمّ صنع كسوةٍ لحجرة السّعادة ومرقد فاطمة في استانبول(١٣٧).

أمّا في عام ١٠٢١هـ / ١٦١١م فقد تمّ تجديد كسوة الكعبة التي أرسلت قبل ٣ أعوام من هذا التّاريخ، وكذا كسوة المدينة، وتمّ شغلهم بالألماس، وتحمّلت الخزينة مصاريف هذا التجديد . (١٣٨)

وبعد نقلِ مكان صنع الكسوة إلى استانبول يتبادر إلى الذّهن سؤال، وهو: ماذا حدث للأوقاف التي كانت مخصّصة للكسوة في مصر؟، والإجابة هي أنّه من المحتمل أنها كانت تخصّص لجملة الأوقاف التي كانت مخصّصة للحرمين في مصر، أو أنها كانت ترسل إلى الخزينة في استانبول مع بقية الأموال التي كانت ترسل من مصر.

أمّا الكسوات التي كانت ترسَل حتّى آخر عهد العثمانيّين فكان يصنعها أسرة سعود التي تحكمُ منطقة الحجاز في الوقت الحالي، وآخر كسوة وردَتْ للكعبة من الخارج كانت الكسوة المرسَلة من مصر عام ١٩٦٢م، ولأنّ كسوة الكعبة تجدد كلّ عام؛ فإنّ القديم منها يقطع ويرسل إلى سلاطين المسلمين، وفي مقابل هذا كان هؤلاء السّلاطين يرسلون الهدايا المختلفة القيمة للحرمين.

الخدماتُ الإنشائية:

كانت الخدماتُ الإنشائية، وعلى رأسها الكعبة والمسجد النبوي، التي قامت بها الدول الإسلاميّة المختلفة التي حكمتِ الحجاز في التّاريخ الإسلامي لها أهمية كبرى، ولأنّ مكّة قد أسّست في وادي فقد أحيطت المدينة كلّها بما فيها الأماكن المقدّسة بسورٍ يحميها من هطول الأمطار الشّديدة، ولأنّها كانت تتعرّض للسيول الغزيرة في بعض الأوقات كانت المدينة والكعبة تتعرّضان للدّمار من جرّاء تلك السيول، كما أنّ ازديادَ أعداد المسلمين وأعداد الحجّاج الوافدين لمكّة في وقت الحجّ كان سببًا في عدم كفاية الأماكن والأحياء في مكّة لاستيعاب تلك الأعداد الكبيرة، وكان الحلّ الوحيد لذلك هو توسيعَ المسجد الحرام أو هدمه وبناءه من جديد إذا تتطلب الأمر، ولأنّ الأعمال العمرانيّة والإنشائية كانت تتطلّب أموالًا كثيرة وقوة بشرية هائلة، فكانت الدّولة في معظم الأوقات تتكفّل بتلك المصاريف من خزينتها، ولم يكنْ في استطاعة أيّ ثريّ من الأثرياء مهْما بلغت ثروته أنْ يتكفّل بتلك الأعمال الإنشائية بأن يؤسّس لها وقفًا، أي أنّ الأوقاف وحدَها لم تكنْ تكفي لعمل تلك الخدمات الإنشائية، ولكنّها كانت عاملًا مساعدًا في تلك الخدمات، ونريد الآنَ أنْ نلقي نظرةً مختصرة على تلك الخدمات التي تمّت عن طريق الأوقاف.

أ ـ الأعمالُ الإنشائية التي تمّتْ في المسجد الحرام

بدأ أوّلُ عملٍ إنشائي للكعبة عام ٩٥٩هـ ١٥٥٢م، وتمّ العمل من أوّل قسمٍ منه في ٩٦٤هـ ١٥٥٦م، وأسّست فيها مآذن للمسجد الحرام تشبه تمامًا مآذن مسجد السليمانية(١٣٩)، وقبل ذلك التّاريخ بثلاث سنوات أهدى السّلطان القانوني منبريْن فخمين ليوضعَا في المسجد الحرام والمسجد النبوي، كتب عليهما الآية(١٤٠) "إنّه مِن سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم" (١٤١).

وقد عيّن السّلطان القانوني كلًّا من المعمار سنان ومحمود باشا ليقوما بحلّ مشكلة البيت الحرام الذي كان يمتلئ بالمياه حتّى من أصغر سيلٍ يهطل على مكّة، ولم يستطع أي شخص أنْ يجدَ له حلًّا قبل ذلك، فقاما بتعلية أعتاب التّسعة والثلاثين بابًا الموجودة بسلمٍ حجري يبلغ عددُ درجاته ٦ درجات.

وبذلك أصبح بيتُ الله بمثابة القلعة المبنية على ربْوة حولها مُنخفض، وأنْقذ الحرم بذلك من المياه (١٤٢).

وقد انهمر سيلٌ على مكّة كالذي انهمرَ عليها عام ٩٧٩هـ، وتهدّمت الحوائط التي تحيط بالكعبة، وبمجرّد أنْ وصل الخبرُ إلى استانبول أرسل السّلطان كميّةً كافية من المال لأمير مكّة الشّريف حسين الحسيني، وطلب منه أنْ يقوم بعمل التّرميمات اللازمة، ولم تنتهِ تلك الترميمات إلّا في عهد السّلطان مراد الثالث (١٤٣).

ولأنّ الأروقةَ الموجودة بالحرم وأسقفَها كانت من الخشب، ولأنّها كانت تتهدم في فترةٍ قصيرة بالرّغم من التّرميمات التي تتمّ بها، فقد أصدر السّلطان سليم الثاني فرمانًا يقضي ببناء الحوائط الجانبية والعلوية للحرم، والتي تعوق العبادة والطواف من جديد، وعلى هذا تمّ هدم الأروقة وأسقفها الخشبية، وبُنيت بدلًا منها أروقة ذات أعمدة رخامية وقباب عالية(١٤٤)، وقد كلّف سنان باشا رئيس معماريّي مصر بإنجاز هذا العمل، فطلب من الأمير أحمد أحد أمراء مصر أنْ يعدّ كلّ

المستلزمات اللّازمة لهذه الترميمات، وأنْ يرسلها في فترةٍ وجيزة إلى مكّة. وصل أحمد بك إلى مكّة في فترةٍ قصيرة كما طلب منه، وشرع في هدم الأماكن التي ستبنَى من جديدٍ في أواسط ربيع الأوّل ٩٨٠هـ، ثمّ بدأ في العمل بدعوات كبار رجال مكّة[١٤٥]، وجُلب الأسطوات والعمّالُ الذين سيعملون في هذا البناء من حلب[١٤٦]، وأرسلت أحكامًا إلى أمير أمراء الشّام[١٤٧] وأمير حلب[١٤٨] وشيخ الحرم المكّي بسرعة إنجاز هذا العمل[١٤٩]، وطلب السّلطان أنْ تبنى قبّة كبيرة على الكعبة تستقرّ تلك القبة على أربعين عامودًا رخاميًّا وعشرين عامودًا طبيعيًّا[١٥٠]، وأخذ من خزينة مصر ١٠ آلاف عملة فلورية لهذا العمل [١٥١].

وفي ٨/ جمادى الأخرى/ ٩٨١هـ ٧/ ١٠/ ١٥٧٣م أرسلت ٢٠٠ قطعة من الحديد من استانبول إلى مكّة عبر طريق الإسكندرية السّويس جدّة[١٥٢]، وأثناء العمل حفرت أسس الكعبة بعمقٍ شديد حتّى لا يحدث لها ضررٌ من السيول أثناء العمل([١٥٣])، ولكن في ٥/ جمادى الأولى / ٩٨٣هـ حدث سيلٌ عظيم أغرقَ الكعبة بالمياه، ولم يتمكّن الناس من الصلاة في الحرم سبع فروضٍ متتالية، وانتظر أحمد بك انسحابَ المياه، ونظّف الكعبة مرّة أخرى، وجعلها في حالة صالحةٍ للعبادة[١٥٤].

وأخيرًا تمّ الفراغ من هذه الأعمال في ٢٣/ شعبان/ ٩٨٣هـ، ٢٨/ ١١/ ١٥٧٥م، وأرسل الخبر إلى السّلطان بذلك، فأرسل السّلطان رسالة إلى أمير مكّة يخبره بسعادته البالغة من هذا، وطلب منه الاهتمامَ بهذا الشّكل في كلّ المسائل المتعلقة بالدين والدولة[١٥٥]، وأرسل الخُلع للإداريّين الذين كانوا يتولّون الإشراف على هذا العمل[١٥٦]، وكانت المقاييس الداخلية للمسجد الحرام بعد هذه الإنشاءات على ما يلي: طول النّاحية الشمالية من أمام حاتم ١٦٤مترًا، وطول النّاحية الجنوبية ١٦٦ مترًا، وطول النّاحية الشرقية الموجود بها باب السلام ١٠٨ مترًا، أمّا النّاحية الغربية ١٠٩مترًا، وبالتّالي أصبح مجموع الكلّ ٩٠٢، ١٧ مترًا مربّعًا، أمّا المقاييس الخارجية فبلغ عرضه ١٣٢ مترًا، وطوله ١٩٢مترًا، وبذلك يكون مجموعه ٣٤٤، ٢٥ مترًا مربّعًا[١٥٧].

ويوضّح هامر أنّه كان بالمسجد الحرام في هذا الوقت ٣٦٠ قبة، وورد في دفاتر المهمّة أنّ تلك القباب تكلّفت لإنشائها ٦٠ ألف عملة فلورية، أمّا بقية الأعمال الأخرى فقد تكلّفت ١٠٠ ألف عملة فلورية [١٥٨].

ولأنّ المساحة التي كانت تحيط بالكعبة كانت مغطّاة، وكانت تعوق الطواف والمصلين، فقد طلب بعضُ كبار رجال مكّة المساعدة من السّلطان في هذا.

ووجد السّلطان مراد الثّالث هذا الطلب في محلّه، وأمر بتغطية أرضية المسجد بالأعمدة الرّخامية[١٥٩]، وقد كان كبار رجال مكّة الذين تقدّموا بالطلب أولًا ضدّ إنشاء الأعمدة الرخامية في المسجد الحرام لما فيه من المغالاة والتّرف، ولكن السّلطان وكبار رجال الدّولة في استانبول كانوا مُصرّين على أنْ يتمّ بناء سقف المسجد الحرام بالرّخام، وفي النهاية تمّ إقناع المخالفين، وشرعَ في العمل، وغطّيت أرضيةُ المسجد بالرخام، كما كانت الأعمدة بالرخام- أيضًا- (٩٨٣هـ ١٥٧٥ م)[١٦٠].

قيامُ السّلطان مراد الرّابع ببناء الكعبة من جديد

في تمام السّاعة الثّانية صباحًا يوم الخميس الموافق ١٩/ شعبان/ ١٠٣٩هـ الموافق٣/٤/١٦٣٠م، انهمر سيلٌ عظيم على مكّة، وفي غضون فترة قصيرة غمرت المياه المسجدَ الحرام، ودخلت الكعبة، ومات في هذه الحادثة ما يقرُب من ألف إنسان، كما نفقت الكثيرُ من الدّواب[١٦١]، وانشطرت جبهة الحائط الشّمالي للكعبة إلى قسمين، أمّا الحائط الشرقي فقد انهارَ تمامًا، ولحق الضّرر ببقية الحوائط الأخرى.

وعندما رأى إداريّو مكّة هذا الوضعَ الذي آلت إليه مكّة والكعبة أخبروا استانبول على الفور، وجلب هذا الوضع المُخيف حزنًا عميقًا في العالم الإسلامي، وحتى يتدارك إداريو مكّة الوضعَ قاموا بتغطية سقف الكعبة بأفرع النّخيل، وذلك لأنّ موسم الحجّ كان يقترب، ثمّ وضعوا

الكسوةَ الخضراء على تلك الأفرع، وقام أميرُ أمراء مصر بإرسال رضوان أغا إلى مكّة، وبعد أنْ تشاور رضوان أغا مع إداريّي مكّة اتّفقوا على أنْ يفعلوا ما في وسعهم لتطهير الحرم من الأوْحال الموجودة به، فقد كانوا يخرجون في اليومِ الواحد من داخل الحرم ومن الطرقات المؤدّية للحرم ٣٠ أو ٤٠ ألفَ حملٍ من الطّين، وانتهى العمل في ١٩/ ذي القعدة/ ١٠٣٩هـ، وبذلك أصبح الحرم في حالةٍ يستعدّ بها لاستقبال الحجّاج(١٦٢)، واستمرّ رضوان أغا في أعمال التّنظيف والتطهير للأماكن المجاورة للحرم والأماكن الهامّة الموجودة بمكة، وفي تلك الأثناء قرّر الديوان الهمايوني بناءَ الحرم الشريف والكعبة من جديد، وعيّن أمير أمراء مصر ليتولّى مهمّة عمل الاستعدادات اللازمة لهذا الأمر (١٦٣).

وثمّة معلومات متفرّقة في دفاتر المهمّة الخاصّة بهذا العهد بخصوص هذه الفاعليات الإنشائية التي تحقّقت في عهد السّلطان مراد الرّابع، إلّا أنّ رشدي صالح الملحاس الذي قام بتحقيق كتاب الأرزقي قد أضاف سيرَ هذه الإنشاءات في شكل متفرّع للغاية (١٦٤).

وفي تلك الأثناء- أيضًا- تمّ ترميم المقام الشّريف، وفُرش المسجد بالحصى، كما فرشت الكعبةُ بالرخام، وأصلحت الطرق التي تسير من عليها (١٦٥).

وفي ٢٣/ ذي الحجة/ ١٠٩١هـ ١٦/ ١/ ١٦٨١م انهمر سيلٌ كبير على مكّة المكرمة، تهدّم من جرّائه ١٥٠ منزلًا، ومات ٢٥ رجلًا، وهلك ٥ آلاف حيوانٍ، وعندما سمع سلطان العصر السّلطان محمد الرّابع بذلك؛ أرسل لمكّة سليمان باشا ليشرف على الترميمات اللازمة (١٦٦).

وقد اضطلع العثمانيون بعمل تجديداتٍ لبعض الأماكن المقدسة الأخرى الموجودة في مكّة بخلاف الكعبة، فقد قام السّلطان سليمان القانوني بتجديد المنزل الذي ولد فيه النبي- صلّى الله عليه وسلّم- بعد أنْ تهدّم، واستمرّ هذا المنزل حتّى عهد السّلطان محمود الثاني حتّى قام هذا السّلطان بتجديده عام ١٨٠٥م على نفس شكله وهيئته الموجودة حاليًا(١٦٧).

ب- الأعمالُ الإنشائية التي تمّت للمسجد النبوي

جرى أوّلُ نشاطٍ عمرانيّ إنشائي للمسجد النبوي في عهد العثمانيّين في عهد السّلطان سليمان القانوني، فقد أمرَ في عام ٩٤٠هـ ١٥٣٤م بعمل بعض التغيرات الصّغيرة في المسجد النّبوي وباب السلام، ولكن أوّل عملٍ إنشائي كبير تمّ عام ٩٤٧هـ ١٥٤٠م حيث تمّ تجديد باب الثّناء وباب الرحمة والمحراب الحنفي في هذه التجديدات(١٦٨)، استمرّت هذه التجديدات عامًا، وأخذ المسجد النبوي بعدها طابع العمارة العثمانية.

وبخلاف تلك التّرميمات التي كانت تتمّ عند الضرورة والحاجة كانت هناك بعض الأقسام التي يتمّ ترميمها كلّ ١٥ عامًا بشكل مُعتاد، وهي: الرّوضة المطهرة، مقصورة الحرم النبوي، منبر النبي، محراب التهجّد، أبواب الروضة المطهرة، محراب ابن عباس وضريحه، قبر سيدنا علي، وقبور الحسن وفاطمة بنت أسد(١٦٩).

وتوجد تسجيلاتٌ مختلفة في دفتر المهمّة تتعلق بالترميمات المطلوب عملها أو التي عملت على الأماكن المقدسة الموجودة في المدينة، وعلى رأسها المدينة المنورة، وتلك هي هذه الوثائق:

حكمٌ صادر بتاريخ ١٠/ محرم/ ٩٧٨هـ ١٤/ يونيو/ ١٥٧٠م لسنان باشا بأن يتمّ تدارك ٦٠ ألف عملة فلورية من خزينة مصر لترميم طرق المياه بعرفات والحرم النبوي الشريف(١٧٠).

حكمٌ صادر بالإحسان على القاضي حسين بسبب الهمّة التي أظهرها في عملية الترميمات التي تمّت بالمسجد النبوي والفراغ منها بشكل سريع عام ٩٨٣هـ ١٥٧٥م(١٧١).

وتلك هي نشاطات التّرميم والتزيين التي تمّت بالروضة المطهرة: في ١٢/ صفر/ ٩٨٧هـ ١٠/ ٤/ ١٥٩٧م، تمّ تزيين قبر النبي والمنبر والقبّة بالنجوم، كما تمّ ترميم قبر عثمان، كما أرسل من مصر ١٠ آلاف عملة فلورية للمدينة لعمل صنابير للمياه تفي باحتياجات الزوار الذين يأتون لزيارة المدينة (١٧٢).

وفي ١٠١٠هـ ١٦٠١م، تمّ تجديد الروضة كلّها، وقد بدأ المعماري بحيرة في هذا العمل في ١٦/ ربيع الأول/ ١٠١٠هـ، وكان يعمل في اليوم الواحد ١٣ عاملًا و١٣ أسطى، وكانت يوميّة الأسطوات ١٤٧ عملة فلورية، أمّا العمّال ٤٦ عملة فلورية، ولم يكن هذا الرّقم ثابتًا طوال فترة العمل، على سبيل المثال كان يُعطى لسبعةٍ من الأسطوات ٢٨ عملة فلورية في ٢٠/ جمادى الأخرى ١٠١٠هـ، وبعدها بثلاثة أيام مُنح هؤلاء الأسطوات ٣١ عملة فلورية، أمّا في ٤/ ربيع الأوّل/ ١٠١٠هـ فقد أعطى لثلاثة عشر أسطى ٤٦ عملة فلورية.

وانتهى العملُ في ١١/ ربيع الأخر/ ١٠١١هـ وبلغ مجموع ما أخذه الأسطوات والعمّال ١٧٤، ٨٠ عملة فلورية، نضيفُ إليها ٤٥٧، ٤٤ عملة فلورية مصاريفُ للإنشاء، وبذلك يكون المجموع الكلّي ٦٤٩، ١٢٤ عملة فلورية (١٧٣).

وفي عام ٩٨٨هـ ١٥٨٠م، بدأت علاماتُ الانهيار تظهر على قباب المكان المعروف بالخزينة بالمسجد النبوي، وعلى هذا تحرّكت الدّولة بشكل سريع لعمل التّرميمات اللازمة له (١٧٤).

أمّا في عام ٩٩٣هـ ١٥٨٥م، تمّ ترميم حوائط المسجد النبوي حتّى باب النساء، وتكلّف هذا العملُ ١٠ آلاف عملة فلورية(١٧٥)، وفي نفس هذا الوقت اكتشف أنّه يجب ترميم قلعة ينبع والأربطة الموجودة حول المدينة، وتكفّلت الدّولة بالمصاريف اللازمة لهذا العمل، وبلغت ٩٧ ألفَ عملة فلورية، وحتى تتمكّن الدّولة من تأدية هذا العمل تمّت إذابة القناديل الذهبية والفضية التي كانت موجودة بمخزن المسجد النبوي(١٧٦).

واستمرّت الإنشاءاتُ حتّى عام ١٠٠٣هـ ١٥٩٤م، وعمل بها العديدُ من العمّال وفنّاني النّقوش اليدوية، وكان المعماريون يأخذون ١٠ أردبات من القمح شهريًّا و٣٠ بارة يوميًّا، أمّا الأسطوات والعمّال فكانوا يأخذون ٥ أردبات من القمح شهريًّا و١٢ بارة يوميًّا (١٧٧)، وأثناء هذه الأعمال الإنشائية أضيفت الأقسامُ الجديدة للمسجد

النبوي، فقد وسّع المسجد النبوي ليستوعب صفّيْن من المصلّين زيادةً على ما كان عليه، وأنشئت دارٌ للحديث ملاصقة للحائط الذي يطلّ على القبلة (١٧٨).

ومن دخل وقفِ السّلطان أحمد بقرية باب الرحمة القريبة من المدينة، تمّ بناءُ منزل لإسكان العاملين في الروضة المطهرة.

وفي عام ١٠٨٠هـ ١٦٦٩م، كتب استدعاءٌ لشخص يدعى محمد ظافر بأنْ يحضرَ إلى القصر بخصوص هذا المنزل لكونه واقعًا بالقرب من الروضة المطهرة، وأنّه خصّص له (١٧٩).

وفي ٣/ جمادى الأخرى / ٩٩٨هـ ١٢/ ٤/ ١٥٨٩م تقرّر أنْ تؤدّي خزينة مصر ٢٠٠ ألف عملة فلورية كبدلِ تملّك لأصحاب المنازل المحيطة بالكعبة، والتي ستهدَمُ بهدف تأمين إمكانية التحرّك بسهولة ويُسْر أكثر (١٨٠)، ولم يفصّل بالوثيقة أيّة معلومات عن أسماء أصحاب تلك المنازل أو مقدار الأموال التي تلقّوها.

ولم تكنِ التّرميمات والتجديدات مقتصرةً على الأماكن المقدسة والأماكن التّاريخية في المدينة فحسب، ففي ٤/ شعبان / ٩٧٣هـ الموافق ٢٥/ ٢/ ١٥٦١م طلبَ من أمير أمراء مصر أنْ يخصّص بعض المخصّصات لإنشاء مخزن في أحد أركان الحرم من أجل حفظ صدقات النّذور التي تَردُ إلى المدينة المنورة (١٨١).

٣- تزيينُ وإضاءةُ الأماكن المقدّسة الموجودة بالحرمين

أسّست الأوقاف في العهد العثماني بهدف أنْ تتّخذ الأماكن المقدسة بمكّة والمدينة وضعًا يخاطب الرّوح والعين معًا. ولم تكنِ الأبنية التي أنشئت أو رمّمت من

جديد على شكلٍ وهيئةٍ بسيطة عادية، بل زيّنت بالزينات الجميلة والثمينة لتعطي راحةً معنوية وطمأنينة داخلية للإنسان.

ويعدّ سيدنا عثمان بن عفان أوّلَ مَن قام بتزيين المسجد النبوي في التاريخ الإسلامي(١٨٢)، أمّا الوليد بن عبد الملك الأموي فهو أوّلُ مَن زيّن بيت الله الحرام بالذّهب (١٨٣).

وقام السّلطان المملوكي قايتباي بترميم قبر النبي- صلّى الله عليه وسلّم- كلّه، وزيّنه بالزينات القيمة الثمينة، وذلك بسبب الرؤيا التي رآها عام ٨٧٢هـ ١٤٦٧م (١٨٤).

أمّا في العهد العثماني، فقد تمّ تزيين منبر وقبّة الروضة المطهرة بالنجوم في ١٢/ شوال/ ٩٨٧هـ

٢/ ١٢/ ١٥٧٩م، كما تمّ ترميم قبر سيدنا عثمان، وأرسل ١٠ آلاف عملة فلورية للإنفاق على تلك

الزينات(١٨٥).

ولعلّ أهمّ ما يلفتُ الانتباه في الزينات التي تمّت في الحرمين هي ما قام به السّلطان أحمد الأوّل حيث أحاط الكعبة المشرفة بإطارٍ من ذهب، فكما أوضحنا سابقًا أنّه بسبب الظّروف الطبيعية الموجودة بمكّة فإنّها معرّضة في كلّ وقت لطغيان المياه عليها وتهدّم الأبنية الموجودة بها، ولأنّ حوائط الكعبة تشقّقت تمامًا عام ١٠٢١هـ ١٦١٢م أراد السّلطان أحمد الأوّل أنْ يقوم بهدمها كليّة ويبنيها من جديد، ولكنّ علماءَ العصر وقفوا ضدّه في هذا المطلب، واقترحوا عليه أنْ يحيط الحوائط المشقّقة بإطار قويّ متين بدلًا من هدمها وبنائها من جديد، فرأى السّلطان أنّ هذا الرأي مناسبٌ

فوافق عليه، وعلى الفور أمر بصنع إطارٍ من الذهب تكلّف صنعُه ٨٠ ألف عملة فلورية ليحيط بأركان الكعبة (١٨٦)، وقد حافظ الإطار على الكعبة من الانهيار لمدّة عشرين عامًا تقريبًا، وأزيل الإطارُ من مكانه أثناء بناء البيت من جديد في عهد السّلطان مراد الرابع.

وقد أرسل السّلطان أحمد قنديلًا يسمّى "قنديل الليل" ليعلق على حجرة السّعادة، كان مزيّنًا بمائتي وسبع وعشرين قطعة من الأحجار الثمينة والذهب والياقوت، وكان السّلطان محمد الثّالث قد اشترى هذا القنديل بخمسين ألف عملة فلورية، وتركه لابنه بعد وفاته(١٨٧)، أمّا في عام ١٠٢٤هـ ١٦١٥م فقد أهدى للكعبة المعظّمة هديتيْن من الألماس بقيمة ٨٠ ألف عملة فلورية خالصة، وعلقت هذه الهدايا الألماس على الرّوضة المطهرة برأي شريف مكّة(١٨٨)، وهذا عمل آخرُ قام به السّلطان أحمد وهو صنعُ منبر من الرخام الأبيض للمسجد النّبوي(١٨٩).

والحاصلُ أنّ تزيين المسجد النبوي والحفاظ عليه نظيفًا كان عملًا جميلًا استمرّ من عهد النّبي صلّى الله عليه وسلم، حتّى أنّ النّبي سعى بنفسه للحفاظ على نظافة المسجد (١٩٠).

وبعد أنْ آلتِ الحجاز للعثمانيّين أرسل السّلطان سليم إلى الحرمين الكثيرَ من وسائل الإضاءة بُغْية إضاءة الأماكن المقدّسة، من ذلك أنّه أرسل ٤٤٢، ١٣ أوقيّة من الزيت، و١٤٥ أوقية من الشّمع الكافوري، و٥١ أوقية من شمع الماجيت، و٣٠٠ درهمًا من زيت الكلي، و٦ أوقيات ما يعادل ٢٥٠٠ عودًا من البخور، و١٠ أوقيات ما يعادل ٤٠ من المناقري، كما أرسل ٤٠ أوقية من شمع الماجيت و١١٠ قنديلًا، و١٨٨ أوقية من الزيت؛ لإضاءة قبور عبد الله بن عباس ومحمد بن حنفي، كما أرسل

٣٠٠٠ شمعة بثقل ٥٠ أوقية لإضاءة مقامات المذاهب الأربعة بالحرم الشريف، وأوقف لها ١٠٥ ألف قرش (١٩١).

وفي ٢٢/ محرم/ ٩٧٢هـ ٣٠ / ٨/ ١٥٦٤م أرسل حكم لأمير أمراء مصر بأن يتحمّل من خزينة مصر ١٢ قنطارًا من الشمع لإضاءة الحرم الشريف في اللّيالي المظلمة، و١٢ شمعة كبيرة لإضاءة المقامات الأربعة، و١٠ شمعات لتوضَع في الجوانب الأربعة للحرم، و٦ قناطير من الشمع و١٥٠ قنطارًا من زيت الزّيتون الصافي (١٩٢).

وأرسل السّلطان سليم الثّاني أربعةً من القناديل التي لا مثيل لها، المصنوعة من الذّهب، والمغطّاة بالأحجار الكريمة، وبها من الداخل الأسلاك الذهبية لتعلق على الكعبة(١٩٣)، كما أوقف السّلطان مراد الثّالث للكعبة عام ٩٨٤هـ ١٥٧٦م القناديلَ المصنوعة من الذهب والمزيّنة بالأحجار الكريمة كالسابقة(١٩٤).

وأوقفَ السّلطان أحمد ثلاثةَ قناديل مزينة بالأحجار الكريمة للأماكن المقدّسة، اثنان منهم للكعبة، والآخر للرّوضة، وفي عام ١٠٢٤هـ ١٦١٥م أمر بتعليق قنديلَيْن من الألماس على الرّوضة تقدّر قيمتهما بثمانين ألف عملة فلورية(١٩٥)، وفي وقفيّة كولونش والده سلطان نجدها قد عيّنت عاملين للقناديل للإضاءة، وحدّدت لهما زوجيْن من الخبز وأربعة بارات يوميًّا.

وقد حدّد محمد أغا- أغا دار السّعادة- في وقفيّته إضاءة القناديل الموجودة على الصّفا والمروة من أواسط شهر رجب وحتّى أواسط شهر محرم كلّ عام، وعيّن لهذه القناديل ستّة رجال، لكلّ واحد منهم ٢٠ قرشًا في اليوم الواحد، وخصّص ٤٥٠ قرشًا لشراء الزّيت اللازم لتلك القناديل(١٩٦).

أمّا جبه جي باشي مصطفى أغا فقد أوقفَ زوائد وقفِه الموجود باستانبول على تحمّل احتياجات الرّوضة المطهرة من شمع وبخور وعطور، واشترط توزيع تلك الأموال الموقوفة على الخدم في الرّوضة المطهرة إذا لم يكنْ هناك احتياج في المواد المذكورة(١٩٧).

٤ ـ أوقافُ التّعليم والصّحة والعمارات والأسبلة

لم تكنِ الخدمات التي قام بها المسلمونَ للحرمين محصورةً في ساحات محدّدة، بل على النّقيض عمل المسلمون على النهوض بتلك البقاع التي تعدّ قلبَ العالم الإسلامي، وجعْلها منطقةً راقية متقدّمة بالخدمات العلمية، وتأسيس دور الشّفاء والعمارات الخيرية، وعملوا على تنفيذ هذه الخدمات في أكمل شكل لها.

أ- مؤسّساتُ التّعليم في الحرمين وأوقافُها

ويُعطينا الرّحّالة التركي أوليا جلبي الذي أدّى فريضة الحجّ عام ١٠٨٢هـ ١٦٧٢م معلوماتٍ مفصّلةً عن المؤسّسات التعليمية في مكّة والمدينة والعمارات وما شابهها من آثار، فعلى حسب ما أورده أوليا جلبي بأنّه كان يوجد في مكّة المكرّمة أربعون مدرسةً كبيرة أنشئت في عهد المماليك والعثمانيّين، و١٥٠ مكتبًا(١٩٨) للأطفال، و٤٠ دارًا للحديث، وفي نفس الوقت كانت أوقاف تلك المؤسّسات تعمل بشكل جيّد للغاية، وكان الطلاب والمدرسون يتقاضون أجورهم من تلك الأوقاف(١٩٩).

ويذكرُ أوليا جلبي أنّ أهل مكّة لا يحبّون الاشتغال بالعلم، وأنه لا يوجد من بينهم علماء أصحاب رسوخ في العلم، وأنّ العلماء المتمكّنين الموجودين بمكّة إنّما هُم

مِن بقاع العالم الإسلامي المختلفة، وعلى رأسها الأناضول، وفدوا إلى تلك البقاع واستقرّوا بها(٢٠٠).

وتلك هي بعضُ المدارس الكبيرة التي ذكرها أوليا جلبي في مكّة: باب السلام، قايتباى، مدارس السّلطان سليمان الأربعة، الفرجية، الجركية، باب زياد، الداودية، البرقوقية، العمرية، أمير الحجية، مدرسة السقاباشي، مدرسة أمير الصرّة، مدرسة شيخ الحرم، مدرسة صقوللو محمد باشا ومدرسة سنان باشا(٢٠١).

وقد أمر السّلطان القانوني بناءَ أربع مدارس للمذاهب السّنية الأربعة عام ٩٧٢هـ ١٥٦٥م، وكان بكلّ مدرسة منها ١٥ طالبًا، وعيّن عليهم معيدًا وأستاذًا، وقد خصّص القانوني لكلّ مدرّس سنويًّا خمسين عملة فلورية، ولكلّ مُعيد ٤ عملات ذهبية، ولكلّ تلميذ اثنتيْن، أمّا الفرّاشون وسائر الوظائف الأخرى بالمدرسة فخصّص لها سنويًّا عملتين ذهبيتين، وكانت المدرسة المخصّصة للمذهب المالكي هي أكبرَ مدرسةٍ من تلك المدارس التي أسّسها السّلطان القانوني، وأوّل مدرّسٍ بها هو القاضي حسين الحسيني، أمّا إمام المدرسة الشافعية فكان يدعى الشيخ عبد العزيز الزمزمي، وتلك هي المدارس. أمّا العلوم التي كانت تدرس في تلك المدارس فهي: التفسير والطبّ والأصول في المدرسة الحنفية، الفقه في المدرسة الشافعية، الحديث في المدرسة الحنبلية(٢٠٢).

ويُفهم من وقفيّة محمد أغا من أغوات دار السّعادة أنّه أمر بتأسيس مدرسة في مكّة، وأنّه اشترط إنفاق ١٨٠ سكة حسنة على قرّاء القرآن الكريم بتلك المدرسة، وخمسين سكة حسنة للسبيل الذي أنشأه بجوار المدرسة، و١٠٠ سكة حسنة للمصروفات (٢٠٣).

كما يُفهم من وثيقة أخرى أنّه تمّ تعيين المدرّسين عام ١٠٩٠هـ ١٦٧٩م على المدرسة التي أمر الوزير الأعظم محمد باشا بإنشائها في مكة(٢٠٤).

أمّا المدينة المنورة فإذا ما قارنّاها بمكّة من ناحية التعليم سنجد أنّ المدينة لها حظٌّ وافرٌ من التعليم أكثرَ من مكّة حتّى منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تُعرف على أنّها مركز العلم، وكان لبقاء النبي فترةً كبيرة من حياته بالمدينة وتأسيس أوّل مؤسّسات علمية في العالم الإسلامي هناك قد جعل المدينة تعرف بين المسلمين على أنّها "دار السنّة"، ومعظمُ العلماء الأوائل الذين نشأت العلوم الإسلامية وتطوّرت على أيديهم إنّما هُم أناس من المدينة عاشوا بها طيلة حياتهم، أو أنّهم أناس من خارج المدينة قضوا فترةً من حياتهم في المكان الذي ولدوا فيه ثمّ انتقلوا للمدينة، وهناك تنفّسوا هواءَ العلم والفكر.

ويذكرُ أوليا جلبي- أيضًا- أنّ عدد المدارس الكبرى في المدينة في عهده بلغت ٤٦ مدرسة، و٦ دور للحفاظ، و١١ دارًا للحديث، و٢٠ مكتبًا للأطفال، وأنّه كانت تصل للمدينة كلّ عام الصّررُ المخصّصة لتلك المؤسسات التعليمية(٢٠٥).

ويعدّ رستم باشا بن عبد الرحيم أحدُ الوزراء العظام في عهد السّلطان القانوني؛ أحدَ الأشخاص الذين كانت لهم أوقاف مخصّصة للتعليم في المدينة، وثمّة وقفية موجودة في أرشيف المديرية العامة لأوقاف الصّرّة يفهم من خلالها أنّ الواقف أمر ببناء مدرسةٍ في المدينة، واشترط إرسال دخل قريتي سنديون والمنية الموجودتيْن غرب مصر إلى المدينة المنورة بعد إخراج مصاريف تلك المدرسة منها.

وأوّلُ شرطٍ اشترطه الواقفُ في هذا الوقف متعلّق بالعلوم التي ستدرس، وعلى حسب ما ورد بالوقفيّة أنّه كان يدرس بالمدرسة العلوم المتعلقة بالأصول والفروع

إلى جانب العلوم الدّينية الأساسية، وخصّص للعالم الذي يدرّس مادّة الحديث والتفسير ١٠٠ سكة حسنة سنويًا، أمّا ما كان يتقاضاه الطلاب فكان مرتفعًا للغاية حيث بلغ نصفَ ما كان يأخذه المدرس، أمّا الشرط الأخير المتعلق بالمدرسة التي في المدينة المنورة فكان خاصًّا بإدارة الدّخل، حيث يخصّص شخصٌ لا غبار عليه يقوم بمهمّة جباية أموال القريتين المذكورتيْن سابقًا بدون تقصيرٍ أو نقصان مقابل ستة فلوريات سنويًّا.

واشترطَ أنْ يأخذ النّاظر الموظف بإدارة الوقف ١٠ فلوري، والجابي والمشد ستّة عملات لكلٍّ منهما، وأنْ يرسل الباقي إلى المدينة المنورة بعد إخراج كافّة المصروفات الأخرى (أوائل رجب ٩٦٧هـ ٤/ ١٥٦٠م) (٢٠٦).

ومِن الوزراء العِظام- أيضًا- في عهد القانوني صقوللو محمد باشا الذي أمرَ بإنشاء مكتبٍ للأطفال في المدينة، ومدرسةٍ عليّة باسم السّلطان، وكليّة، كما أمرَ بإنشاء ثلاثين حجرة للفقراء حول الجامع والمدرسة المذكورة، وخصّص لكلّ حجرة يوميًّا ٣ أقجات(٢٠٧)، ولم تكنِ الأعمال التي قام بها صقوللو محمد باشا في المَجال التّعليمي محدودةً كالسابقين، فبخلاف أنّه أنشأ مدرسةً جامعة ومكتبًا فقد عيّن أربعة مدرّسين من المدرّسين الأفاضل، وأربعةً من المشايخ اللائقين في الحرم النبوي، واشترط أنْ يشتغل المدرّس الأوّل منهم بتدريس علم الحديث، والثاني بتدريس الفقه الحنفي، والثّالث الشافعي، والرّابع سائر العلوم والفنون الإسلامية الأخرى(٢٠٨).

وقد قام الوزير محمود باشا- من وزراء عهد الفاتح- بتحقيق مثل هذه الفاعليّات العلمية قبل أنْ يقوم بها صقوللو محمد باشا، فقد اشترط في وقفية الجامع الذي أسّسه في الحيّ الذي يحمل اسمَه في استانبول أنْ يخصّص ١٥٠ سكّة من دخل الوقف؛

خمسون منها تُمنح للثّلاثة أشخاص الذين يتولّون تدريس علمَ الحديث في الرّوضة المطهرة، و١٠٠ منها للطلاب الذين يدرسون في الرّوضة المطهرة (٢٠٩).

وقد أمر السّلطان القانوني ببناء مدرسةٍ في المدينة باسم زوجته خورّم سلطان، وخصّص الأوقاف لهذه المدرسة (٢١٠).

وقد أمر السّلطان مراد الثّالث ببناء مدرسة وعمارة ومكتب وزاوية وسبيل، وأخيرًا ١٤ منزلًا؛ لإقامة الموظّفين، والمدرسة المذكورة كانت تستوعب ٦٠ طالبًا، يدرّس بها علماءُ من المذاهب الأربعة (٢١١)، أمّا مدرسة قبة الإسلام فكانت خمسينيّة من ناحية الرتبة، وكان يدرّس بها على أسس المذاهب الأربعة (٢١٢).

وقد أمر السّلطان أحمد الأوّل ببناء مدرسة ليدرس بها المنتسبون للمذهب الحنبلي بالقرب من قرية باب الرحمة في المدينة (٢١٣).

وبدفاتر الصّرّة المخصّصة للمدينة المنورة توجد تعيينات لبعض المكاتب، وتلك هي المكاتب التي كان يخصّص لها من الصّرّة طبقًا لما ورد بها:

الاسم	المخصصات
المكتب السّلطاني	١٥ سكة لأبناء المعلم سنان خليفة و١٢ للطلبة
المكتب الحنفي	٢٥ للمعلّمين، ١٢ للخلفاء، ٣٠ للعارفين، ١٥٠ سكة للأطفال

المكتب الحنفي	١٢ للمعلّمين، ١٥ للمعرفين، ٦٠ للأطفال
المكتب المالكي	١٢ للمعلّمين، ١٠ للأطفال
مكتب آخر بالحرم	٢٥ للمعلّمين، ١٥ للأطفال
مكتب إبراهيم أفندي	١٢ للمعلّمين، ١٠ للأطفال
مكتب الـ ..	١٢ للمعلّمين، ١٠ للأطفال
مكتب إلياس	١٢ للمعلّمين، ١٠ للأطفال
مكتب المولا علاء الدين	١٢ للمعلّمين، ١٠ للأطفال
مكتب الوالده سلطان	١٢ للمعلّمين، ١٠ للأطفال
مجموعة ١١ مكتبًا	٥٢٣ سكة (٢١٤)

وكما أنّ مخصّصات الأوقاف لم تكنْ تكفي في كافّة المجالات الأخرى كانت- أيضًا- لا تكفي في مجال التعليم، كانت الدّولة تتّخذ الإجراءات العاجلة في هذا الشأن إذا دعتِ الحاجة لإزالة أيّ جانبٍ من جوانب القصور، على سبيل المثال، وطبقًا لما ورد في الحكم المؤرّخ بتاريخ ٢٢/ محرم/ ٩٨٠هـ ٤/ يونيو/ ١٥٧٢م، أنّه قد أهمل المدرّسون الذين يشتغلون بالتدريس في مدارس المدينة والقدس مهنةَ التّدريس، وبالرغم من ذلك كانوا يتقاضون أجورهم المخصّصة لهم من الأوقاف، وعلى الفور

أرسل خبر إلى إداريّي تلك المناطق ليحقّقوا في الأمر وطلبَ منهم إقالة مَن يقصّر في عمله، وجلب مدرّسين جُدد يليقون بمهنة التدريس(٢١٥).

وفي عام ١٠٢٧هـ ١٦١٨م قام عبد الله أغا الذي يتولّى مهمّة تولّي الأوقاف المخصّصة للتعليم في مكّة والمدينة بقبض رواتب الخيرات الموجودة بمكة والمدينة كالأسبلة والمدارس والعمارات وغيرها ورواتب الحفّاظ الذين يقرءون جزءًا من القرآن في الأماكن المقدسة بشكل غير لائق وبدون أصول مرعيّة.

وظلم الطّلاب الذين يدرسون في هذه المدارس، وأصحاب الحاجة الذين يؤمنون احتياجاتهم من العمارة، وأهل القرآن الكريم في الأماكن المقدسة، وعندما نقلتْ تلك الحادثة إلى سلطان العصر السّلطان مراد الرّابع؛ أمرَ على الفور بإرسال ٦٤٢، ١١٠ أقجة إلى مكّة والمدينة في شهر ربيع الأول ١٠٢٨هـ فبراير ١٦١٩م من دخل أوقافِه السّبعة المختلفة؛ وذلك لتفادي هذا القصور الذي حدث في الحرمين(٢١٦).

وقفُ التّفسير للحرمين

ومِن الأوقاف التي لفتتِ الانتباهَ في الأوقاف العثمانيّة أيضًا، ذلك النوع الذي كان يُعرف بوقف مجموعةٍ من الكتب النادرة أو القيمة لتكون موقوفة للمنفعة العامّة، وثمّة أمثلة ونماذجُ كثيرة على الوقف خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديّين، كما يمكن مصادفتُه في كلّ العصور، ومن ذلك؛ الوقف الذي أوقفه مغني خوجة جلبي خلال القرن السّادس عشر، وهو عبارة عن كتبٍ في التفسير أوقفها الواقفُ المذكور على الطّلاب الذين يدرسون في مدارس المدينة المنورة راجيًا من ذلك شفاعة الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- (٢١٧).

ومن الخدماتِ التّعليمية التي تمّت للحرمين، القيام بعملية تجليد الكتب الموجودة بالمدينة، وجعلها في حـالةٍ يمـكن الاستفادة منهـا، وتخصـيص المجلّدين المَهَرة لذلك العمل ودفع أجرتهم (٢١٨).

ب- أوقافُ العمارات ودور الشفاء

أسّست العمـاراتُ الخيريـة بهـدف تقـديم أهـمّ الاحتياجـات الإنسـانية كالغـذاء والملبس لذوي الحاجة، أمّا في مكّة والمدينة فكانت تلك العمارات تخدم القادمين لزيارة الأماكن المقدّسة، وتقديم يدِ العون من احتياجات أساسية كغذاء وملبس لذوي الحاجة مِن الذين يعيشون في مكّة أو المدينـة، ولهذا السبب أسّست الأوقـاف فـي الحرمين الكثيرَ من العمارات الخيرية والأربطة التي تؤدّي نفسَ الوظيفة والدور.

وأوّلُ عمارات أنشئتْ في عهد الحرمين في العهد العثماني أنشئت على يدِ القانوني باسم خرم سلطان(٢١٩)، ونفس الشّيء مع السّلطان سليم الثاني فقد أمر ببناء عمارة في المدينة وعمارة في مكّة، وأسّس لهما الأوقاف في مصر لتنفق عليهما، واستأجر مركبيْن لإرسال المحاصيل التي يحصل عليها من الأراضي الموقوفة إلى مكّة، وأحسنَ على كلّ فرد من الأفراد العاملين في النقل بأقجتين يوميًّا (٢٢٠).

أمّا السّلطان مراد الثّالث فقد قرّر إنشاء مطبخ في المدينة المنورة لمواجهة احتياجات الفقراء من الخبز، وطلب من الإداريّين الموجودين بالمدينة تخصيص قطعةِ أرض مناسبة لهذا الغرض، وقد أسّس على هذه القطعة في وقتٍ قصير عمارةً وسبيلًا أطلق عليهما- فيما بعد- التّكية المُراديّة، التي كانت تعرف بأنها أكبرُ العمارات الموجودة في المدينة حتّى ذلك العهد، ثمّ بني عليها- أيضًا- رباط لأهالي قرية قبة، و١٤ منزلًا لإقامة الخدم، وكان يوجد بتلك العمارة الكثير من الأفران

والمخازن والمطابخ والطواحين، وإلى جانب أنها كانت توزّع الخبز المعتاد توزيعُه بشكل يومي، كانت توزّع- أيضًا- الحلوى والأرز يومي الجمعة والسّبت (٢٢١)، وقد أوقف السّلطان ٢٠ قرية في مصرَ لتأمين احتياجات هذه العمارة، أمّا الحاصلات السّنوية التي كان يتحصّل عليها من تلك القرى فكانت تبلغ ١٠٠، ٢ (٢٢٢) أردبًّا من الحبوب، وخصّص مِن وقف تلك العمارة عملتيْن ذهبيّتين سنويًّا لكلّ عامل يعمل في صنع الخبز أو توزيعه (٢٢٣).

كما كان المطعم الذي أسّسه محمود أفظا أفندي الأسكداري في المدينة يوزّع الطّعام اليومي على أصحاب الاحتياجات، وطبقًا للعريضة المؤرّخة بتاريخ ١١/ محرم/ ١٠٨٣هـ ٩/ ٥/ ١٦٧٢م خصّص لشمسي أبو بكر المقيم في المدينة وأزواجه وأبنائه ٤٠ أقجه يوميًّا من المطعم المذكور(٢٢٤).

أمّا المستشفيات فكان يعبّر عنها في العهد العثماني باصطلاحات مختلفة كدار الشفا وبيمارخانه.

أمّا أوّل مَن أنشأ مستشفى باسم "خسته خانه" فهي بزم عالم والده سلطان، ولا تزال تلك المستشفى تعمل حتّى اليوم باسم (مستشفى الأوقاف للمغتربين) (٢٢٥).

وتلك هي الخدماتُ الصّحية التي تحقّقت في الحرمين في العهد الذي نحن بصددِه: دار الشّفاء التي أمر صقوللو محمد باشا بإنشائها عام ٩٨٤هـ ١٥٧٦م بجوار الكعبة، وقد خصّصت لها الأوقاف الكافية لتكون المستشفى جاهزة في وقت الحجّ أو في الأوقات الأخرى لاستقبال المرضى والفقراء وعلاجهم على أكمل وجه (٢٢٦).

وتعدّ العمارة الخيريّة ودار الشّفاء التي أمرت السيدة كلنوش والده سلطان زوجة السّلطان محمد الرّابع؛ من أهمّ العمارات ودور الشفاء التي تأسّست في

الحرمين. وقد أوقفت السيدة كلنوش دخلَ الكثير من الأراضي الواقعة بمصر للإنفاق على تلك المؤسّسات، والنّسخةُ الأصلية من وقفيّة السيدة كلنوش والده سلطان مرقومة برقم ١٤٣- ١٤٤ VGMA بالأرشيف العثماني، وتظهر الوقفية بوضوح تامّ جلَّ الخدمة التي كانت تؤدّى في تلك المؤسّسات الخيرية التي أنشأتها السّيدة كلنوش، ولغة الوقفيّة لغة تركية تفهم بسهولة ما عدا الأقسام التي تحتوي على تركيباتٍ عربية وفارسية.

تبدأ الوقفيّة بالبسملة، وبعد الحمدُ والصّلاة والسّلام على النبي، توجد الآيات الكريمات والأحاديثُ النبوية الشريفة التي توضّح أهمية الوقف وعمل الخير، والضّرر الذي سيراه الممتنع عن عمل الخير وهو مُستطيع (٢٢٧).

وبالوقفيّة مدحٌ وإطراء طويل فيمَن قام بعمل الأوقاف من المُنْتسبين للأسرة العثمانيّة ورجال الدّولة أصحاب المناصب العليا.

وقد يصل هذا المدح في بعض الوثائق إلى منتصف الوثيقة تقريبًا، وقد تحقّقت معاملة الوقف للسيدة كلنوش والده سلطان بشهادة كلّ من عثمان أغا ابن عبد المنان وعثمان أغا ابن عبد العزيز، أمّا المتولّي العامّ للوقف فهو خضر أغا ابن موسى، أمّا وكيل الواقفة فهو سليمان أغا ابن فرهاد، وتلك هي الأموال والأبنية الموقوفة طبقًا لما بيّنه سليمان أغا: عمارة، ودار للشّفاء في مكّة، سفينة يطلق عليها "بارجح" وصندلَيْن يكونان في البحر الأحمر والسّويس لنقل المحاصيل التي سيتمّ الحصول عليها من الأراضي في مصر إلى ميناء جدّة، عنابر للحفاظ على أموال الوقف في السّويس وجدّة وبولاق، خمسة أوعية كبيرة لطهي الطعام في العمارة، فرن بجوار العمارة لعمل الخبز، وعاء كبير لتخمير العجين، ٣٠ قطعة من المعالق مصنوعة من النحاس طاحونة لطحن القمح وسائر الحبوب الأخرى (٢٢٨).

وتلك هي الأراضي الموجودة في مصر، والتي أوقفتها السيدة كلنوش والدة سلطان لتأمين كلّ احتياجات الوقف، ومساحة تلك الأراضي:

اسم الأرض	المساحة
قرى بيرما والمنية وأبو الطماس	٠٧٨، ٤ فدان وقيراطين.
قرية نتابة	٢١٥، ١ فدان ١٥،٥ قيراطًا.
قرية ملوى	٥٤٥، ١ فدانًا، ١٨ قيراطًا، ٠،٥ حبة
قرية كفر المعصورة	٢٩٩، ٢ فدانًا، ٥،٥ قيراطًا، ١ حبة.
قرية الريرمون (الديدمون)	٨٨٩ فدانًا
جزيرة الأيلولة	٤٥٥،١ فدانًا، ٢٢ قيراطًا.
جزيرة المؤنسة وجرف البراغيث	٦٧ فدانًا، ٣ قراريط، ٢ حبة.
قرية قلاندون	١٥ فدانًا، ٢،٥ قيراط، ١ حبة، ٢ قطعة.

منشآت الغوري المغالقة	٥٤٤،١ فدانًا، ٢ قيراط، ٢ حبة.
قرية أم القمص	٥٢٠، ١ فدانًا، ٢١ قيراطًا.
البركة وخليج الذهب	٣٩٣، ١فدانًا، قيراطان.
قرية فلبة	٥٤١، ١ فدانًا، ٢٢،٥ قيراطًا.
جزيرة سكرة	٤١٩ فدانًا، ١٧ قيراطًا.
جرف الهجرة	١١ فدانًا، ١،٥ قيراط.
جرف السندون	----
جزيرة المستجدة	٦٠ فدانًا.

القائمون بالوظائف في دار الشّفاء التي أسّستها السيدة كلنوش والده سلطان، ورواتبهم:

الوظيفة	العدد	الراتب
الناظر	١	١٢ زوج خبز و٢٤ عملة
رئيس الأطباء	١	١٠ زوج خبز و٣٠ عملة

الطبيب الثاني	١	٥ زوج خبز و١٠ عملات
الجراح	١	٨ زوج خبز و٢٠ عملة
الجراح الثاني	١	٤ زوج خبز و١٠ عملات
الكاتب	١	٦ زوج خبز و ١٢ عملة
الكاتب الثاني	١	٦ زوج خبز و ١٠ عملات
كاتب اللغة العربية	١	٥ زوج خبز و٨ عملات
البواب	١	٢ زوج خبز و٤ عملات
رئيس البوابيين	١	٢ زوج خبز و٤ عملات
الفراش	٣	٢ زوج خبز و٤ عملات
رئيس عمال النظافة	١	٢ زوج خبز و٤ عملات
عمال المفارش	٨	٢ زوج خبز و٤ عملات
رئيس عمال المفارش	١	٢ زوج خبز و٤ عملات

مغسل الموتى	٢	٤ زوج خبز و٤ عملات
رئيس المغسلين	١	٢ زوج خبز و٤ عملات
عامل القناديل	٢	٢ زوج خبز و٤ عملات
المجموع	٢٧	٧٦ زوج خبز ويومي ١٦٠ عملة(٢٢٩).

أمّا الأثر الثّاني الذي أنشأته السيدة كلنوش والده سلطان في مكّة المكرمة فهو العمارةُ التي أسّستها بجوار دار الشفاء، وهذا بيان بعدد الموظفين بها ورواتبهم:

الوظيفة	العدد	الراتب
الشيخ	١	٥ زوج خبز، ١٥ باره
موزع الخبز	١	١ زوج خبز، ٣ باره
الذي يقوم بالدعاء	١	٤ زوج خبز، ٨ باره
وكيل الخرج	١	٤ زوج خبز، ٨ باره
الفران	١	٤ زوج خبز،٨ باره
المخزنجي	١	٢ زوج خبز،٤باره

بواب العمارة	٢	٢ زوج خبز،٤باره
رئيس بوابي العمارة	١	٢ زوج خبز،٤باره
بواب باب العمارة	١	٢ زوج خبز،٤باره
رئيس عمال النظافة	١	٢ زوج خبز،٧ باره
رئيس الطهاة	١	٣ زوج خبز،٥باره
وكيل الطهاة	١	٢ زوج خبز،٥باره
طباخ الحساء	١	٢ زوج خبز،٥باره
معاوني الطباخ	٤	٢ زوج خبز،٤باره
رئيس منظفي المطبخ	٢	٢ زوج خبز،٣باره
معاونو موزع الطعام	٢	٢ زوج خبز،٤باره
مملح الطعام	٢	٢ زوج خبز،٥باره
منظف القمح	٥	٢ زوج خبز،٢باره
رئيس المنظفين	٣	٢ زوج خبز،٤باره
الدشاش	١	٢ زوج خبز،٢باره

عجان الدقيق	٢	٢ زوج خبز،٢باره
وزان القمح	٣	٢ زوج خبز،٢باره
جامع القمامة	١	٢ زوج خبز،٦باره
راعي الخيول	١	٢ زوج خبز،٦ باره
حامل القمح	١	٢ زوج خبز،٤باره
صانع الخبز	٦	٣ زوج خبز،٣باره
عامل الطاحونة	١	٢ زوج خبز،٥باره
القائم على مجرى المياه	١	٢ زوج خبز،٤باره
رئيس عمال جدة	٢	٣ زوج خبز،٣باره
عامل المخزن في جدة	١	٥٠٠ باره
البواب في جدة	١	٢ زوج خبز،
القنطارجي في مكة	١	٢ زوج خبز،
الصراف في مكة	١	٢ زوج خبز،
السقاء الموجود بالعمارة	١	٢ زوج خبز،

وبذلك يكون المجموع ٥٤ وظيفة، عددهم ٢٤، يومياتهم ٨٤ زوج خبز، ١.١٦٦ بارة (٢٣٠).

وخصّص مبلغ ٥٠٠٠ عملة لشراء ٢٦٤ أردبًا من الأرز، و٣٠ قنطارًا من العسل، و٩٠ قنطارًا بصل، وأربعة قناطير من زيت بذر القطان، وعشرين حملًا من الأموال تخصّص لشراء ١٢ حملًا من الحطب ليستخدم في إشعال الأفران و٧٥٠٠ عملة لشراء ستّة خيول لتستخدم في الطّواحين التي تعمل بالخيول، و١٠ آلاف عملة سنويًّا للطواحين التي تطحن الدّقيق في العمارة، وذلك كله ليطهى الطّعام في العمارة ويوزّع على الفقراء (٢٣١)، وقد اشترطت الواقفة السيدة كلنوش أنْ يستخرج أولًا من الطعام المذكور حصّة المرضى الموجودين بدار الشفاء، ثمّ بعد ذلك يوزّع الباقي على ذوي الحاجة (٢٣٢).

الشّروط المتعلّقة بنقل الأرزاق التي سيتمّ الحصول عليها من الأراضي المذْكورة في الوقفية، والتي سيتمّ نقلها إلى الحرمين:

العمل الذي سيتمّ	المال المخصّص له
الصناديق والشمع والمستلزمات الأخرى للصرّة	٤١٠ بارة
مصاريف النقل من بولاق إلى بندر السويس	٦٨٥، ٥ بارة

نقل الأغراض الأخرى	٦٨٠، ١٣ بارة
نقل محصول قرية ملوى والقرى الأخرى إلى بولاق	٠٣٨، ٤٤ بارة
النقل من ميناء بولاق إلى مخازن بولاق	٨١٠، ٢ بارة
الإبل التي ستؤجر لنقل الصّرّة	٤٠٠، ٢ بارة
الاحتياجات العاجلة	٥٠٠٠ بارة
لإصلاح مخازن بولاق والسويس وجدة	٦٠٠٠ بارة
مصاريف الحسبة التي ستتمّ في القاهرة ومصر	٥٠٠٠ بارة

وبالتّالي سيكون مجموع تلك المصاريف السنوية ٥٢٣، ٨٠ بارة. ولعل هذا الرقم فقط يكون كافيًا لإدراك عظمة وكبَرِ الوقف الذي أسّسته السيدة كلنوش والده سلطان للحرمين.

أمّا الأشياء والأدوية المخصّصة للمرضى الذين يرقدون في دار الشّفاء فهي كالآتي:

لشراء وسائد وألحفة ومفارش للمرضى	٧٣٠٠ بارة
لشراء الأدوية المعجونية والشراب	٢٠ ألف بارة
لشراء المراهم وما شابهها للجرحى	١٠ آلاف بارة
١٥٠ حصير للفرش على الأرض	٢٤٠٠ بارة
لتكفين وتجهيز الموتى في دار الشفاء	١٠ آلاف بارة
ويكون مجموعه بذلك	٤٩٧٠٠ بارة

الشّروط الأخرى الموضوعة في الوقفية للاحتياجات الأخرى في العمارة ودار الشّفاء:

لشراء القناديل ومستلزماتها	١٥٠٠ بارة
مستلزمات الفرن والمطبخ في العمارة	٥٠٠٠ بارة
مصاريف الحطب في الطبخ والفرن	٨٦٤٠٠ بارة
مصاريف ستة خيول للطاحونة التي تعمل بالخيول	٧٢٠٠ بارة

لحفظ المواد التي ستطحن في الطاحونة	١٠ آلاف بارة
مصاريف النقل من جدة إلى مكّة	١٠١٤٨٠ بارة
وبذلك يكون مجموعه	٢١١٥٨٠ بارة.

كما اشترطت الواقفة في الوقفية تحميل ١٦٠٠ حمل من أرزاق الوقف على السفينة المخصّصة للنقل من السويس إلى جدّة، ويتم توزيع هذه الكمية على ما يلي:

لشريف مكّة	٧٥٥ حملًا
لناظر الوقف ومتوليه	٣٤ حملًا
للحرمين الشريفين تبرّكًا	٣ أحمال
للكاتب	١٢ حملًا
للخدم الموجودين في السويس	١٢ حملًا
للطوائف الموجودة في السفن	٢٥٤ حملًا.

وبذلك سيكون مجموع مقدار الأرزاق التي ستصل إلى مكّة بعد استخراج هذه المصاريف ٢٤٤٢ أردبًا، يخصّص منها ١٨٠٠ أردبًا لمكّة المكرمة، واشترطت في الوقفية أنْ يؤخذ ٣ أردب قمح من تلك الكمية لتخبز وتوزّع على المرضى والفقراء الموجودين بدار الشّفاء، واثنين أردب لتطهى كحساء في العمارة.

أمّا التفرّعات المتعلقة بالطعام الذي يطهى ويوزّع في العمارة فهو كالآتي:

يؤخذ من المائتين ستة وأربعين أردبًّا من قمح التي تصل لمكّة نصف أردب يوميًّا ويطهى كحساء للمرضى والفقراء، كما يطهى أردب ونصف أرز ليلة الجمعة من كلّ أسبوع لتوزّع على المرضى والفقراء، وطلبت الواقفة عدم إعطاء أي حصة أثناء توزيع الطعام لمَن ليسوا إداريّين في الوقف (٢٣٣).

وأوضحت الواقفة في الوقفيّة أنّ مجموع ما يتحصل من أراضي الوقف بخلاف الحبوب ٦٩٠٩٨٥ بارة، يرسل منه ٣٤٠٣٦٠ بارة كصرة لمكة للإنفاق على الأشياء الضرورية، كما يخصّص ٢٣٣٢٤٧ باره لتنفق على المصروفات الضّرورية للوقف في مصر، أمّا المبلغ المتبقي وهو ١٠٢٦٨٦ بارة فيحفظ ليضَمّ لدخل السّنة التالية (٢٣٤).

وطلبت الواقفة أنْ يتمّ توزيع محصول الأوقاف بالشكل المناسب على يد قاضي مكّة وشريفها وسائر الحكّام الآخرين، وعدم السّماح باستثمار محاصيل تلك الأوقاف، وأنّه في حالة عدم التمكّن من إرسالها إلى أماكنها المحدّدة لأيّ سببٍ ما فيجب حينذاك توزيعها على الفقراء(٢٣٥).

اشترطت- أيضًا- في الوقف تخصيص مبلغ ٢١٠٠٠ بارة وأربعين أردبًّا من القمح لأغا دار السّعادة يوسف أغا بن عبد المنان الذي عهد إليه بإدارة هذا الوقف، كما عهد إليه بإدارة أوقاف الحرمين الأخرى؛ وذلك نظير خدمته للوقف.

وخصّص لباقي إداريي الوقف ما يلي:

الوظيفة	العدد	المكان	الراتب
الناظر والمتولي	١	استانبول	٢١ألف بارة و٤٠ أردبًا من القمح
الكاتب الرومى	١	مصر	٣٦٠٠ بارة، و٢٤ أردبًا من القمح
الكاتب العربي	١	مصر	٣٦٠٠ بارة و٢٤ أردبًا من القمح
الشاهد	٢		٨٨٠ بارة و١٢ أردبًا من القمح
موقع الوقف	١	مصر	٢٥٠٠ بارة و١٢ أردبًا من القمح
الصراف	١		١٨٠٠ بارة و١٢ أردبًا من القمح
الجابي	١		٣٦٠٠ بارة و١٢ أردبًا من القمح
المشد	٥		١٨٠٠ بارة و٨ أردبًا من القمح
مخزنجي العنبر	١		٢١٦٠ بارة و١٢ أردبًا من القمح
بواب العنبر	١	بولاق	٢١٦٠ بارة و١٢ أردبًا من القمح
القواس	١٢		٤٣٢٠ بارة و٣٦ أردبًا من القمح
مشد العنبر	١	السويس	٢٥٢٠ بارة و١٢ أردبًا من القمح
الكاتب العربي	١	السويس	٢١٦٠ بارة و١٢ أردبًا من القمح
المخزنجي	١	السويس	٤٥٠ بارة و٦ أردب من القمح
بواب العنبر	١	السويس	٥٠٠ بارة و٦ أردب من القمح

وبذلك يكون مجموع الوظائف ١٥ وظيفة مختلفة بها ٣١ شخصًا، لهم سنويًا ٥٣٠٥٠ باره و٢٢٨ أردبًّا من القمح(٢٣٦).

أمّا القسم الذي يشمل الجُمل الدعائية والتّاريخ من الوقفية فهو على ما يلي:

"فمَن بدلّه بعد ما سمعه فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه إنّ الله سميع عليم"[٢٣٧]، ومَن غيّره بعد ما علمه فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين" "وأجر الواقفة على الملك الجواد المعين " إنّه يجزي المتصدّقات والمتصدقين ولا يضيع أجر العاملين" "جرى ذلك وحرّر في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك لسنة تسعين وألف من هجرة مَن له نهاية غرف الشرف " (٢٧/ رمضان/ ١٠٩٠هـ ٢/ ١١/ ١٦٧٩م) [٢٣٨].

جـ - أوقافُ النّظافة والحمامات

أنشأ وأوقفَ الواقفون العثمانيون الحماماتِ التي هي مِن عناصر الحضارة الإسلامية في مكّة والمدينة، وذلك لطهارة ونظافة أهالي البلدتين أو الزوار الذين يفدون إليهما، وهذا إلى جانب أبنية الأوقاف الأخرى التي أسّسوها، والتي ذكرناها سابقًا كالمدارس والمكاتب ودور الشفاء.

ولا مثيل لحمّام صقوللو محمد باشا وحمام سنان باشا في مكّة من ناحية الكبر والفخامة [٢٣٩].

وبخلاف هذيْن الحمّاميْن يوجد ١٤٥ حمّامًا آخر تمّ إنشاؤهم في النزل وفي الأماكن التي ينزل بها المسافرون إلى مكّة أو المدينة [٢٤٠]، وكانت هذه الحمّامات تدار من دخل الأوقاف كبقية الآثار الأخرى.

وبخلاف الحمّامات الموجودة بداخل العمارات الخيرية الموجودة بالمدينة المنورة، يلفت الانتباه حمّام السّلطان مراد الثالث.

أمّا بالنسبة للنّظافة فقد خصّص محمد أغا من أغوات دار السّعادة ٢٠٠ قرشًا من حاصلات المزارع والقرى التي أوقفها، واشترط أنْ يعطى هذا المبلغ لأصحاب القبيلة التي تقيم بالقرب من الموقع المسمّى المعلا بمعرفة أمير الحجّ المصري والشّامي، وذلك مقابل أنْ تقوم تلك القبيلة

بتنظيف وتطهير مكّة المكرمة وما حولها من القاذورات والدّواب النافقة وفضلات الدّواب التي تضرّ بالحجّاج [٢٤١].

ومِن خلال هذه الوقفيّة التي أوقفها أحدُ أغوات القصر العثماني قبل أربعمائة عام تقريبًا يتّضح لنا أنّه ضرب نموذجًا رائعًا **للحفاظ** على البيئة التي يُنادى بها في الوقت الحالي، وهو- أيضًا- أبرز مثلٍ على أنّ العثمانيّين وكلّ المسلمين إنما فعلوا ذلك ابتغاء مرضاة الله فقط، وأنّ ما قاموا به إنّما هو نابع من الأخلاق والتربية التي تربّوا عليها من الإسلام.

وفي عام ٩٩٩هـ ١٥٩١م امتلأت المراحيضُ التي أسّسها السّلطان قايتباى والسلطان الغوري قبل ذلك، فنتجَ عن ذلك انتشارُ الروائح الكريهة، ولأنّ هذه الروائح الكريهة امتدت حتّى باب السّلام وباب شيبة فقد صدر حكمٌ لشريف مكّة وطلبَ منه أنْ يقوم بتطهير تلك المراحيض على الفور من الأموال التي تجمع من متولّي الأوقاف، وأن يتّخذ التّدابير التي تعوق ظهور مثل تلك القاذورات مرّة أخرى[٢٤٢]

وفي العام التّالي لذلك كانت بيوتُ الخلاء التي في مكّة وما حولها قد أشرفت على الخراب فتمّ ترميمها كلّها قبل موسم **الحج، وورد بالحكم أنه إذا لم تكفِ أموال ومخصّصات الأوقاف** لذلك فلقاضي مكّة أنْ يأخذ من أموال النّذور والصدقات[٢٤٣].

القسْمُ الثّاني

الأوقافُ المخصّصة لمَن يعيشون بالحرمين

أولا : أوقافُ الفقراء

كـان نصـيبُ الفقـراء مـن الأوقـاف المخصّصـة للحـرمين نصـيبًا عظيمًـا، فقـد أوضـح بعـضُ الـواقفين فـي وقفيّـاتهم أمـاكن صـرف المخصّصـات التـي خصّصـوها للحرمين، وكذا نوعها وشكل إدارتها، وبعضهم استخدم في وقفيّاتـه الألفاظ التـي تـدلّ على التّعميم كأن يقول "ينفق هذا الوقف على فقراء الحرمين"، أو "أهالي الحرمين"، أو "الفقراء الذين يعيشون في مكّة والمدينة"، ويتمّ تعيين مخصّصات هذا الوقف بعد وصـوله إلـى مكانـه المحدّد عن طريـق الصّرّة بمعرفـة مـوظّفي الصّرّة والإداريـين المحلّيّين للمنطقة التي سيوزّع بها الوقف، وتلك هـي الأوقـاف التـي كانـت لهـا مكانـة مهمّة بين الخدمات المقدّمة للحرمين كقيمة مادية ومعنوية:

فقـد أوقـف السّـلطان مـراد الثّـاني ٣٥٠٠ فلوريًّـا لفقـراء مكّـة، ومثلهـا لفقـراء المدينـة، و٢٠٠ فلوريًّـا لفقـراء القـدس مـن دخـل أموالـه الموجـودة بصـاروخان فـي مغنيسيا (في تركيا)[١]، والمخصّصات التي كانت تخصّص لفقراء القدس كانت نـادرةً بالنسبة لخدمات الأوقـاف، فالأغلبُ الأعمّ أنّ تلك المخصّصـات كانـت تـذهب لفقـراء مكّة والمدينة.

وأوقف محمود جلبي بن قاضي عسكر لفقراء الحرمين عام ٨٦٨هـ ١٤٦٤م دخلَ قرية القاضي التابعة لسنجق جيمن، وتبلغ وارداتها السنوية ٤٥٧٢ أقجـه، ومـن الواضح أنّ أوّل قرية أوقفت للحرمين من غرب الرّوملّي كانت تعود لعهد السّلطان القانوني، حيث يستنبط من وقفيّتها أنّها أوقفت للمدينة فقط [٢].

كما خصّص الشراب دار حمزة بك أحد ولاة إيالة الروم عام ١٤٨١م ٨٨٦هـ، ربع دخل قرى مشة لي وآق بـردي وبـاليقلى الـذين كـانوا ملكًـا لـه ويقعـون فـي ناحيـة (أركنه) لفقراء المدينة [٣].

وفي نفس هذا العهد أوقف شخصٌ يُدعى محمود بن إسفنديار على المدينة المنورة قرى قايا جيق وآق الآن وحلاج مود وجكردكلى وأقجه الآن وباليق يولو، وهي قرى تابعة لديموطيقا في تراقيا الغربية، وجزء من إيرادات مزرعته الواقعة بكوي نوكلو، وقد بلغ دخل تلك القرى عام ١٥٧٢م ٩٨٠هـ ٩٤٣١٤ أقجه (٤).

وخصّص السّلطان بايزيد الثّاني ٤٠٠ دينارًا أشرفيًّا لفقراء المدينة، وكذا الأموال التي تكفي لإطعام فقراء الحرم الشريف، وذلك من وقفه المؤرّخ بتاريخ شهر جمادى الأخرى ٩٠١هـ فبراير ١٤٩٦م (٥).

كما أوقف السّلطان بايزيد الثّاني وقفًا باسم زوجته "كلبهار خاتون" والدة السّلطان سليم الأوّل، يقضي هذا الوقف بإرسال ١٠٠٠ فلوريّ لفقراء المدينة سنويًّا، وقد بلغ دخلُ هذا الوقف عام ١٥٩٠م ٩٩٨هـ ٧٥ ألف فلوري (٦).

وخصّصت سلجوق سلطان إحدى بنات السّلطان بايزيد الثّاني مبلغ ١٨٠٠ أقجه لتوزّع على فقراء المدينة سنويًّا من وقف المدرسة الواقعة في سرز المؤرخ بتاريخ رجب ٩١٤هـ نوفمبر ١٥٠٨م(٧)، واشترطت السيدة "شهزاده شاه خاتون"(٨) ابنة السّلطان بايذير الثّاني وزوجة نصوح بك أنْ يخصّص دخل إحدى القرى التي تملّكتها في ديماطوقة وهي قرى (قورت أوغلو ويعقوب وبيوك أتلا أغاجي وأومور) لفقراء المدينة المنورة (٩).

كما خصّص سنان يوسف أغا من علماء وكبار رجال الدّولة في عهد بايزيد الثّاني مبلغ ١٠٠ ألف أقجه من ثروته وأوقافه في استانبول لخدمات مكّة ومثلها لخدمات المدينة (١٠).

وأوقف إياس أغا الخادم عام ٨٩٠هـ ١٤٨٥م دخل قرية قور محمود التابعة لديما طوقه لفقراء المدينة المنورة [١١].

كما اشترط مولانا علاء الدين بن علي في وقفيّته المؤرّخة بتاريخ أوائل شعبان ٩٢٦هـ يوليو ١٥٢٠م أنْ يرسل الدخل المتحصّل من إيجار ثلاثة منازل وحانوتيْن له في حي سمان ويران باستانبول لفقراء مكّة، وذلك بمعرفة متولٍّ مشهود له بالأمانة [١٢].

وقد ذكرنا قبل ذلك الأوقافَ المختلفة التي أوقفها السّلطان سليمان القانوني في الحرمين، وأنّه أحسن على فقراء مكّة والمدينة، وأنّ تلك الأوقاف كانت بمثابة الأساس لكلّ أوقاف الحرمين فيما بعد. وأوّل تلك الأوقاف الصّدقةُ التي كانت تسمّى "الصّدقة الكثيرة"، حيث أمر السّلطان بأنْ توضع أموال تلك الصّدقة أمام الكعبة، ويأخذ منها ذوو الحاجة [١٣]، أمّا الصّدقة الثانية فكانت عبارة عن ١٠ آلاف أردبٍّ من الحبوب لمكّة و٤ آلاف أردبٍّ للمدينة، بخلاف وقف الدشيشة [١٤].

وأرسلت السيدة مهرماه سلطان ٢٥٠٠ فلوريًّا خالصة العيار لمكّة، ومثلها للمدينة، واشترطت أنْ يكون ذلك بمعرفة وبواسطة أمين الصّرة، وطلبت أنْ توزّع تلك الأموال على القضاة وأئمّة المذاهب الأربعة، والفقراء[١٥]، واشترطت السيدة مهرماه- أيضًا- في وقفيّة أخرى لها إرسال ٣٠٠٠ سكة من دخل الأراضي التي أوقفتها من أملاكها في حيّ تتار بازاري، ويكون ذلك- أيضًا- بمعرفة أمين الصّرّة واشترطت توزيع تلك الأموال على فقراء المدينة ومكة وذوي الحاجة والمساكين[١٦].

أمّا "سميز علي باشا" الهرسكي الأصل الذي عيّن صدرًا أعظم عام ١٥٦١م ٩٦٨هـ، فقد خصّص مبلغًا محدّدًا من الوقف الذي أسّسه قبل عامين من وفاته ليوزّع على فقراء مكّة والمدينة، وأوّل شروط تلك الوقفية وهو شرطٌ يلفت الانتباه، بل إنّه

يعدّ خاصيّة غير موجودة في أيّ وقفية أخرى، وهي أنّه اشترط تخصيص ٥٠٠ ذهبًا لتجهيز وتكفين الموتى الفقراء في مكّة والمدينة الذين تصعب عمل جنازاتهم بسبب فقرهم(١٧)، وهذا الشّرط يعدّ مؤشّرًا هامًّا يُظهر مدى الارتباط الكبير الذي أظهره رجالُ الدّولة العثمانيّة للحرمين.

وخصّص السّلطان مراد الثالث ٦٠٠٠ سكة لفقراء الحرمين من وقفه الذي أسّسه في أدرنة(١٨)، كما كان يرسل الهدايا المختلفة في شهر رمضان من كلّ عام لتوزّع على ٥٠٠ فقير من فقراء مكّة المكرمة (١٩).

أمّا سنان باشا فاتح اليمن فقد خصّص ٤٠ ألف أقجه لتوزّع على فقراء مكّة والمدينة، وخصّص مبلغ ألفي أقجه لكلّ قاضٍ من قضاة مكّة والمدينة وشيخي الحرمين الذين سيضطلعون بتوزيع تلك الأموال (٢٠).

وأوقف برتو محمد باشا ١٠ آلاف أقجه للحرمين من وقفيته الكلية المؤرخة بتاريخ أوائل محرم عام ٩٨٠هـ مايو ١٥٧٢م، واشترط فيها أنْ توزّع تلك الأموال على أفقر الفقراء وأعجز العاجزين السّاكنين والمتوطنين في أستانة السعادة العلية بمعرفة قاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم، وأكّد على عدم منح مَن ليس فقيرًا مِن تلك الأموال (٢١).

وطبقًا للوقف الذي أسّسته ماه الدوران خاتون ابنة عبد الله عام ٩٩٦هـ ١٥٨٨م، فقد اشترطت أنْ يكون منزلُها الواقع بالقرب من جامع إبراهيم باشا بحي بالي أغا لأبنائها من بعدها ثمّ لفقراء المدينة بعد فناء أولادها (٢٢).

ولأنّه قد أرسل إلى المدينة ٧٢٠ أقجه عام ١٠٤٢هـ ١٦٨٨م[٢٣]، فإن هذا يدلّ على أنّ أولاد الواقفة المذكورة انقرضوا قبلَ هذا التاريخ، أمّا دفتر الصّرّة الهمايونية المرقوم برقم ٤١١ فيسجّل أنّ هذا الرقم كان ٩ سكات حسنة [٢٤].

كما خصّص غضنفر أغا- وهو من أغوات دار السعادة- ربعَ محصول جزيرة كسندره التي ملّكها له السّلطان مراد الثالث ليوزّع على فقراء الحرمين الشّريفين (أواخر جمادى الأولى ١٠٠٤هـ يناير ١٥٩٦م)[٢٥].

واشترط خرم جاوش بن عبد المنان في أواخر ذي الحجة عام ١٠١٣هـ مايو ١٦٠٥م أنْ يؤجّر منزله الواقع بحي صوغان أغا بحي بايزيد باستانبول بعد وفاته وأنْ يخصّص مبلغ الإجارة على روح شخصٍ مدفون بفناء الجامع المجاور لمنزله، ولكنّه غيّر شرط الوقفية حالَ حياته ليكون شرطها أنْ يرسل مبلغ ٢٠٠٠ أقجه من إيجار المنزل سنويًّا للمدينة المنورة، وأنْ يوزّع هذا المبلغ على الفقراء بمعرفة الناظر هناك [٢٦].

وأوقفت السيدة هاني خاتون في وقفيّتها المؤرّخة بتاريخ أوائل رمضان من عام ١٠١٤هـ يناير ١٦٠٦م منزلها البالغ مساحته ٧٨٠ ذراعًا بحي ديوانه علي بك بايزيد باستانبول، ليؤجّر، وأنْ يوزّع ناتج إجارته على الفقراء في المدينة المنورة[٢٧]، وبلغ دخل هذا الوقف عام ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م ٢٠٠٠أقجه [٢٨].

أمّا قباد جاوش فقد أوضح في وقفيّته المؤرّخة بتاريخ ربيع الأول ١٠١٨هـ يونيو ١٦٠٩م أنّه سيتمّ تشغيل ثروته البالغة ٤٠ ألف أقجه، وأن يتمّ تأجير منازله الموجودة في استانبول، وسيقسّم المبلغ المتحصل إلى ثلاثة أقسام؛ الأوّل لمكّة والثّاني للمدينة والثّالث ليوزّع على الفقراء والصالحين في استانبول [٢٩].

أمّا مراد باشا بن عبد الرحمن الذي اشتغل واليًا على الشّام وصدرًا أعظم فقد أوقفَ في وقفيّته المؤرّخة بتاريخ ٢٨ رمضان ١٠١٨هـ ٢٥/ ديسمبر ١٦٠٩م ٥٣ حانوتًا كبيرًا و٨ حوانيت صغيرة بها حرفٌ مختلفة في سوق باب البريد بالشام، و٩ حوانيت بالمنطقة المعروفة بباب العربي بالشّام أيضًا، وكذا الكثير من الأموال غير المنقولة الموجودة في نواحي الشّام على فقراء الحرمين الشّريفين وذوي الحاجة وأبناء السبيل ابتغاءَ مرضاة الله تعالى وسعادة رسوله الكريم[٣٠]، وبلغ مقدار ما كان يتحصّل لفقراء المدينة فقط مِن وقف هذا الباشا ٢٤٥٧٢ أقجه[٣١].

أمّا اسكندر أوغلو بايزيد أحدُ أبناء بايزيد الذي اشتغل في مناصب هامّة في مرعش، والذي كانت له أوقافٌ كثيرة فقد خصّص في وقفيّته المؤرّخة بتاريخ أواسط ذي الحجة ١٠٧٢هـ ديسمبر ١٦١٨م ١٦ فلوري من دخل الطاحونة الموجودة بحي ديواي علي بمرعش، ١٢ منها للشّيخ الذي يخدم في الروضة المطهرة، وثلاثة من الأربعة المتبقّية لشراء زيت الزيتون، أمّا العملة الذهبية الباقية فتقسم وتوزّع على فقراء المدينة، ولا يزال هذا الوقف يعمل حتّى الآن، وقد بلغ حجم إنفاقه عام ١٩٩٥م ٤٩٤ مليون و٩١٨ ألف ليرة تركية [٣٢].

أمّا صفر أغا الذي كان أمينًا للصّرة لسنوات طويلة فقد وهب كلّ ثروته وممتلكاته عدا منزله الموجود باسكدار لفقراء المدينة المنورة، وذلك في غرة شعبان ١٠٣٣هـ مايو ١٦٢٦م[٣٣]، وكان الدخل العامّ لكلّ وقفه قد بلغ ٢٠٢٤٠ أقجه، كان يصل إلى المدينة منها على حسب شرط الواقف ١٥٩٠٠أقجه [٣٤].

كما خصّص بيرام كتخدا ثلاثَ سكّات لكلّ فردٍ من الفقراء الموجودين في الحرمين سنويًّا من الدّخل المتحصّل من إيجار منزله الموجود بحي يني محلّة باستانبول، وذلك في أوائل جمادى الأولى ١٠٣٨هـ يناير ١٦٢٩م [٣٥].

وتشتمل وقفيّة بيرام كتخدا هذه على خاصية يندر تصادفُها بين الوقْفيّات من حيث الوقف على الحرمين؛ لأنّ معظم الواقفين من هذا النّوع يجعلون ما أوقفوه وقفًا للحرمين بعد انقراض أولادهم، ولكنّ هذا الواقف اشترط إرسال ثلاث سكات حسنة من بادئ الوقف.

أمّا وقفية سروآزاد ابنة عبد الله المؤرّخة بتاريخ ذي القعدة ١٠٤٤هـ أبريل ١٦٥٣م، فقد اشترطت بها أنْ تكون الأربعة منازل المملوكة لها لأولادها من بعدها، ثمّ لفقراء المدينة بعد فناء أبنائها[٣٦]، وقد أُرسل مِن وقف سروآزاد لفقراء المدينة عام ١٠٤٢هـ ١٦٣٣م ٣٠٤ سكة[٣٧]، أمّا في عام ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م فأرسل ستين قرشًا أسديًّا [٣٨].

كما أوقفت السيدة خورشيد خاتون في ١٢/ شعبان/ ١٠٤٧هـ ١٢/٣٠/ ١٦٣٧م منزلَها الواقع بحي نيشانجي محمد باشا باستانبول لأولادها، ومن بعدهم لفقراء المدينة[٣٩]، ومنذ عام ١٠٥٢هـ ١٦٤٢م أصبحت مخصّصات هذه الوقفيّة المرسلة للحرمين ترسَل بالتقسيط، وبالرّغم من تخصيص الوقفية لفقراء المدينة إلّا أنّه في بعض الأحيان كان يرسل مِن دخل هذا الوقف لفقراء مكّة، على سبيل المثال أرسلت ٢٠ سكة حسنة إلى فقراء مكّة مِن هذا الوقف في ١١٠٠هـ ١٦٨٩م [٤٠].

كما أوقف محمد باشا الباش دفتردار في ٢٠/ ذي الحجة/ ١٠٦٥هـ ٢١/ ٩/ ١٦٥٥م منزله وحوانيته ومزرعته والكثير من أراضيه الواقعة بجزيرة كريت لتشغيل الجامع والعمارة والمدرسة التي أمر بإنشائهم، واشترط محمد باشا في وقفيّته أنْ ينفق على المدرسة والجامع والعمارة المذكورين أولًا، ثمّ يرسل الزيادة ليوزّع على فقراء المدينة المنورة سنويًّا بمعرفة شخص معتمَد وأمين[٤١]، ولا يوجد مقدارٌ

ثابت للأموال المرسَلة للحرمين في مثل هذه الأوقاف، وذلك لأنّ الدخل الضّروري للأوقاف لم يكن ثابتًا في كلّ وقت.

لذا فإنّ زوائد الوقف التي ترتفع في إحدى السّنوات تنخفض جدًّا بعد إخراج المصروفات غير المنتظرة، بل إنّه أحيانًا لم يعط أي زيادات قط.

وقد اشترط محمد باشا كوبورلو في ١٨/ رجب/ ١٠٧٠هـ ٣٠/ ٣/ ١٦٦٠م إرسال ١٠٠٠ فلوري من وقفِه بالرّومللي والأناضول وسيواس وحلب، وأن ترسل إلى فقراء الحرمين بمعرفة ناظر الوقف وأمين الصّرة[٤٢]، كما يوجد تسجيل آخر في مصادر الدخل لمحمد باشا كوبرلو المؤرّخة بتاريخ أواخر ذي الحجة ١٠٧٠هـ سبتمبر ١٦٦٠م بأنّه اشترط توزيع ٤ آلاف فلوري على فقراء الحرمين[٤٣]، وبذلك أصبح مجموع ما يرسَل من وقف محمد باشا ٥ آلاف فلوري، وقد أسّس فاضل مصطفى باشا أحدُ أفراد أسرة كوبرلو وقفًا لنفس الغرض، فطبقًا لما ورد بوقفيته المؤرّخة بتاريخ ٢٥ / صفر/ ١٠٨٩هـ ١٨/٤/ ١٦٧٨م أنه اشترط إرسال ٥٠٠ فلوري لمكّة، ومثلها للمدينة؛ مِن دخل إيجار منازله وحوانيته الموجودة بقانديه وبلغراد وإزمير، كما خصّص الزّائد عن ذلك لوالدته السيدة عائشة خاتون، أمّا بعد وفاتها فيصير نصفُ ما كان مخصّصًا لها للحرمين، أي أنّه طلب زيادة المبلغ المرسَل إلى الحرمين ١٠٠٠عملة أخرى [٤٤].

أمّا همايون خاتون فقد أوقفتْ في وقفيّتها المؤرّخة بتاريخ ١٩/ محرم/ ١٠٧٢هـ ١٤/ ٨/ ١٦٦١م منزلها الواقع بحي غالطة شاهسوار باستانبول لأولادها ثمّ لمكّة المكرمة من بعد أولادها الذين حافظوا على المنزل الذي كانت مساحته ٣٤٣ ذراعًا ونصف، وذا طابقيْن؛ جيدًا وتركوه لفقراء مكّة من بعدهم [٤٥].

وتحصّل من الوقف عام ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م ٦٠٠٠ أقجه، كان يرسل منها ٥٠ سكة حسنة لمكة [٤٦].

كما أوقفت السيدة أمّ هاني ابنة عبد المنان مبلغ ٤٠٠ قرش أسدي، ومنزلًا لها في حي داود باشا، ومنزلًا بحديقته في حي يني قابي، وحقلًا لها يقع أمام حديقة رجب باشا بطوب قابي، وورشة لصنع القوارب بالقرب من أوقاف زال محمود باشا بحي أيوب، واشترطت لهذا الوقف ما يلي: أنْ يتمّ تشغيل مبلغ الأربعمائة قرشٍ المذكورين بطريق الاسترباح[٤٧] ويكون دخل هذا المال لأولادها مِن بعدها، ثمّ بعد وفاة أولادها يتمّ جمع هذا المال مع الدخل الذي سيتحصل من تأجير الأملاك غير المنقولة، ويرسَل من هذا الدخل سنويًّا ٢٦٨٠ أقجه لفقراء مكّة والمدينة بشرط أنْ يرسل هذا المبلغ مع الصّرّة، ويؤرّخ لهذه الوقفية بأوائل شوال ١٠٧٨هـ ١٦٦٧م[٤٨].

أمّا وقفية محمد باشا بن حسين المؤرّخة بتاريخ ٣/ محرم/ ١٠٨١هـ ٢٣/٥/ ١٦٧٠م فقد اشترط بها الواقف أنْ يرسل مبلغ ١٥٠٠ أقجه من دخل إيجار منزله الواقع بحي قارة باش باستانبول، والذي يضمّ ٣٠ غرفة، و٣ مخازن، وبئرًا للمياه، وأربعة حوانيت إلى فقراء الحرمين الشريفين [٤٩].

أمّا محمد بك الذي كان أميرَ سنجق لابطا بقبرص فقد أوقف لفقراء المدينة المنورة دخل مزرعته الواقعة بلابطا، وثبت أنّه قد أرسل من دخل هذا الوقف للمدينة عام ١٠٠٨هـ ١٥٩٩م ٧٨٣ سكة حسنة [٥٠]، أمّا محمد بك ابن أبي بكر أمير سنجق باف فقد اشترط في وقفيّته أنْ يرسِل إلى فقراء المدينة مبلغ ٧٢٠٠ أقجه من دخل المزرعة التي أوقفها [٥١].

وخصّص عباس أغا أحد أغوات دار السّعادة مبلغ ٧٢٠٠ قرشًا أسديًّا لفقراء الحرمين من الوقف الذي أسّسه من تأجير منازله الواقعة بقصبة إسماعيل كجيد على

ضفاف نهر الطونة(٥٢)، وقد كانت كلّ تلك المخصّصات بتمامها للمدينة المنورة فقط (٥٣).

وخصّص مصطفى أغا أحد أغوات دار السّعادة مبلغ ١٢٨٠ سكة لفقراء المدينة، ومبلغ ٩٠٠ سكة لفقراء مكّة، وكان وقف مصطفى أغا هذا له أهمية كبرى لأنّه كان يخصّص جزءٌ من أموال الوقف للفقراء بالشام (٥٤).

أمّا ذو الفقار أفندي دفتردار التّرسانة العامرة فقد أوقف في غرّة ربيع الأول عام ١٠٩٧هـ ١٦٨٦/٣/١م ١٠ أقجات يوميًّا للمدرّسين الذين يدرسون العلم في آيا صوفيا، وأربعة أقجات يوميًّا لكلّ طالب، وشراء مجموعة من الكتب وتوزيعها على الطلاب والأساتذة، وتخصيص مبلغ ١٠٠ أقجه للشخص الذي يعتني بالكتب، وما تبقّى من مال يرسل لفقراء المدينة المنورة مع الصّرّة (٥٥).

كما أوقف محمد أغا بن عبد الرحمن دخل إيجار منازله الواقعة بجوار آيا صوفيا لأولاده، ثمّ للمدينة المنورة بعد أولاده، أمّا منازل الواقف المذكور الموجودة بقاضي كوى وأسكدار فتؤجّر ويقسّم الدخل المتحصّل من هذا الإيجار إلى قسمين: الأوّل لفقراء الحرمين، والقسم المتبقّي يخصّص للجامع الذي يؤسّسه الواقف المذكور (٥٦).

أمّا مصلّى أغا فقد أوقف الأربع والعشرين قطعة فضية المتبقية من إنشاء الجامع والعمارة الخيرية اللّتيْن أسّسهما الواقف في مصر على أنْ يكون عشرة منها لفقراء مكّة ومثلها لفقراء المدينة، والأربعة الباقية لفقراء القدس، كما خصّص بخلاف ذلك ٣٠ قطعة فضية أخرى للفقراء في مكّة والمدينة بشرط أنْ يتمّ توزيعها بمعرفة مشايخ الحرمين (٥٧).

أمّا سنان بك الرقاص الذي اشتغل في وظيفة ملتزم الأوقاف في الروم‌للي فقد خصّص مبلغ ٣٦ ألف أقجه للحرمين من الوقف الذي أسّسه في قارين آباد [٥٨].

كما خصّص مبلغ ١٢٠ قرشًا أسديًّا لفقراء المدينة من الأوقاف التي في مكّة والمدينة [٥٩].

ويمكن أنْ نجمل الأوقافَ التي أسِّسَت للفقراء على ما يلي:

اسم الواقف	الجهة	مقداره
السلطان مراد الثاني	لفقراء مكة	٣٥٠٠ فلوريًّا
السلطان مراد الثاني	لفقراء المدينة	٣٥٠٠ فلوريًّا
السلطان مراد الثاني	لفقراء القدس	٢٠٠ فلوريًّا
محمد جلبي	لفقراء الحرمين	٤٥٧٢ أقجه [٦٠]
حمزة بك الشراب دار	لفقراء المدينة	دخل القرية
محمود بن اسفنديار	لفقراء المدينة	دخل القرية
بايزيد الثاني	لفقراء المدينة	٤٠٠ دينارًا أشرفيًّا
إياس أغا الخادم	لفقراء المدينة	دخل القرية
بكتاش خليفة	لفقراء المدينة	٧٦٥٩ أقجه [٦١]
عبد السلام بك[٦٢]	لفقراء الحرمين	٢٣٠٠٠ أقجه [٦٣]
سليمان القانوني	لفقراء مكة	صدقة كثيرة
مراد الثالث	لفقراء الحرمين	٦٠٠ سكة
شهزاد شاه سلطان	لفقراء المدينة	دخل القرية
سلجوق سلطان	لفقراء المدينة	١٨٠٠ أقجه
مهرماه سلطان	لفقراء الحرمين	٢٠٠٠ فلوري
برتو محمد باشا	لفقراء المدينة	١٠٠٠٠ أقجه
سنان باشا	لفقراء المدينة	٤٠ ألف أقجه
كمانكش مصطفى باشا	لفقراء الحرمين	٢٥٠٠ سكة[٦٤]
محمد باشا الدفتردار	لفقراء المدينة	من زوائد الوقف
محمد باشا كوبرلو	لفقراء الحرمين	ألف فلوري
كوبرولو محمد باشا	لفقراء الحرمين	٤٠٠٠ فلوري
فاضل مصطفى باشا	لفقراء الحرمين	ألف فلوري

محمد باشا بن حسين	لفقراء الحرمين	١٥٠٠ أقجه
قوجة مصطفى باشا	لفقراء الحرمين	١٥٠ قرشًا أسديًّا [٦٥]
يحيى باشا	لفقراء الحرمين	١٠٠١ قرشًا أسديًّا [٦٦]
أحمد باشا دالقيج	لفقراء المدينة	٢٧٥ سكة[٦٧]
يوسف باشا	لفقراء المدينة	١٠٠ سكة[٦٨]
داود باشا	لفقراء الحرمين	٢١١ سكة[٦٩]
خرم باشا	لفقراء المدينة	١٢ ألف أقجه[٧٠]
درويش باشا	لفقراء مكة	٥٤ ألف و ٦٠٠ أقجه [٧١]
محمد بك	لفقراء المدينة	٧٨٣ أقجه[٧٢]
غضنفر أغا	لفقراء الحرمين	دخل الأراضي
مصطفى أغا	لفقراء مكة	٩٠٠ سكة
مصطفى أغا	لفقراء المدينة	١٢٨٠ سكة
عباس أغا	لفقراء المدينة	١٢٧ أقجه
هانى خاتون	لفقراء المدينة	٢٠٠٠ أقجه
سراو زاد خاتون	لفقراء الحرمين	٣٠٤ سكة
خورشيد خاتون	لفقراء مكة	٢٠ سكة
همايون خاتون	لفقراء مكة	٥٠ سكة
أم هاني خاتون	لفقراء الحرمين	٢٦٨٠ أقجه
فاطمة خاتون بنت فرهاد	لفقراء الحرمين	٢٠٠ أقجه[٧٣]
أمينة خاتون	لفقراء الحرمين	١٨٩ سكة[٧٤]
طايه خاتون	لفقراء الحرمين	٨٥ سكة[٧٥]
أصفهان شاه خاتون	لفقراء الحرمين	-
فاطمة خاتون	لفقراء مكة	٣٠ سكة [٧٦]
فروح شاه خاتون	لفقراء المدينة	١٤٤٠ أقجه [٧٧]
ماهى جهره خاتون	لفقراء المدينة	٥٤ سكة [٧٨]
أسماء خاتون زوجة حسن	لفقراء المدينة	١٨٩ سكة [٧٩]
الخاتونية في طرابزون	لفقراء الحرمين	٢٤٠ قرشًا [٨٠]
حميدة خاتون في صفران	لفقراء الحرمين	٥ قروش أسدية [٨١]
أسبيل خاتون في مصر	لفقراء المدينة	٢٥٠ بارة[٨٢]
خديجة خاتون في مصر	لفقراء المدينة	١٢٠٠ أقجه[٨٣]

ست شاه خاتون ابنة شيخ الإسلام على جلبي	لفقراء مكة	١٠٠٠ أقجه(٨٤)
عائشة خاتون ابنة قاسم أغا	لفقراء المدينة	٣٠ ألف أقجه(٨٥)
عائشة خاتون ابنة قاسم أغا	لفقراء مكة	٣٠ ألف أقجه(٨٦)
خرم جاوش	لفقراء المدينة	٢٠٠٠ أقجه
عبد الرحمن أفندي	لفقراء الحرمين	٥٧٥٠ أقجه(٨٧)
مصطفى أغا جبه جى باشي	لفقراء الحرمين	١٣ ألف أقجه(٨٨)
خوجه آيدين بك	لفقراء الحرمين	٣٠٠٠ أقجه(٨٩)
بواب الكتخدا القديم اسكندر	لفقراء المدينة	٤٢ سكة(٩٠)
سنان بك الصغير	لفقراء المدينة	١٠٠ سكة(٩١)
كوبرولو محمد كتخدا	لفقراء المدينة	١٠٥ سكة(٩٢)
حسين أفندي	لفقراء المدينة	٧٧٢ أقجه(٩٣)

وبهذا يكون مجموع الأوقاف التي كانت مخصّصة للفقراء في الأماكن المقدّسة ٦٤ وقفًا، ٢٤ منها لفقراء الحرمين، ٣٠ منها لفقراء المدينة، ٩ منها لفقراء مكّة، وواحدٌ منها للقدس، وإذا ما وجد تعبير فقراء الحرمين في الوقْفيّات أو في دفاتر الصّرّة فإنّ أموال هذا الوقف حينئذٍ توزّع مناصفة بين مكّة والمدينة؛ على سبيل المثال الخمسة آلاف فلوري التي اشترطها محمد باشا كوبرولو لفقراء الحرمين كانت توزّع مناصفة بين فقراء المدينة ومكة.

وثمّة خاصية تلفتُ الانتباه في الجدول المذكور وهي عدم التوازن الموجود بين مكّة والمدينة من حيث مقدار الأموال المرسَلة، ومن حيث عدد الأوقاف المخصّصة لكلّ واحدة منهما، وهنا تظهر حقيقةٌ تاريخيّة ألا وهي أنّ الأوقاف والأعمال الخيرية

التي تمّت للمدينة المنورة على مدار التاريخ الإسلامي كانت تفوقُ ما تمّ لمكّة، وذلك لأنّ الموجودين في مكّة منذ عهد الجاهلية كانوا تجّارًا يشتغلون بالتجارة، كما أنّ الوافدين للكعبة كلّ يومٍ من أيّام العام أعطى الانتعاش لتجارتها، أمّا المدينة فمصدرُ دخلها الأساسي هو الزراعة، وبالرغم من أنّها كانت محجمةً بهذا المصدر الوحيد للتّعيش إلّا أنّ الأهالي كانوا يضطرّون للبحث عن سبلٍ ومصدرٍ جديد للرّزق والتعيش؛ لذا كانوا يشعرون بأنّهم في حاجة للصدقة القادمة من الخارج.

وقد تمّ تسجيل الفقراء في مكّة والمدينة في دفاتر الصّرّة على شكل جماعات، وكانت هناك بعضُ الدّفاتر التي تكتب الأهالي بشكل عام، والحصص المقرّرة لهم، وبعضها الآخر كان يكتبها بشكل مفصّل، أي يكتب اسم كلّ جماعة والمبلّغ المقرّر لهم، ومن خلال تلك المعلومات الواردة بالدّفاتر يمكننا تصنيف الجماعات التي تعيش في المدينتيْن على هذا الشكل:

١- الفقراءُ القاطنون في مكّة والمدينة (المجاورون)

بالرّغم من أنّ كلمة المجاورين تستخدم أكثر ما تستخدم للتعبير عن المجاورين لرسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- في المدينة المنورة، إلّا أنّ دفاتر الصّرّة أطلقت تعبير المجاورين على مَن يعيشون بالمدينة ومكّة- أيضًا- من الفقراء.

وهؤلاء هُم الذين كان لهم نصيبٌ من المخصّصات في المدينة المنورة عام ١٠٤٩هـ ١٦٣٩م:

وفي عام ١١٠٠هـ ١٦٨٩م أضيف مبلغ ١٠ سكات لهذا الرقم المذكور خصّصت

الاســــــــــــم	عدد الأشخاص	البارة لكل حجرة	المجموع
الحجرات القديمة	٧٦٩	١ حسنة	٧٦٩ سكة
الحجرات الجديدة	٦٩٢	٤ حسنة	٢٧٦٨ سكة
خارج الحجرات القديمة والجديدة	٥٤٦	١.٥ حسنة	٨١٩ سكة
في الزوايا الثلاث	٣٢	٢ حسنة	٦٤ سكة
المقيمون في منازل المدينة الباقية	٤٣٥١	١.٥ حسنة	٦٢٢٦٥ سكة
المجموع	٦٩٣٠		١٠٩٤٦٥ سكة(٩٤)

لعشرةِ أفراد يقيمون في زاوية السّلطان، وعلى هذا كان بالمدينة المنورة في تلك السّنة المذكورة ٦٩٤٠ فردًا يأخذون ١١.٠٤٦.٥ سكة حسنة (٩٥)، كما أنّ مجموع السكة الحسنة التي أرسلت للمدينة في هذا العام المذكور زادت إلى ٢٦ %.

ويمكن رؤية مجموع الأموال التي كان يأخذها الفقراء في الحرمين بشكل أوْضح من خلال صرّة عام ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م (٩٦).

مجموع الصرة	مكّة المكرمة	المدينة المنوّرة	الحرمين
٦٣.٨٤٨	٢.٦٥٩	١٨.٦٣٤	٢٧.٦١٨.٥

وعلى هذا يتّضح أنّ مجموع إجمالي الصّرّة بلغ ٤٨.٩١١.٥ سكة، كانت نسبة ما يأخذه الفقراء منها ٧٦.٦%، ممّا يظهر أنّ أكبر حصة من الصّرّة والأوقاف في الحرمين كانت من نصيب الفقراء.

٢- الجماعات

أثناء توزيع مخصّصات الأوقاف في دفاتر الصّرّة المختلفة كان يذكر بها أسماءُ الجماعات، وكانت تلك الجماعات تذكَر بكلماتٍ تعني أسماءها، وأحيانًا كانت تستخدم بعض المفاهيم الخاصّة بها، على سبيل المثال ما ورد في دفتر الصّرّة المرقوم برقم ٤١١ فقد ذكر الخدم في تلك الدّفاتر على أنهم جماعة.

أ - الجماعاتُ الموجودة بمكة

الجماعات الموجودة بمكة والمخصّصاتُ التي يحصلون عليها:

اسم الجماعة	مقدار التخصيص
جماعة التكية الجلشنية وخدامها	٩٦ سكة حسنة
السادات الأشراف	٣٣٥ سكة حسنة
الأروام المجاورون للكعبة	١.٩٢٤.٥ سكة
الأعاجم المجاورون للكعبة	١.٢٨١ سكة
الخطباء والأئمة	٩ سكات

خدام البيت الشريف	٢٤ سكة
بقية الخدام	٩ سكة
القراء	١٢ سكة
جماعة مؤذني الحرم	٤٧ سكة
الفراشون	٢٠ سكة
خدام المقامات الأربعة	١٢ سكة
الوقادون	١٨ سكة
نواب الباب	٧٤ سكة
أغوات الحرم الثلاثة عشر	٣٩ سكة
جماعة مستدين مطاف الحرم	٣٠ سكة [٩٧]
المجموع	٣.٨٩٤.٥ سكة

ب ـ الجماعات الموجودة بالمدينة

أمّا الجماعات الموجودة بالمدينة المنورة وكان لها نصيبٌ من صرّة استانبول فهي:

اسم الجماعة	عدد الأشخاص	النصيب المقرّر لهم
خدام مخازن المدينة المنورة	٣٦	٥٨٢ سكة
خدام مخازن ينبع	٧	١٧٥ سكة
فقراء رباط كتخدا قادين	٦	٦٢
مواجب الحوران التوجهات القديمة	١٤٠	٧٠٠
المحافظون	٩٠	٤٥٠

خدام عين الزرقا	٢٠	١٠٠
التوجهات الجديدة	٩٠	٤٥٠
أشراف بني الحسين	٣٠٠	١.٥٠٠
متعلقات الشريف الحسين	١١٥	٥٥٥
فقهاء أهل المدينة وسائر أهل المدينة	٥٧٨	٢.٨٩٠
جماعة أغوات خدام الحرم	٣١	١٥٠
جماعة المشد بالحرم	١٤٤	٧١٧
المجموع	١.٥٥٧	٨.٣٣١ سكة

ج- الجماعاتُ الأخرى التي وفدت من الخارج واستقرّت بالحرمين:

لم تمنعِ الإدارة العثمانيّة أيّ شخص من القدوم إلى مكّة المكرمة أو المدينة المنوّرة والاستقرار بهما، بل على النقيض كانت الإدارة العثمانيّة تخصّص لهم الأموالَ لتأمين الاحتياجات اللازمة لهم، عن طريق الأوقاف أو عن طريق الصّرة، وكان الإداريون المحليّون يقومون بإدراج أعداد هؤلاء الأشخاص والأماكن التي

جاءوا منها، لتخصّص صرّة بالقدر الذي يكفي لكلّ جماعة، وتلك هي الجماعات التي كانت تعيش بالمدينة وكان لها نصيبٌ من الصّرة:

اسم الجماعة	العدد	المقرّر لهم
جماعة مصر	١٤٥	٧٢٢
جماعة الروم	٣١٥	١.٥٧٦
جماعة القدس والشام وحلب وبغداد	٣٨	١٦٢
جماعة العجم	١٤٥	٧٢٦
جماعة الأكراد	٧	٣٢
جماعة العرب	٤٨	٢٤٣
جماعة التكرور	٥	٢٤
جماعة مصر	٣٥	٢٤٣
جماعة الجنوب	٨	٤٠
جماعة اليمن	١٠٤	٥٢١
جماعة ..	٨	٤٠

جماعة الهنود	٣٣	١٦٤
جماعة العتقاء	٥٠	٢٥٠
جماعة النساء	١٢٢	٦١١
جماعة نساء الأروام	٢٤٨	١.٢٣٩
جماعة نساء الهنود	٢١	١٠٤
جماعة نساء العتقاء	٣٢	١٥٦[٩٨]
الذي يوزع بيد مرتضى باشا	٢١٤	١.٠٧٠
المجموع	١.٥٧٨ شخصًا	٧.٩٢٣ سكة[٩٩]

ومِن خلال الجدول السّابق يتضح أنّه كانت هناك مخصّصات للسبعة عشر جماعة التي وفدتْ من خارج المدينة واستقرّت بها، والتفريق بين الرجال والنساء في تلك المخصّصات يلفت الانتباه.

وأنّه بفضل المخصّصات الخاصّة التي كانت ترسل عن طريق الصّرّة أو الأوقاف المؤسّسة للفقراء، كان الفقراء في مكّة أو المدينة يحصلون على ما خصّص لهم من أوقاف سنويّة عن طريق الصرّة.

ثانيا : الأوقافُ التي أسّسَت للموظّفين الموجودين بالمدينة

يمكن تقسيمُ الموظّفين الذين يعملون في الأوقاف إلى قسميْن: الأوّل هُم الموظّفون الإداريّون المسئولون عن شئون الوقف كالنّاظر والمتولي والمحاسب والجابي، أمّا الثاني فهُم الموظّفون المكلّفون بتحقّق هدف وغاية الوقف، والموظفون في هذا القسم- أيضًا- ينقسمون إلى قسميْن؛ موظّفين يقومون بأعمال محدّدة كالتدريس والخطابة والطبابة، أمّا الثاني فهُم الموظّفون الذين تعتمد أعمالهم على الحرفة والصنعة (١٠٠).

١- الوظائفُ الإدارية

متولي الوقف هو المسئولُ عن هذا الوقف بشكل عام، أمّا في العهد العثماني فكان أغا دار السّعادة هو أعلى درجة بين إداريي الأوقاف المؤسسة للحرمين، وكان المتولّون وأغوات دار السّعادة يديرون الأوقاف ويحصلون دخولها، وينظرون شئونها بالشكل المحدّد والمشترط في الوقف، أمّا إدارة مخصّصات الأوقاف التي كانت ترسَل إلى الحرمين فكان ينظر في شئونها طبقةٌ إدارية أخرى في مكّة والمدينة على رأسها مشايخُ الحرم، وها هم الإداريّون طبقًا لما ورد بدفاتر الصّرة: شيخ الحرم في مكّة المكرمة (الوالي)، حامل مفتاح البيت المعظم، مدير الحرم الشريف، نائب الحرم، رئيس العلماء والخطباء، قضاة المذاهب الأربعة، شيخ الأغوات، رئيس المؤذّنين، رئيس الفرّاشين، رئيس الأدلّاء، رئيس السّقائين، شيخ المشهدين، رئيس البوّابين؛ أمّا في المدينة المنورة: شيخ الحرم، نائب الحرم، الأغا المتسلّم، رئيس الأغوات، مدير الحرم الشّريف، قضاة المذاهب الأربعة، رؤساء المؤذّنين والفرّاشين والخطباء، نقيب الأئمّة.

ويمكن أنْ يكون للوقف الذي أسّس لتيسير الخدمات في مكّة والمدينة ثلاثة نظّار؛ واحدٌ في المكان الذي أسّس فيه الوقف، والثّاني في مكّة، والثّالث في المدينة، على سبيل المثال كان أحدُ أغوات دار السّعادة ينظر في شئون كلّ أوقاف السّيدة خديجة طورخان سلطان، وبخلاف هذا الأغا دار كان يوجد ناظرٌ ينظر في شئون الأربعين شخصًا الذين سيقرءون القرآن الكريم في مكّة ويدْعون للسيدة الواقفة، والمئة وعشرون شخصًا الذين سيقرءون القرآن على روح رسول الله وأهل القرآن، وناظرٌ آخر للنظر في شئون الأشخاص الذين سيقرءون القرآن في الروضة المباركة على روح رسول الله ويدْعون للسّلطان هناك، وناظرٌ آخر للنظر في شئون توزيع الأموال المرسَلة مع الصّرّة (١٠١).

ونفس الشيء مع الوظائف الإدارية الأخرى كوظيفة الكاتب والمحاسب فهم- أيضًا- كالنظّار يمكن أنْ يزيدوا عن واحدٍ طبقًا لمحلّ واختلاف الخدمة التي يؤدّونها.

وقد استخدم الكثيرُ من الموظّفين في المدارس ودور الشفاء والأربطة والعمارات وغيرها من الآثار الخيرية التي تعدّ كلّ واحدة منها بمثابة الوقف في مكّة والمدينة، هذا فضلًا عن أنّه قد خصّصت المخصّصات بمقادير تلفت الانتباه للمُشتغلين بعناية ونظافة الأماكن المقدسة، وعلى رأسها الكعبة والمسجد النبوي، والمؤسّسات الأخرى التي تخدم الأهالي.

وتلك هي التّسجيلاتُ المتعلّقة بهذه الخاصية، والتي رأيناها في الوقْفيّات المختلفة:

أوقف الحاج إيواز باشا أحدُ أكبر قادة عصر محمد جلبي أملاكه الموجودة بالمنطقة على مدرسته وزاويته بأيوب اللتيْن أمر بتأسيسهم في طوقاد، وقد اشترط الواقف تخصيص ١٠٠٠٠ درهمًا لخدمة الأماكن المقدسة في مكّة والمدينة، وذلك

بعد إخراج مصاريف المدرسة والزاوية، واشترط الواقف المذكورُ تخصيص مبلغ ٢٠٠٠ درهمًا لخدّام الرّوضة المطـهّرة، و١٠٠ درهمًا لخدام الكعبة المعظمة [١٠٢].

أمّا السّلطان بايزيد الثّاني فقد أوقف في وقفه المؤرّخ بتاريخ جمادى الأخرى/ ٩٠١هـ فبراير ١٤٩٦م

٣٠٠دينارًا أشرفيًّا سنويًّا لمَن يقومون بالوظائف المختلفة بروضة رسول الله صلّى الله عليه وسلم[١٠٣]، أمّا علي باشا الخادم الذي كان أحد الصّدور العظام لعهد السّلطان بايزيد الثّاني، وكان يولي أهميةً كبرى للعلم والخير إلى جانب سلطته السياسيّة فقد أوقف مبلغ ١٤٠ سكة لمَن يقومون بالوظائف التّسع الآتي بيانُها فيما يلي من جملة ٨.٢٦٠ سكة هي ريع الوقف الذي أسسه عام ٩١٥هـ، هذا بخلاف خيرات[١٠٤] الجامع والحمّام الذي أمر بإنشائهما باسمه في قرّة جمرك باستانبول. وتلك هي الوظائف والمخصّصات المقرّرة لها:

الوظيفة	مقدار النقود
ناظر الحرم	١٠
خطيب الحرم	١٠
الإمام الحنفي بالمدينة المنورة	١٠
مؤذنو الروضة المطهرة	١٠

خدام الروضة المطهرة	٢٠
فراشو الروضة المطهرة	٢٠
بوابو الروضة المطهرة	١٠
سقاءو الروضة المطهرة	١٠
مجاورو الروضة المطهرة	٤٠

وسجلت نفس الأرقام السابقة في دفاتر التحرير باستانبول المؤرّخة بتاريخ ٩٥٣هـ ١٥٤٦م [١٠٥].

كما طلب مصطفى باشا الشهيد (٩٣٨هـ ١٥٢٩م) صرف ٣٠٠ سكة سنويًّا للصّالحين بالمدرسة التي بناها في المدينة المنورة ولخدّام الروضة المطهرة وذلك بعد إخراج نفقات المدرسة والعمارة اللتيْن أمر بإنشائهما من ريع أملاكه الكائنة باستانبول والأناضول وديماطوقه ويانبولى، وإينة باختى، وأولونيا [١٠٦].

أمّا السّلطان محمد الرّابع الذي كانت فترة سلطنتِه أطولَ فترة سلطنة في القرن السّابع عشر، فقد خصّص للموظّفين الموجودين في مكّة والمدينة من مصادر دخله الموجودة بمصر والأناضول ما يلي:

مكان الصرف	اسم الوظيفة	الكمية
مكة	أئمة الكعبة	١٠٠ قرش

مكة	الأغوات	٦٥
مكة	أئمة المذاهب الأربعة	٣٤٥ ذهبًا و٧٧٦ قرشًا
مكة	خدام الكعبة	٤٧٣ ذهبًا و ١.٠٦٤ قرشًا
مكة	الخدم	١.٧٠٠ قرشًا
المدينة	أئمة المسجد النبوي	١٠٠ قرشًا
المدينة	الأغوات	٦٥
المدينة	أئمة المذاهب الأربعة	٣٤٥ ذهبًا و ٧٧٦ قرشًا
المدينة	خدام الروضة المطهرة	٤٧٣ ذهبًا و ١.٠٦٤ قرشًا
المدينة	الخدم	١.٧٠٠ قرشًا (١٠٧)

وتلك هي المخصّصات المقرّرة للموظّفين الموجودين في الحرمين في وقفية كوسم والده سلطان التي ذكرنا خدماتِها قبل ذلك:

الوظيفة	المقرّر لها
لخدام بئر زمزم	١٠ سكات
للشخصين الذين يقومان بوظيفة الإمامة في مكة	١٠عملات ذهبية
لكلّ مشد بمكة	٥ عملات ذهبية

لكلّ مشد بالمدينة	١٠ عملات ذهبية
للشخصين الذين يعملان سقائين بالروضة المطهرة	١٠ عملات ذهبية
المجموع	٩٥ فلوري[١٠٨]

وهذا الرّقم يمثّل ١٥ % من جملة مصاريف الحرمين البالغة ٦٠٠٠ فلوريًّا، وإذا ما علمنا أنّ الواقف أوقف ٣٠ فلوريًّا لمَن يقوم بوضع وفرش سجادة إمام المسجد النبوي سيتّضح لنا مدى أهمية تلك الوظيفة.

كما خصّصت السيدة خديجة طورخان سلطان مبلغ ٣٠٠ قرشٍ أسديّ لمَن يشتغلون بفرش الرّوضة المطهرة [١٠٩].

كما أوقف جعفر باشا بن عبد المنان[١١٠] أحدُ عبيد قليج على باشا، والذي عملَ محافظًا لطرابلس الغرب وأمير أمراء على قبرص؛ جزءًا من ريع الأراضي التي تملّكها في جزيرة قبرص، وهي على ما يلي:

٤٠ ألف أقجه من ريع الأراضي والحديقة والمنزلين ذي الطابقين الكائنين بقرية.. [١١١] التابعة لقضاء لفكوشا بقبرص، ٢٠ ألف أقجه توزّع بالتساوي بين الخطيب والمؤذنين والقائمين بخدمة الروضة المطهرة، وبذلك يكون مجموع ما يرسله سنويًّا ٦٠ ألف أقجه[١١٢]، وقد تمّ التحقّق من أنّ مخصّصات هذا الوقف وصلت عام ١١٠١هـ ١٦٩٠م إلى ٤٠١ سكة [١١٣].

أمّا المخصّصات التي خصّصها حسين كتخدا للأغوات في المدينة من دخل تأجير صابون خاني الواقع بقبرص، فتحتلّ أماكن كثيرة في دفاتر الصّرّة، وبلغ

مقدارُ الأموال التي أرسلت إلى المدينة من هذا الوقف عام ١٠٠٨هـ ١٥٩٩م ٥٠٠ سكة حسنة [١١٤].

وكما هو واضحٌ أنّ مِن الواقفين مَن اشترط بشكلٍ صريح نوعيّةَ الوظيفة المخصّص لها الأموال، ومنهم مَن اكتفى بذكر موظّفي الكعبة وخدام الروضة المطهرة فقط.

٢- أهلُ القرآن وأهلُ الدعاء

ويشكّل مَن يقرءون القرآن الكريم على أرواح صحابة رسول الله وعلى آل البيت في الكعبة والروضة المطهرة؛ قسمًا هامًّا من الوظائف التي كانت تستخدم في أوقاف الحرمين، ويرى من خلال الوقْفيّات أنّ الواقفين اشترطوا قراءة القرآن الكريم والدّعاء لسلطان العصر، أو الدّعاء لهم في الأماكن المقدسة.

وكان هذا القسم يسجَّل في دفاتر الصّرّة بشكل عام على شكل "الأجزاء خانان والصّلوات خانان".

وأوّلُ مَن تصرّف بهذا الشكل بين الواقفين العثمانيين هو السّلطان مراد الثّاني، فقد أوصى في وصيّته المؤرّخة بتاريخ ٧/ جمادى الأولى/ ٨٥٠هـ ١/٨/ ١٤٤٦م بما يلي: يوزّع بعد وفاته ٢٠ ألف فلوريّ سنويًّا من أملاكه الموجودة بصاروخان على مكّة والمدينة والقدس بالشكل التالي:

الوظيفة	المال المخصص
لمن يقرءون كلمة الشهادة في الكعبة	٥٠٠ ذهبية
لمن يقرءون كلمة التوحيد في المسجد النبوي	٥٠٠ ذهبية
لمن يذكرون الله تعالى في مكّة والمدينة والقدس ويختمون القرآن	١٠ آلاف فلوري [١١٥]

كما خصّص محمود باشا أحد وزراء الفاتح مبلغ ٥٦٠ فلوري من وقف الجامع الذي أسّسه في الحي الذي يحمل اسمَه في استانبول، وذلك لتوزّع على فقراء مكّة والمدينة ومَن يقرءون الخاتمة على روح النبي- صلّى الله عليه وسلّم- في المدينة، وقد وزّعت على ما يلي:

المقصد	الموظف	المبلغ
قراءة القرآن كلّ يوم في الروضة المطهرة	٣٠ شخصًا	٣٠٠ ذهبية
قراءة المصحف الشريف	الخطيب الحنفي	١٠ ذهبيات
الصلاة والسلام على النبي كلّ يوم بالروضة	١٠ أشخاص	١٠٠ ذهبية
المجموع	٤٤ شخصًا	٤١٠ ذهبية[١١٦]

كما أحسن محمود باشا مِن وقفه على الطلاب الذين يدرسون وينقلون علم الحديثِ في الرّوضة المطهرة، وهذا اختلاف عن بقية الواقفين الآخرين.

أمّا صوفي فاطمة سلطان فقد اشترطت في وقفيّتها المؤرّخة بتاريخ جمادى الأخرى ٩٠٧هـ/ نوفمبر ١٥٠١م أنْ يصرف أقجتين يوميًّا لشخص من السادات مقابلَ قراءته جزءًا من القرآن الكريم وإهداء ثواب تلك القراءة لروح الرسول صلى الله عليه وسلم[١١٧]، وهذه المخصّصات لفاطمة سلطان تأخذ مكانًا أكثرَ وضوحًا في دفاتر الصّرّة ودفاتر حساب أوقاف الحرمين، فطبقًا لما ورد في دفتر حساب أوقاف الحرمين المرقوم برقم ١٨٠٦ نجد أنّ هذه السيدة طلبت أنْ يرسل إلى المدينة المنورة في شهر صفر من كلّ عام ٨٦٤٠ أقجه من أوقافها في استانبول، وأن يخصّص

٧٤٢ من نفس الوقف لقراءة جزءٍ لروح رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- في المدينة كلّ يوم (١١٨).

أمّا عائشة سلطان ابنة السّلطان جم فقد خصّصت ٨٥ فلوريًّا لمَن يقرأ سورة الإخلاص ثلاث مرّات والفاتحة مرّة واحدة بعد صلاتي الصّبح والعصر كلّ يوم، ويجعل ثوابَها لروح رسول الله (١١٩).

أمّا مسيح باشا أحد الصّدور العظام لعهد بايزيد الثاني فقد اشترط في وقفه الذي أسّسه من ريع المال المتحصّل له من أملاكه الموجودة بمصر، أنْ يخصّص ٢٤ فلوريًّا أشرفية للإمام الشافعي بمكّة الشيخ شهاب الدين أحمد ومثلها لشيخ الحرم المدني الشيخ يحيى بن صالح مقابل قراءتهم خمسة أحزاب يوميًّا وإهداء ثوابها لروحه بعد موته، كما خصّص- أيضًا- ٢٤ فلوريًّا أشرفية للاثني عشَرَ حافظًا الذين سيقرءون خمسة أحزاب ويهبون ثوابها لروحه (١٢٠).

كما خصّص السّلطان سليم الأوّل ٣ عملات ذهبية يوميًّا لثلاثين من أهل القرآن يقرءون الخاتمة يوميًّا (١٢١).

كما خصّص شخصٌ يدعى محمد بن محمد كان يقيم في عينتاب دخل أرضه التي تبلغ أربعة أذرع بحدودها من وقفه المؤسّس بتاريخ ٢/ ربيع الأول/ ٩٤٢هـ ٣١/٨/ ١٥٣٥م لقراءة القرآن على روح رسول الله، وعيّن قاضي عينتاب متولّيًا على هذا الوقف (١٢٢).

أمّا مهرماه سلطان ابنة السّلطان سليمان القانوني فقد خصّصت ١٨٩ أقجه لثلاثة وتسعين شخصًا في مكّة والمدينة وخليل الرحمن، على أنْ يكون ٨٣ منهم قرّاء، وثلاثة رؤساء للقرّاء، وثلاثة نوقطجي، وثلاثة نظّار، ويكون لكلّ واحد منهم

أقجتان[١٢٣]، كما اشترطت- أيضًا- تخصيص ١٠ عملات ذهبية لكلّ فرد من الثلاثين شخصًا الذين هُم من أهل القرآن وسيقرءون جزءًا يوميًّا بعد صلاة الظهر في مقام إبراهيم، ويهبون ثوابها لروح الواقفة، واشترطت- أيضًا- تخصيص ١٠ عملات ذهبية لكلّ فردٍ من الثلاثين الذين سيقرءون القرآن كلّه في المسجد النبوي يوميًّا، على أنْ يكون ثواب العشرة أجزاء الأولى لروح رسول الله، والثانية لروح صحابته الكرام، والثالثة لروح الواقفة [١٢٤].

كما خصّص رستم باشا ٢٠ سكة سنويًّا لكلّ شخص من أهل القرآن الكريم سيقرأ جزءًا من الثلاثين جزءٍ التي أرسلها الواقف المذكور من القرآن الكريم بعد صلاة الصبح يوميًّا في الحرم الشريف، واشترط رستم باشا أنْ تكون قراءة آخر ثلاثِ سور (الإخلاص- الفلق– الناس) والفاتحة بصوتٍ مرتفع، وأنْ يهدى ثوابها لروح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخصّص- أيضًا- ٣ عملات ذهبية للشّخص الذي سيقوم بتوزيع الأجزاء وجمعها والمعرف[١٢٥].

أمّا فاطمة خاتون التي لا نعرف شيئًا عن حياتها سوى اسمها من الوقفية، فقد خصّصت ٨٠٠ أقجه من وقفها المؤرّخ بتاريخ أواخر رمضان عام ٩٨٠هـ يناير ١٥٧٣م لروح رسول الله، وأضافت للشّرط تخصيص ١.٥ أقجه يوميًّا لمَن سيقرأ القرآن في الروضة لروح رسول الله ولروح الواقفة [١٢٦].

كما اشترط محمد باشا صقوللو أنْ يقوم ٣٠ شخصًا بقراءة القرآن الكريم كاملًا في الحرم، وأنْ يقوم ٣٠ شخصًا- أيضًا- من المسبّحين بذكر كلمة الشهادة يوميًّا، ويهدون ثوابها لروح رسول الله، وأنْ يقرأ القرآن الكريم- أيضًا- يوميًّا في مسجد قباء[١٢٧]، ولم يوضّح الباشا مقدار المال المخصّص لهذا، إلّا أنّه من المؤكّد أنّه خصّص الأحمال من الأموال لهذه الخدمات من أوقافه التي يصل ريعُها السنويّ إلى ملايين الأقجات.

أمّا الوزير الأعظم محمد باشا فقد خصّص ٣٠٠ سكة ذهبية لثلاثين شخصًا سيقرءون القرآن الكريم يوميًّا في الرّوضة المطهرة، و٥٠ فلوري لثلاثة أشخاص سينقلون الحديث الشريف، و١٠٠ فلوري لعشرة من الأشخاص سيصلّون على النبي في الروضة المطهرة يوميًّا (١٢٨).

أمّا صفية سلطان زوجة السّلطان مراد الثّالث، فيفهم من دفاتر الصّرّة المرتّبة باسمها ومِن وقفيّتها الموجودة أنّها أسّست وقفًا لختم القرآن الكريم في الأوقات المختلفة في مكّة والمدينة. وأوّلُ دفتر للصّرة مستقلّ يشتمل على أوجه إحسانها فمؤرّخ بتاريخ ٢٥/ جمادى الأخرى/ ١٠٧٤ هـ ٢٤/ ١/ ١٦٦٤م، أمّا آخرُ دفتر مرتبط بالفترة التي نتحدّث عنها فمؤرّخ بتاريخ ٢٩/ جمادى الأخرى/ ١١٠٠هـ ٤/٢٢/ ١٦٨٩م، وهذه هي المخصّصات التي خصّصتها "الوالدة سلطان" المذكورة، والخاصّة بقراءة القرآن الكريم في مكّة من خلال ما ورد بتلك الدّفاتر:

المقصد	لمَن سيعطى	المقدار
النظارة	شيخ الحرم	١٤ فلوري
قراءة القرآن عند صلاتي الصبح والظهر	٦٠ من أهل القرآن	٣٠٨ ذهبية
قراءة القرآن عند صلاة العصر	٣١ من أهل القرآن	١٥٤ ذهبية
الدعاء بدوام الدّولة بعد صلاة الصبح	٤٠ شخصًا	٢٠٤ ذهبية

يوميًّا في المقام الحنفي		
المجموع	١٣٢ شخصًا	٦٨٠ ذهبية(١٢٩)

أمّا تفصيل صرة المدينة المنورة فعلى ما يلي:

المقصد	لمَن سيعطى	المقدار
النظارة	شيخ الحرم	١٤ ذهبية
قراءة القرآن عند صلاة الصبح	٣١ من أهل القرآن	١٥٤ ذهبية
قراءة القرآن عند صلاة الظهر و العصر	٦٠ من أهل القرآن	٣٠٨ ذهبية
الدعاء بدوام الدّولة بعد صلاة الصبح يوميًّا في الروضة	٤٠ شخصًا	٤٠٤ ذهبية
قراءة سورة الأنعام في الروضة يوميًّا لدوام الدولة	٤٠ أغا	٤٠٠ ذهبية
المجموع	١٧٢ شخصًا	٨٨٠ ذهبية(١٣٠)

وكما سيتّضح فإنّ صفية سلطان خصّصت من وقفها سنويًّا ١٥٦٠ ذهبية لـ ٣٠٤ شخصًا سيقرءون القرآن في مكّة والمدينة وسيدعون للدّولة بدوامها.

أمّا التّسجيلات الموجودة بدفتر الصّرّة المرقوم برقم ٤٢٢ والخاصة بالوقف المذكور لصفيّة سلطان، فيستدلّ منها على أنّها خصّصت ٢٠ سكة حسنة لشخصيْن سيقرءان جزئين من القرآن يوميًّا في الروضة على روح ابنها السّلطان محمد الثّالث، وخصّصت ٩ سكات حسنة أخرى لكلّ فردٍ من الثلاثين الذين سيقرءون القرآن الكريم كاملًا كلّ يوم بعد صلاة الصبح على روح ابنها أيضًا، كما خصّصت ٩ سكات حسنة لكلّ فردٍ من العشرة الذين سيقرءون ١٠ أجزاء من القرآن الكريم بعد صلاة الظهر، وبذلك يكون مجموع ما ترسله من سكات ٤٦٠ سكة[١٣١]، كما خصّصت ٤١ سكة لعشرة أشخاص سيقرءون ويقومون بالصلاة على النّبي في الرّوضة المطهرة سبعين مرّة قبل صلاة الصبح يوميًّا، ومثلها لعشرة أشخاص أخرين سيقرءون الفاتحة سبعَ مرّات والإخلاص عشرَ مرّات والبقرة من أوّلها وحتّى آية المفلحين، وذلك بعد صلاة العصر يوميًّا، وخصّصت- أيضًا- لروح ابنها محمد الثّالث ١٠ سكات يوميًّا مقابل قراءة جزءٍ من القرآن يوميًّا في الرّوضة المطهرة، وبذلك يكون مجموع هذه المخصّصات ٤٨٥ سكة [١٣٢].

أمّا شمس روخسار سلطان إحدى زوجات السّلطان مراد الثالث فقد أسّست وقفًا في أواخر ربيع الآخر عام ١٠٢٢هـ يونيو ١٦١٣م بالمال المتحصّل لها من تشغيل ١١٠٠ سكة ما يعادل ثلث ثروتِها، وخصّصت من هذا الوقف ١٦ أقجه لثمانية أشخاص يقرءون ٨ أجزاء من القرآن الكريم يوميًّا في الرّوضة المطهرة، على أنْ يكون ثوابُها للواقفة، كما طلبتْ أنْ يعطَى للحاجّ مصطفى أغا الذي كان مِن أقدم خدمِ القصر القديم وأصبح يعيش في المدينة المنورة مبلغ ٢٢ سكة سنويًّا مقابلَ دعائه لروحها في الرّوضة، وخصّصت السيدة شمس أقجتيْن يوميًّا لنواب الحرم الذين

سيكونون مسئولين عن إدارة الوقف[١٣٣]، وقد أرسل إلى المدينة ٧٤ سكة في أعوام ١٠٥٤هـ ١٦٤٤م ١١٠٠هـ ١٦٨٩م [١٣٤].

أمّا خاندان سلطان رئيسة محظيّات السّلطان محمد الثالث فقد أوقفت أراضيها التي تملُكها في منامن وكليزمان، وخصّصت ٢٠٠ سكة من دخل هذا الوقف لقراءة القرآن في المدينة[١٣٥].

أمّا الشّروط التي وضعتها كوسم والده سلطان لقراءة القرآن الكريم فهي على ما يلي:

الشرط	الوظيفة	المبلغ
النظارة	شيخ الحرم	٢٠
قراءة الفاتحة مرّة والإخلاص ثلاثَ مرّات بعد كلّ صلاة عند الكعبة	٣٠ فرد	٣٠٠
قراءة جزء من القرآن الكريم بعد صلاة الصبح في مكّة	١٩	١٩٠
يقرأ الأغوات الموجودون بالمدينة يوميًّا سورة الإخلاص ثلاث مرّات	٦٥	٦٥٠

والفاتحة مرّة واحدة		
النظارة	نائب الحرم	٣٠
النظر في الشئون المالية	الخزينه دار	٣٠
قراءة جزء من القرآن عند وقتي الصبح والعصر	٣٢	٣٢٠
الموظف المكلف بجمع الأجزاء وتوزيعها	١	٨
المجموع	١٥٠	١٥٤٨ (١٣٦)

وقد خصصت خديجة طورخان سلطان المخصّصات المالية لقراءة القرآن في مكّة والمدينة، ويمكن جمع تلك المخصّصات في هذا الجدول:

المقصد	الشرط	الوظيفة	المبلغ
النظارة		شيخ الحرم	١٤
هبة لروح رسول الله وصحابته	ختم القرآن خمس مرّات في أوقات الصبح	١٥٠	٧٥٠

ولروح الواقفة	والظهر والعصر		
الدعاء لروح السلطان	قراءة سورة الأنعام بعد صلاة الصبح في الروضة	٤٠	٢٠٠
هبة لروح رسول الله	قراءة القرآن بعد صلاة الصبح لروح الرسول وصحابته الكرام	٣٠	١٥٠
هبة لروح الخلفاء الراشدين	ختم القرآن بعد صلاة الظهر	٣٠	١٥٠
هبة لروح الواقفة	قراءة القرآن بعد صلاة العصر على يد الزهاد والمجاورين لرسول الله	٣٠	١٥٠
جمع الأجزاء وتوزيعها وحفظها		٥ معرفين	٤٨
نظارة شئون الأعمال التي	ناظران	٢٨	

ستتمّ			
المجموع		٢٨٨	١.٤٩٠[١٣٧]

واشترطت السيدة "كلنوش والده سلطان" أنْ يقوم ٣٠ شخصًا من أهل القرآن بقراءة القرآن كاملًا يوميًّا في دار الشّفاء التي أنشأتها بمكة، وأن يحصل هؤلاء القرّاء على أموالهم من مال الواقفة المذكورة، وأمرتْ بإنشاء غرفة واسعة على النّافورة التي تتوسّط دار الشّفاء ليقوم القرّاء فيها بقراءة القرآن فيها، وقد حددت السّيدة كلنوش وظائف هؤلاء الأشخاص على هذا الشكل:

الوظيفة	العدد	المبلغ المخصّص لهم بالعملة المصرية
الذي يقوم بالدعاء	١	٤
مَن يقوم بتوزيع وحفظ الأجزاء	١	٤
قرّاء القرآن الكريم	٢٨	٢
المجموع	٣٠	٦٤ [١٣٨]

كما خصّص مصطفى أغا ابن عبد المنان أغا دار السّعادة أقجتين يوميًّا لخمسة عشر شخصًا من الصّالحين، وذلك مقابل تجمّعهم يوميًّا في وقت محدّد في المسجد النبوي، ويقرأ كلّ واحدٍ منهم جزءًا من القرآن ويهبُ ثوابه لروح الواقف[١٣٩]، كما خصّص مبلغ ٥٨٠ سكة حسنة لمَن سيقرءون الفاتحة مرّة واحدة والإخلاص ثلاث مرّات، ويستغفرون عشر مرّات في الكعبة بعد كلّ صلاة مكتوبة[١٤٠].

أمّا بيرام كتخدا فقد خصّص مبلغًا من الوقف الذي أسّسه عام ١٠٢٦هـ ١٦١٧م ليكون لثلاثةٍ مِن حفظة القرآن الكريم يقرأ كلّ واحد منهم جزءًا من القرآن بعد صلاة الصّبح يوميًّا في المسجد النبوي، على أنْ يكون ثوابُها لروح رسول الله، وقد خصّص الواقف ستة أقجات يوميًّا لكلّ قارئ (١٤١).

أمّا عنبر أغا بن عبد الله أحدُ أغوات القصر القديم فقد أسّس وقفًا من ثلث ماله، وذلك بعد استئذان السّلطان وموافقةِ ورثته، واشترط في هذا الوقف ما يلي: إرسال المبلغ المتحصّل من هذا الوقف إلى المدينة المنورة مع الصّرة، بعد إخراج حصّة متولّي الوقف وتبلغ ١١ أقجه، ويخصّص من هذا المال أقجتان يوميًّا لنائب الحرم نظير نظارته، وأقجتان لكلّ شخص من الخمسة عشر من أهل القرآن في الحرم النبوي وذلك مقابل قراءتهم ١٥ جزءًا يوميًّا على روح الواقف، وفي حالة عدم التمكّن من تنفيذ هذا الشّرط، يوزّع المبلغ بأكمله على فقراء المدينة (ربيع الأخرى/ ١٠٢٢هـ مايو/ ١٦١٣م) (١٤٢).

كما خصّص محمود جلبي بن إبراهيم ٢٤ فلوري من أوقافه الواقعة بإزنيك لقرّاء القرآن الكريم في الروضة (١٤٣).

وكما رأينا فإنّ الكثير من الواقفين أوقفوا الأوقاف، وخصّصوا الأموال من أوقافهم لقراءة القرآن الكريم في مكّة والمدينة لجلب الرحمة والدعاء لهم، على سبيل المثال أرسل لمكّة والمدينة عام ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م ٢٣٤٤٧ سكة ذهبية لتوزع على ١١٠٢ شخصًا من قرّاء القرآن الكريم (١٤٤)، وليس هذا المبلغ المذكور هو كلّ المبلغ المجموع من الأوقاف المذكورة سالفًا؛ لأنّ السلاطين- أيضًا- كانوا يرسلون الأموالَ مع الصّرة، بخلاف الأوقاف المذكورة، ومن ذلك في عام ١٠٥٢هـ ١٦٤٢م خصّص

السّلطان إبراهيم مبلغ ١٠٠٠ سكة حسنة [١٤٥]. ويمكن أنْ نجمع المبالغ المرسَلة لقراءة القرآن والدّعاء والصّلاة على النبي في هذا الجدول:

الواقف	عدد الموظّفين	المبلغ
مراد الثاني		١٠٠٠٠ ذهبية
بايزيد الثاني		٣٠٠
محمود باشا	٧١	٥٦٠
صوفي فاطمة سلطان	١	٦
عائشة سلطان ابنة جم سلطان		٨٥
السلطان سليم الأول	٣٠	٩٠
محمد بن محمد		دخل الأراضي
مهرماه سلطان	٦٠	٦٠٠
رستم باشا	٢٠	٢.١٠٠
فاطمة خاتون	١	٥٠
عائشة سلطان ابنة مراد الثالث	٥	٣٠

شمس رخسار سلطان	٨	١.١٠٠
خديجة طورخان سلطان	٢٩٠	١.٧٨٢
محمود جلبي ابن إبراهيم باشا	٢٤	٢٤
صفية سلطان	٣٤٨	٢.٠٤٥
خاندان سلطان		٢٠٠
كوسم والدة سلطان	٧٣	١.٩٤٤
كلنوش والدة سلطان	٤٣	١.١٥٥
صقوللو محمد باشا	٦٠	
محمد باشا	١٠	١٠٠ سكة
مصطفى أغا	١٥	٥٨٠
عنبر أغا	١٥	١٢٠
كلندر أغا	١٣	٢٠٠
رئيس الأطباء موسى أفندي	٣٥	٣٣٥
محمد أغا أغا دار السعادة		١٨٠

من أوقاف جامع آيا صوفيا		٤٠٠
السلطان سليم الثاني		٤٠٠
سروازاد خاتون		٦٠
على باشا		١٢٠
حسين أفندي		١٢٤
المجموع	١.١٣٢	٢٥.٥٤٧ ذهبية

وهناك أوقاف أخرى أسّست لقراءة القرآن الكريم في المساجد المختلفة على روح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد اشترط الكثيرُ من الواقفين العثمانيّين اجتماعَ واحد أو مجموعة من القراء في المساجد القريبة من الأوقاف التي أسّسوها أو في الأوقاف نفسها لقراءة القرآن في أوقات محدّدة على روح رسول الله، وإلى جانب هذا كان بعضُ الواقفين يشترط تدريسَ العلوم الإسلامية الابتدائية والعالية في المساجد السلطانية في غير أوقات الصّلاة إلى جانب اشتراطه بقراءة القرآن على روح رسول الله، وبالتالي كانت تتحقّق فائدتان من هذا؛ تحقيق شرطِ الواقف، ونشرُ العلم بين الناس، وقد كانت هذه الخدمة الجليلة منتشرةً حتّى وقتٍ قريب في بعض المساجد السلطانية، ولكن مع الأسف أصبحت عقيمةً في الوقت الحالي، ويمكن درجُ بعض الأوقاف التي يمكن أنْ تكون نماذج على ذلك في هذا الجدول:

اسم الوقف	التخصيص	الموظف	الشرط
إياس أغا		١	القرآن الكريم على روح الرسول [١٤٦]
فريدون بك			الفاتحة والإخلاص على روح الرسول والأنبياء[١٤٧]
محمد باشا	١		القرآن الكريم في مسجده على روح النبي صلى الله عليه وسلم[١٤٨]
نوربانو سلطان	١٠ أقجه	٥	قراءة القرآن في مسجدها على روح الرسول وأزواجه الطاهرات وابنته فاطمة[١٤٩]
عائشة سلطان	١٠أقجه	٥	قراءة القرآن على روح الرسول والخلفاء الأربعة[١٥٠]
صنوبر خاتون	١٤ أقجه	٧	القرآن الكريم على روح سلطان العصر
صنوبر خاتون	إيجار		دعاء الشاربين من السبيل لروح رسول الله [١٥١]
صنوبر خاتون	إيجار		قراءة القرآن على روح رسول الله[١٥٢]

محمد الثالث			قراءة القرآن على روح الرسول وصحابته الكرام(١٥٣)
أحمد الأول		١٠	الصلاة والسلام على النبي ١٠٠٠ مرة(١٥٤)
حواء خاتون	٣٠	١٥	جزء من القرآن يوميًّا لروح رسول الله (١٥٥)
محمد أفندي	أموال وإيجار	١٥	ثواب ١٠ أجزاء لروح رسول الله (١٥٦)
سروازاد خاتون	١أقجه	١	سورة يس لروح رسول الله(١٥٧)
سروازاد خاتون	٦أقجه	٣	القرآن الكريم لروح سلطان الأنبياء(١٥٨)
سروازاد خاتون	٢١	١	القرآن لروح النبي(١٥٩)
سروازاد خاتون	٢	١	القرآن لروح النبي(١٦٠)
سروازاد خاتون		٦	القرآن الكريم لروح صحابته الكرام(١٦١)

محمد أغا		١٠	١٠ أجزاء من القرآن على روح الأنبياء من آدم وحتى نبينا الكريم[١٦٢]
محمد أفندي			الفاتحة والإخلاص ثلاث مرّات لرسول الله ولأمة محمد
محمد أفندي	١٠٠٠		الدعاء لأرواح أمة أهل الإيمان[١٦٣]
محمد أفندي	١٥٠٠		تقديم الطعام للفقراء والمساكين يوم عاشوراء ودعاؤهم بعد تناول الطعام للحسن والحسين([١٦٤])
محمد أغا	٢٠	٣٠	ختم القرآن: ٢٠ جزءًا منه لروح الخلفاء الأربعة والصحابة الكرام[١٦٥]
الغازي على باشا	٦٠	٣٠	الصلاة والسلام إحدى عشرة مرّة على روح النبي [١٦٦]
يوسف أغا			الفاتحة والإخلاص ثلاث مرّات لروح النبي [١٦٧]
إياس أغا	١٧	١	سورة يس لروح النبي
إياس أغا	١٢	٢	الفاتحة والإخلاص لروح النبي[١٦٨]
إياس أغا	٢٠	١٠	القرآن الكريم لروح النبي وصحابته الكرام وكل أهل الإيمان[١٦٩]

إياس أغا	٦	٣	جزء من القرآن والفاتحة لروح الرسول والواقف وأهله وعياله[١٧٠]
إياس أغا	٢٠	١	قراءة سورة يس في المحراب. صلاة الصبح وسورة البقرة بعد صلاة العشاء لروح رسول الله.
إياس أغا	١٥	٣	الفاتحة والإخلاص بعد الخمسة فروض والسنن
إياس أغا	٣٠	٣	جزء من القرآن يوميًّا على روح رسول الله وصحابته وكافة أهل الإيمان[١٧١]
علي أغا	٥	٥	القرآن الكريم لروح الرسول والخلفاء الراشدين والسيدة فاطمة والحسن والحسين [١٧٢]
مصطفى خليفة	٤	٢	يقرأ الأطفال والمنتفعين بأموال الوقف يوميًّا جزءًا من القرآن لروح رسول الله، أمّا الذين لا يعرفون فيقرءون الإخلاص ثلاث مرّات [١٧٣]

ثالثا: الأوقافُ المخصّصة للسّادة والأشراف:

الشّريف هو حفيدُ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- الذي ينتسب إلى الحسن، أمّا السيد فهو حفيدُ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- الذي ينتسب إلى الحسين.

وبمرور الزمن ازداد عددُ السّادة والأشراف وتفرّقوا في أرجاء الدنيا، وكانت لهم مكانةٌ كبيرة بين المسلمين نظرًا لأنّهم من نسلِ الرسول- صلّى الله عليه وسلّم-

ولحبّ المسلمين للنبي، هذا بالإضافة إلى أنّ الدول- أيضًا- اعترفت لهم بمجموعة من الامتيازات.

وأعدّت الدّولة العثمانيّة- منذ عهد بايزيد الأول- مجموعةً من التنظيمات للسّادة والأشراف الذين يعيشون داخل حدود أراضي الدّولة العثمانية، فأسّست مؤسّسة "نقابة الأشراف" بهدف تأمين الحياة الكريمة والرّاحة لهم[١٧٤]، وقام يلدريم بايزيد بتنصيب السيّد علي النتا بن محمد أحد طلّاب أمير البخاري أشهر مشايخ العلم والفكر والتصوّف في عصره؛ كأوّل نقيبٍ للأشراف في الدّولة العثمانية، وأحسنَ عليه بتولّي زاوية الإسحاقية في بورصة [١٧٥].

وكانت نقابةُ الأشراف منصبًا يعني نظارة كلّ السادة والأشراف الذين يعيشون في الدّولة العثمانية، وضبط وتسجيل كلّ شجرات نسبهم[١٧٦]، وكان نقباء الأشراف يقيمون في مركز الدّولة، ولأنّهم من ذوي المقام العالي في التشريفات فإن انتخابَهم يكون مِن بين أمْهر وأخْيَر العلماء، حتّى أنّ بعض قضاة العسكر ومشايخ الإسلام الذين كانوا ينحدرون من نسل الرسول كانوا يعيّنون نقباء للأشراف بعد عزلهم من مناصبهم[١٧٧].

وكان لنقيب الأشراف نوّابٌ في القصبات المختلفة يعنون بالنظر في شئون تلك القصبات بالوكالة عن نقيب الأشراف، وكانوا يشتغلون بشئون السادة والأشراف في المكان الموجودين فيه فيقومون بتسجيل تواريخ الميلاد والوفاة للسادة والأشراف، ويعملون على عدم صدور أفعال تخالف الأخلاق الإسلامية من هؤلاء الأشخاص، بل ويعاقبون مَن يقوم منهم بعمل أي فعل مخجل [١٧٨].

كما أنّهم لا يسمحون للسّادة أو الأشراف بالعمل في مهنة عادية، ولا يسمحون بتزويج فتياتهم إلى مَن ليسوا من الأشراف أو السادة(١٧٩).

وبمرور الوقت تشكّل زيّ خاصّ بالسادة والأشراف بهدف تأمين حياة أكثر راحةً، ونوعًا من التحكّم الاجتماعي، كما خصّصت لهم عمامة خضراء (١٨٠).

كان نقيب الأشراف بمثابة المساعد المعنوي للسّلطان، دائمًا ما يكون بجانبه، فهو الذي يقلّد السّلطان الجديد بالسّيف في جامع أيوب سلطان، وكان يسير إلى جانب الرّاية الشريفة في الحملات (١٨١).

وإذا كان الاهتمامُ بالسادة والأشراف الذين يعيشون خارج نطاق الحرمين هكذا؛ فما بال السّادة والأشراف الذين يعيشون في مكّة والمدينة. فبالإضافة إلى الإمكانيّات المارّ ذكرُها خصّصت الأوقاف للسادة والأشراف الذين يعيشون في الأراضي المقدسة، وكانت تعرف بأوقاف الحرمين، ونفس هذه الدرجة من الرفاهية كانت تمنح للسّادة والأشراف الذين يتركون مكّة والمدينة لسببٍ ما ويرتحلون لأي مدينةٍ من مدن الدّولة العثمانيّة، وعلى رأسها استانبول وإزمير وأدرنة، فقد خصّصت لهم- أيضًا- الأوقاف (١٨٢).

وأوّل سلطان عثماني قام بتخصيص الأوقاف للسادة والأشراف هو السّلطان مراد الثّالث، فقد كان يتصدّق كلّ عام بذهب يعادل ١٠٠٠ سكة للسادة والأشراف(١٨٣).

كما قام السّلطان محمد الفاتح بإرسال ٧٠٠٠ فلوري من أموال الغنائم التي حصلَ عليها من فتح استانبول لتوزّع على الفقراء والنواب والحكماء والسادة في مكّة والمدينة (١٨٤).

أمّا السّلطان سليم الأوّل فقد اضطلع بعملٍ مُغاير لذلك فقد وظّف ٣٠ سيدًا لقراءة القرآن، وخصّص لهم وقفًا لقراءة القرآن كلّ يوم بالروضة (١٨٥).

وبينما كانت المخصّصات المخصّصة للأشراف والسادة الذين يعيشون في الحرمين قد بلغت ٩٣.٦١٦ بارة فيما بين عام ١٠٠٤هـ ١٠٨٢هـ ١٥٩٦- ١٦٧١م، بلغت تلك المخصّصات عام ١٦٧١م ١٥٨.١٧٠ بارة، وكان يتم تدارك تلك الأموال من وقف المحمدية بمصر (١٨٦).

لذا فإنّ أشراف مكّة كانوا أصحاب دخلٍ خاصّ لهذا السبب، وبسبب الوظائف الإدارية أيضًا، وذكر أوليا جلبي في رحلته أنّ الخاصة السلطانية التي كانت تُمنح لأشراف مكّة كانت ١٠٠٠ فلوري، كما كانت نصف الحاصلات السّنوية لمينائي جدّة وينبع ٢٠٠ كيسًا (١٨٧).

ولأنّ السّلاطين العثمانيين كانوا يظهرون الاحترام والرعاية للأشراف لشخصيّاتهم واحترامًا لجدّهم النبي- صلّى الله عليه وسلّم- كانوا يقفون لهم عند مُقابلتهم، فقد كان السّلاطين العثمانيون لا يقفون عند استقبال أيّ إداري، بل على العكس كان هؤلاء الإداريّون يقبّلون طرفَ ثوب السّلطان تعظيمًا له، والاستثناء الوحيدُ في هذا كان لأشراف مكّة.

ولم تكتفِ إدارةُ الدّولة العثمانيّة بعمل المخصّصات للسادات فحسب، بل كانوا يعيّنون المخصّصات لأي شخص عادي من أهالي مكّة أو المدينة يفد إلى مركزِ الدّولة ويظهِرُ احتياجه للمال، وذلك كرامة لأنّه من مجاوري الرسول، وتلك هي بعض تلك التعيينات:

في عام ٩٦٧هـ ١٥٦٠م أتى شخصٌ من السّادات يدعى حسن بن النعمان إلى شريف مكّة، وأوضح له أنّه في احتياج للمال وطلب منه المساعدة، وبعد التحقّق من أقواله خصّص له ما يكفيه من الصّرة[١٨٨].

ونفس الشيء حدثَ مع شخص يدعى حسن من ساكني مكّة حيث أتي لشريف مكّة في ٢٣/ محرم/ ٩٧٩هـ وأخبره أنه يعيش في فقر مدقع وأنه يريد المساعدة فخصّص له من الصّرّة ٢٠ فلوريًّا [١٨٩]، وخصص لأحمد بن علي ١٠ عملات[١٩٠]، وخصّص لشخص يدعى أحمد بن علي من ساكني مدرسة قايتباي بمكّة ٨ فلوريًّا [١٩١].

وفي ٢٧/ ربيع الأوّل/ ٩٧٩هـ ١٩/ ٨/ ١٥٧١م وفَدَ إلى استانبول عمر بن عبد العزيز، وعليّ بن عبد الله، وعليّ بن برهان، وإبراهيم بن محمد؛ من ساكني المدينة، وأوضحوا أنّهم من أهالي المدينة ويعيشون في فقر، فخصّص لكلّ واحد منهم ١٠ سكات [١٩٢].

وفي أحد الأيام التي أعقبت هذا، وفَدَ إلى استانبول شخص يدعى بدر الدين أوضحَ أنّه يقيم في المدينة، وأنّه اشتغل فترة طويلة في طريق مياه مكة، وطلب أنْ يعْهَد إليه بوظيفة المرمّم[١٩٣] أحمد الذي يعمل مرمّمًا لوقف مهرماة سلطان براتب ٣٠ أقجه، وذلك بعد وفاة المرمّم أحمد [١٩٤].

أمّا في عام ١٠٨٤هـ ١٦٧٣م فقد أمر بمنح الشريف القادم من مكّة إلى استانبول كيلتيْن ونصف من الشعير وقطعة خبز كبيرة يوميًّا [١٩٥].

ومن التّطبيقات الأخرى التي طبقتها الدّولة العثمانيّة للسادة والأشراف إعفاؤهم من الضّرائب، وبالرّغم من أنّ هذا الإجراء دعا بمرور الوقت إلى ظهور مجموعة

من المُحتالين الذين ادّعوا كذبًا أنّهم من السادة والأشراف لكي يتمّ إعفاؤهم من الضرائب، إلّا أنّ الإداريّين- وعلى رأسهم النقيب- تدخّلوا في الموضوع وأعاقوا مثلَ تلك الحيل بسبب جودة إدارتهم لمؤسّسة نقيب الأشراف، وهذا التّطبيق يظهر أمامنا كواحدٍ من الخدمات الهامّة التي قامت بها الدّولة تجاه السّادة والأشراف.

رابعا : الأوقافُ التي تأسّست لأداء فريضة الحجّ بالوكالة

أدّى معظم السّلاطين العثمانيّين وزوجاتُهم ورجالُ الدّولة العثمانيّة فريضةَ الحجّ التي هي أحدُ فروض الإسلام عندما تتسنّى لهم الظروف والإمكانيات بذلك، لأنّ أداء فريضة الحجّ في هذا الوقت كان يتطلّب فترة زمنية تتراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر ذهابًا وإيابًا، وزمن الرّحلة نفسها، ويرجع هذا الطبع إلى ظروف المواصلات في هذا العهد؛ ولأنّ السّلاطين العثمانيين لم يروْ من المناسب بقاءهم مثلَ هذه الفترة الطويلة بعيدين عن مركز الدولة، وأفتى العلماء بإمكانية أداء فريضة الحجّ بالوكالة، واستنادًا على هذه الفتوى لم تكتفِ زوجات السّلاطين أو بناتُهم وبعضُ الوزراء والإداريّون بأداء الحجّ بالوكالة بل أسّسوا الأوقاف لعمل الحجّ باسمهم كلّ عام.

وكان الشّرطُ الأساسي في هذه الأوقاف هو أداءَ الأشخاص المقتدرين على تنفيذ شروط الحجّ لهذه الوظيفة، وهناك خاصية أخرى في هذه الأوقاف وهي أنها اشترطتْ على هذا الشخص الذي سيقوم بهذه الوظيفة أنْ يؤدّي الحجّ الذي هو مرّة واحدة في العمر كلّ عام، وأوّل مَن أسّس وقفًا لتأدية الحجّ باسمه من السلاطين العثمانيّين هو السّلطان سليمان القانوني، وطبقًا لما ورد بوقفية هذا السّلطان أنّ الشّخص المقتدر الذي سيؤدّي الحجّ نيابةً عن السّلطان سيمنَح سنويًّا ٥٠٠٠ أقجه،

علـى أنْ يـزور الأمـاكن المقدّسـة وعلـى رأسـها المسـجد النبـوي، ويـدعو للقـانوني هناك[١٩٦].

وطبقًا للوقفيّـة المؤرّخـة بتـاريخ ١٠ /رمضـان/ ٩٦٤هـ ٢٤/ ٧/ ١٥٥٧م، فقد طلبَ السّلطان سليم بن السّلطان سليمان القانوني أنْ يكون الشخص الذي سيؤدي فريضة الحجّ نيابة عنه شخصًا مقتدرًا صالحًا من أهل السنة، ويكون قد أدّى الحجّ قبل ذلك، وأن يُعطى نظير ذلك ٥٠٠٠ أقجه، والمذهب الذي يؤيّد هذا الرأي هو المذهب الحنفي [١٩٧].

أمّا مهرماه سلطان فقد عيّنت ثلاثة أشخاص ليؤدّوا فريضة الحجّ بالنيابة عنها، وأن يعطى لكلّ واحدٍ منهم ٦٠٠٠ أقجه، وبذلك يكون مجموع ما خصّصته لذلك ١٨ ألف أقجه [١٩٨].

أمّا نوربـانو سلطان فقد اشترطت في وقفيّتهـا المؤرّخـة بتـاريخ أوائل صفر/ ٩٠هـ ٢/ ١٥٨٢م أنْ يخصّص شخصـان قـادران علـى أداء الحج، ويمنح كلّ واحد منهما ٢٠٠ دينارًا، مقابل قيامهم بأداء الحجّ نيابة عنها، وطلبت السيدة نوربـانو أنْ لا يقوم هذان الشّخصـان بـأداء أيّ عمل آخر غير الحجّ، وأن لا يحوّل هذا العمل إلـى أشخاص آخرين إلّا فـي الضّـرورة القصـوى[١٩٩]، أمّـا عائشـة سلطان ابنـة السّلطان مراد الثالث فقد خصّصت ٢٤ ألف أقجه للشخص الذي سيؤدي فريضـة الحجّ نيابـة عنها، وأنّه بعد عودته إلى استانبول يهب ثواب الحجّ إلى روحها [٢٠٠].

كمـا خصّـص المعمـاري الشّـهير المعمـار سنان ذلـك المعمـاري المـاهر الـذي جابت شهرتُه كلّ أرجاء العالم الإسلامي والدّولـة العثمانيّـة بآثـاره ٥ أقجـات يوميًّـا مـا يعادل ١.٨٢٥ سنويًّا للشّخص الذي سيؤدّي الحجّ عنه بالنيابة، واشترط أنْ يكون هذا الشّخص قادرًا على أداء فريضة الحجّ [٢٠١].

كما خصّص زال محمود باشا المال لمَن سيؤدّون الحجّ عنه بعد وفاته [٢٠٢].

أمّا آخر مثالٍ نتحدّث عنه في هذا الموضوع فهو مختلف عن كلّ ما سبق، وهو لفاتح اليمن سنان باشا الذي خصّص الأموال من الوقف الذي أسسه لأداء فريضة الحجّ بالنيابة عنه، بالرّغم من أنّه أدّى فريضة الحجّ بنفسه عام ٩٧٨هـ ١٥٧١م، واشترط في هذا أنْ يقوم أربعةٌ من أهالي المدينة بأداء فريضة الحجّ عنه بعد وفاته على أنْ يتقاضى كلّ واحد منهم ٤٠٠٠ أقجه [٢٠٣].

القسْمُ الثّالث

أوقافُ الحرمين طبقًا لأنواعها، وحصصُ الحرمين السنوي

أولا : أنواعُ أوقافِ الحرمين

ليست كلّ الأوقاف التي نطلق عليها أوقاف الحرمين واحدة باعتبار الماهية، فبينما انحصر دخلُ بعض الأوقاف على المجالات المختلفة لخدمات الحرمين، وجدنا البعضَ الآخر خصّص لهذه الخدمات إمّا بشرط وإمّا بشكل مباشر، وبالرغم من قلّة عدد الأوقاف التي خصّص دخلُها كلّه لخدمات الحرمين بالنسبة للأوقاف الأخرى إلّا أنّها أغنى من حيث مصادر الدّخل، أمّا الأوقاف التي تدخل ضمن المجموعة الأخرى فتنقسمُ إلى قسمين؛ الأوّل الأوقاف المؤسّسة للخدمات المختلفة وفيها يخصّص جزءٌ من الدّخل لبعض خدمات الحرمين، أمّا الثاني فهي الأوقاف المربوطة بشرط، ويمكن ضمّ أوقاف الذرّية لهذه المجموعة، ويدخل ضمن أوقاف الحرمين أوقافُ الأراضي المشروطة على الحرمين، والمخصّص كلّ دخلها أو قسم منه أو ضريبتُه للحرمين، وكذا أوقاف الدّشيشة التي تأسّست في مصر وما حولها.

١- الأوقافُ المشروط كلّ دخلها على الحرمين

لقد أوضحنا سابقًا أنّ تلك الأوقاف كانت قليلةً من حيث العدد كثيرة من حيث الدّخل، غنيةً من حيث مصادر الدّخل، ولأننا شرحنا كلّ المعلومات المتعلقة بهذه الأوقاف في الأقسام السّابقة فسنتعرّض هنا للأسماء التي قامت بتأسيس تلك الأوقاف فقط:

وقف مهرماه سلطان [١]

وقف مدرسة رستم باشا

وقف لاله مصطفى باشا

وقف معمار سنان لأداء الحجّ بالنيابة

وقف أوزدمير أغلو مصطفى باشا

وقف صفية سلطان

وقف شمس رخسار سلطان

وقف جانفدا خاتون[٢]

وقف جعفر باشا

وقف مراد الرّابع

وقف كوسم سلطان

خديجة طورخان سلطان

أوقاف كلنوش والده سلطان

وقف محمد بك أمير سنجق لابطا

وقف مصطفى أغا بن عبد المنان

وقف موصلي أغا

وقف محمود جلبي ابن إبراهيم باشا

٢- الأوقافُ المشروط قسمٌ من دخلها للحرمين

معظمُ الأوقاف الواردة في هذه الدّراسة بخلاف المذكور قبل قليل يدخل ضمنَ هذا القسم، وفي هذا القسم من الأوقاف يخصّص الواقفون قسمًا من زوائد أو من مَصادر دخل الوقف للحرمين، أو يخصّص قسمٌ من المال للحرمين إذا كان الوقف وقفَ أموال.

وأحدُ الأمثلة التي يمكن أنْ نضربها على هذه الأوقاف، وقفيّة "ذو الفقار أغا بن عبد الرحمن" أحد دفتردار الترسانة العامرة، وهي وقفيّة مؤرّخة بتاريخ غرة ربيع الآخر/ ١٠٩٧هـ مارس/ ١٦٨٦م، فقد جعل الواقف أملاكَه المالية الموجودة بأسكدار وما حولها بمثابة الوقف، وخصّص ١٠ أقجات للمدرس وأربعة لكلّ طالب في المدرسة الموجودة بجامع آيا صوفيا من الدّخل الذي سيتحصل عليه من الوقف، كما خصّص ١٠٠ أقجه للشخص الذي سيعتني بالكتب، وما بقي من تلك الأموال يرسَل إلى المدينة سنويًّا مع الصّرّة (٣).

وتدخل وقفيّة زينب سلطان ضمن هذا النّوع من الوقفيات، وهى كأي وقفيّة تبدأ بالبسملة والحمد والصّلاة والسلام، فالحمد لله على نعمه، والصّلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، وبعد البسملة والحمد والصّلاة، تأتي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشّريفة التي تحثّ على عمل الخير لنفع الناس ولإرضاء الله، والمكافأة التي سيمنحها الله لمَن يقوم بهذا الخير، ويأخذ هذا القسم مساحة قصيرةً للغاية بعد اسم الواقفة في وقفيّة زينب سلطان، فقد تفكّرت زينب سلطان في النّعم التي أنعم الله تعالى بها عليها، ووكلت إبراهيم أغا بن محمد ليؤسّس لها وقفًا، وطبقًا لما ذكره هذا الوكيل إبراهيم أغا بن محمد أنّ هذا الوقف كان يشتمل على مزرعة و٣٠٠ رأس من الأغنام، و٦٠ كيلة من القمح، و٣ أوان من النحاس، ومجموعة أشياء صغيرة، وكانت تلك المزرعة بمشتملاتها تقع بالقرب من المزرعة المعروفة حاليًا باسم مزرعة جوهر سلطان الواقعة بالقرب من سمنديرة.

وقد حدّدت الواقفة أولًا قيام وكيلها بتأجير الوقف، وتخصيص جزء من المال المتحصّل عليه من الإيجار للمشتغلين في جامع آيا صوفيا، وقد عهد بنظارة هذا الوقف إلى أغوات دار السّعادة لأنّهم كانوا هم المسئولين عن أوقاف المنتسبين للقصر، وقد طلبت زينب سلطان أنْ يوظّف جابي ومعتمد وأمين لجمع أموال الوقف،

وبالرّغم من أنّ معظم الواقفين كانوا يعهدون بتولية الوقف لأشخاص أهل لهذا العمل، إلّا أنّ زينب سلطان عملت خلاف هذا وتولّت هي بنفسها شئون وقفها حتّى موتها، ومن بعد مماتها يعهد بتوليته إلى أحد الكتخدا، وهناك شرطٌ آخر يعدّ من الشّروط اللافتة للانتباه ألا وهو إمكانية تغيير بعض الشروط في هذا الوقف على يد أغوات دار السّعادة. والشّرط المتعلّق بالحرمين في وقفية زينب سلطان مختلف- أيضًا- عن بقيّة الوقْفيّات الأخرى، في مثل معظم تلك الأوقاف نجد الواقف يحدّد جزءًا من المال ويخصّصه للحرمين بشكل مباشر، أمّا الواقفة المذكورة فطلبت في وقفها أنْ يوزّع دخل وقفها على فقراء الحرمين في حالة عدم التمكّن من تنفيذ الشروط الواردة بالوقفيّة، كما أنّ قسم الخاتمة في هذه الوقفية أقصر نسبيًّا من الوقْفيّات الأخرى، أمّا تاريخ تنظيم الوقف فهو ٢١ / صفر/ ١٠٥٣هـ ١١/ ٥/ ١٦٤٣م.

٣- الأوقافُ الذّرية

بخلاف بعض الأوقاف التي ذكرناها كالخدمات الخيرية والعمارات والمدارس، كان هناك نوعٌ من الأوقاف اشترط فيه الواقف أنْ يخصّص له المال المتحصّل من الوقف حالَ حياته، ثمّ يكون لزوجاته وأولاده من بعده ثمّ لأحفاده، ويطلق على هذا النوع من الأوقاف عمومًا "الأوقاف الذريّة".

وقد أدّى تصرفٌ كهذا إلى خلق نوعٍ من النزاع بين العلماء، لأنّ الوقف هو تخصيص الملكية والمال للمنفعة العامّة لإرضاء الله تعالى، أي أنّ تخصيص دخل الوقف للخدمات الخيرية شرطٌ فيه، أمّا الوقف الذّرّي يخالف هذا الشرط، ويكون بمثابة الميراث.

كما أنّ مسألة الميراث أوضحت بشكلٍ جيد ومفصّل للغاية في سورة النساء في الآيات من ١١-١٤ وفي الآية ١٧٦ (٤)، وبالتالي سيظهر لنا علم يسمّى علم الفرائض يختصّ بتنظيم الميراث.

وهناك تفسيرٌ آخر متعلّق بتأسيس الأوقاف الذرية وهو أنّ مَن يؤسّسون تلك الأوقاف يظنّون أنّهم بذلك حافظوا على أموالهم من المصادرة، وذلك لأنّ كلّ الموظفين الذين كانوا يعملون في الدّولة العثمانيّة من أصغر موظفٍ لأكبر موظف كان يجرى عنهم تفتيش، وإذا ما ثبت أنّ أحدهم كوّن ثروة طائلة في فترة قصيرة أثناء خدمته من طريق غير مشروع؛ فإن الدّولة كانت تصادر أمواله، ولهذا السبب كان معظمُ رجال الطّبقة الكبرى يقفون أموالهم وثروتهم على أولادهم (٥).

إلّا أنّ بعض الواقفين قاموا بتقسيم أموالهم وثرواتهم في وقفيّاتهم طبقًا لأسس الميراث الإسلامي، واشترطوا- أيضًا- في وقفياتهم قطع مخصّصات الوقف في حالة عدم توافق أولادهم مع الشّروط الأخلاقية، على سبيل المثال في ذلك أراد لالة مصطفى باشا تقسيمَ المال المتحصّل من دخل وقفه الذي أسّسه على أولاده في الشّام طبقًا لأسس الميراث الإسلامي(٦)، ونفس الشيء فعله يورجوتش باشا عندما طلب في وقفيّته التي أوقفها على أولاده تقسيمَ أموال وقفه عليهم طبقًا لأسس الفرائض الإسلامية (٧).

والجانبُ الذي يتعلق بموضوعنا من هذا الوقف هو تخصيص بعض الواقفين لجزءٍ من دخل وقفه، أو كلّ دخل وقفه، للحرمين بشرط انقراض نسله وذريته.

أ ـ مسألةُ انتقال أوقافِ الأولاد إلى الحرمين

في الأوقاف الذّرية نجد الواقفين يشترطون تخصيصَ دخل أوقافهم لزوجاتهم أو لأولادهم مِن بعدهم، ويلاحظ وجود عنصر الاستمرارية الذي يفهم من جملة "نسلًا بعد نسل، وفرعًا بعد فرع"، أمّا بعد انقطاع هذه الذرية فنجد بالوقفية كيفية التصرّف بالأموال المذْكورة، والشّرط الذي يلفت الانتباه في هذا النوع من الأوقاف هو أنّ معظم الواقفين كانوا يخصّصون أموالهم لفقراء المدينة المنورة بعد انقطاع ذريّتهم. وبالرّغم من أنّ هذا النوع من الأوقاف بشرطه الذي يدلّ على الاستمرارية يوحي لنا بأنّه من الصّعب انتقال هذا الوقف للحرمين أو لفقراء المدينة إلّا أننا أثناء بحثنا في هذا الموضوع عثرنا على بعض الوثائق التي تدلّ على ذلك.

على سبيل المثال، كُتِبَ حكمٌ لأمير أمراء الشّام في ١٧/ رمضان/ ٩٨١هـ ١٠/ ١/ ١٥٧٤م بضرورة عمل مراجعة جديدة لكلّ الأوقاف التي كانت مخصّصة للورثة ثمّ تنتقل للحرمين بعد انقطاع ذرية هؤلاء الورثة؛ لأنّ هناك الكثير من تلك الأوقاف أخفيَ أمرُه حتّى لا يئول إلى الحرمين، ويظلّ في حوزة المنتفعين به، لذا يرجى عملُ مراجعة وحصر لكلّ تلك الأوقاف حتّى تستخدم بما يتوافق مع شرطها(٨).

كما أوقفت السيدة همايون خاتون منزلها الواقع بحي غالاطة شاه سوار، واشترطت أنْ يكون هذا الوقف لأبنائها، ولأنّ أبناءها انقرضوا طبقًا لما ورد بالحجة الشّرعية المؤرّخة بتاريخ ١٩/ محرم/ ١٠٧٢هـ ١٤/٩/ ١٦٦١م، فإنه يجب انتقال دخلِ هذا الوقف لفقراء مكّة المكرمة، وتمّ تعيين الحاجّ حسن خليفة بن عمر من معماري الخاصّة السّلطانية، ومعه بعض الأشخاص، ليقوموا بعمل مراجعة وفحْص

للمنزل المذكور ومحتوياتِه حتّى يتّخذوا اللازم حياله، وبالمعاينة تبين أنّ المنزل عبارة عن طابقين على مساحة ٣٤٣ ذراعًا، فتمّ استئذان متولّيه، وأصبح للإيجار، وذلك لصرف ما يتحصّل من إيجاره على فقراء مكّة منذ ذلك التاريخ (٩).

وهذه وقفيّة أخرى من هذا النوع تلفت الانتباه بالشّرط الوارد بها، وهي وقفية لامرأة تدعى هما خاتون بنت محمد حيث أوقفت منزلَها الواقع بحي خوجه خليل باستانبول لنفسها حالَ حياتها ثمّ لامرأةٍ أخرى تدعى محسنة خاتون بعد وفاتها ثمّ لزوجها ثمّ لأولادها ثمّ لفقراء المدينة المنورة بعد انقراض أولادها، ولأن متولي الوقف تحقّق من انقراض أولاد الواقفة في أواخر ذي القعدة عام ١٠٠٦هـ يوليو ١٥٩٨م جعل دخل الوقف مخصّصًا لفقراء المدينة، وكتب حكمًا موقّعًا بإمضاء القسام العسكري في استانبول بضرورة إخلاء السّيدة لاله روح المنزل لأنها كانت المستخدمة له في تلك الأثناء، وادّعت هذه السيدة أنّ المنزل مشروطٌ لها، فُطلب منها إظهار البيّنة على ذلك، فأحضرت السيدة لاله روح سبعة أشخاص من الرّجال والنساء من سكّان الحي، وشهدوا بأنّها كانت من إماء السيدة "هما خاتون" وأعتقت، وأنّ الواقفة اشترطت المنزلَ لها، وبالتالي تأخّر منح هذا الوقف لفقراء المدينة (١٠).

كما أوقف كلّ مِن علي وبيرام بن خليل منازلهم الواقعة بحي قازغانى سعدي في "قوم قابي" لأولادهم، ثمّ لفقراء المدينة بعد انقراض أبنائهم، وبعد فترة انقطع نسلُ الاثنين، وانتقل دخلُ المنزلين إلى فقراء المدينة، إلّا أنّ سيدة تدعى عائشة خاتون ادّعت أنّها من نسل الواقفين، وبعد التحقيقات اللازمة تبيّن صدق السيدة وأنّها الأحقّ بالمنازل فتُركَت لها (١١).

ومِن الأوقاف التي خصّصت للأبناء ثمّ آلت لفقراء الحرمين بعد ذلك الوقفُ الذي خصّصه أبو بكر أغا زاده محمد أغا متولي أوقاف الحرمين، فقد أوقف منزله الكائن بحي الكاتب قاسم باستانبول لأولاده بعد وفاته، ثمّ من بعد أولاده لفقراء المدينة المنورة، وبعد انقطاع ذريّة الواقف قام المتولي بعمل كشفٍ وأجّر المنزل بأجرِ المثْل [١٢].

وإذا ما وضعنا الشّرطَ الأساسي في مثل تلك الأوقاف وهو (انقطاع الذّرية) نصبَ أعيننا سنجدُ أنّه يبدو وكأنّه بمثابة الحيلة الشرعية، ولكن بالعكس عندما ننظر إلى العصور التي تأسّست فيها تلك الأوقاف سنجد أنّ الوفيات التي كانت تتأتّى بسبب الحروب والظروف الأخرى كانت ستفتح الطريقَ ليس لفناء أسرة بأكملها بل لفناءِ قرية أو قصبة بأكملها، وإذا ما وافقنا على أنّ تلك الأوقاف المذكورة تأسّست في السّنوات التي تلت فتح استانبول، سنجد أنّها أصبحت للحرمين بعد ١٥٠ سنة تقريبًا.

وبطبيعةِ الحال يوجد منها ما انتقلَ للحرمين في غضون فترة قصيرة، وهذا بالطّبع يجعل ادّعاءات مَن ينتقدون الأوقاف الذّرية بشدّة بلا أهمية.

ب - بعضُ الأوقاف الذّرية التي تشترطُ انتقالها للحرمين

يمكن رؤيةُ بعض الأوقاف التي تشترط انتقالَ الوقف إلى الحرمين بعد انقراض ذريّة الواقف في هذا الجدول:

اسم الواقف	مكان التأسيس	النّوع	التّاريخ	الشّرط
الحاج إيواز باشا	طوقاد دره قرية قيزيق	أراضي	القرن الـ١٥	المدينة
إيلالدي خاتون				مكة
فروح شاه خاتون	استانبول			مكة
علي جلبي	استانبول	١٦١٣٩٠ أقجه		المدينة[١٣]
محمود باشا	استانبول	٧٠٠٠ ذهبية	١٤٧٣/٨٧٨	المدينة
طوتى بنت عبد الله	استانبول دايه خاتون		١٥٢٤/٩٣٠	المدينة
قمر خاتون	حلب		١٥٣٢/٩٣٩	المدينة[١٤]
يوسف بن عبد الله	استانبول صارقيز	منزل	١٥٤٣/٩٥٠	المدينة
سنان بك	استانبول محلة الحاج أحمد	منزل	١٥٦١/٩٦٨	ساكنو المدينة[١٥]
أمير محمود جلبي	استانبول	منزل	القرن الـ١٥	فقراء المدينة[١٦]
سياوش باشا	استانبول حي الحاج حمزة	أراضي ومنزل	١٥٧٨/٩٨٦	المدينة[١٧]
خوما خاتون	استانبول	خانة	١٥٨٨/٩٩٦	المدينة[١٨]
قاسم أغا	مانياس	خانة	١٥٩٨/١٠٠٦	المدينة [١٩]

آيدين بك	استانبول	منزل	١٦٠٤/١٠١٣	المدينة[٢٠]
حسين أغا	استانبول صوفيالي	خانة	١٦٠٧/١٠١٦	المدينة[٢١]
حسن باشا	رودس	منزل وأراضي	١٦٠٨/١٠١٧	المدينة [٢٢]
محمد جلبي	استانبول بلاط طوقلو ددة	منزل	١٦١٢/١٠٢١	المدينة[٢٣]
أحمد باشا	استانبول	منزل	/١٠٢٢ ١٦١٤	المدينة[٢٤]
محمود بن عبد الله	استانبول	دار	١٦١٦/١٠٢٥	المدينة[٢٥]
خير النساء هانم	استانبول		١٦٢٠/١٠٢٩	المدينة[٢٦]
ستى خاتون	غالاطة	٣ منازل	١٦٢١/١٠٣٠	المدينة[٢٧]
صفر أغا	أسكدار	أراضي ومنزل	١٦٢٦/١٠٣٥	المدينة[٢٨]
صنوبر خاتون	استانبول	إيجار	١٦٢٩/١٠٣٨	المدينة [٢٩]
كنجي نهان خاتون	جراح باشا	دار	١٦٣٣/١٠٤٢	٥ أقجات للمدينة[٣٠]
عبد الكريم بن أحمد	إزمير واستانبول	٣ منازل	١٦٣٧/١٠٤٧	فقراء المدينة[٣١]
خورشيد خاتون	استانبول قوم قابي نيشانجي باشا	دار	١٦٣٧/١٠٤٧	المدينة[٣٢]
محمد بك	قبرص لفكا	منزلان	١٦٣٩/١٠٤٩	لفقراء

				المدينة[٣٣]
عثمان أغا	أسكدار	منـــــزل وحمام	١٦٤١/١٠٥١	لفقـــــراء المدينة[٣٤]
على باشا بن إدريس	جزيرة صاقيز	حديقة	١٦٤٤/١٠٥٤	المدينة[٣٥]
أم هانى خاتون	استانبول	مزرعة	١٦٥٧/١٠٦٧	لفقـــــراء المدينة[٣٦]
مولانا صاري محمد	غالاطة	١٣٤٠ أقجه	١٦٥٩/١٠٦٩	لســــاكني المدينة[٣٧]
عبد الباقي أفندي	استانبول	أموال	١٦٦٧/١٠٧٨	لفقـــــراء المدينة[٣٨]
إلياس أغا	استانبول	منازل	١٦٨٠/١٠٩١	
أمير محمود جلبي	بورصة			نصـــــفه للمدينة[٣٩]

٤- أراضي الأوقافِ المخصّصة للحرمين

بالرّغم من وجود أوقاف مخصّصة للحرمين بخلاف الأوقاف المذكورة سابقًا في دفاتر الأوقاف الخاصّة بالقرنين السّادس والسّابع عشر، إلّا أنّ هناك أراض وقُف دخلُها كلّه أو جزء منه أو ضريبتها للحرمين حتّى وإن لم يذكر مؤسّسها، وكانت تلك الأوقاف تُدار بواسطة نظارة الأوقاف الهمايونية مثلها مثل بقية الأوقاف الأخرى، وشاهدنا الكثيرُ من الأراضي في القصبات والقرى والمزارع الموجودة بإيالات الدّولة العثمانيّة، وعلى رأسها الأناضول والرّوملّلي، وقفت للحرمين، ويمكن حصر أوقاف الأراضي في ثلاثِ مجموعات:

والأراضي العشرية والخراجية التي أصبحت أوقافًا موجودة بشكل عام في مصر وسوريا.

وهي أراض موقوفة طبقًا للنظام الديواني والتّملّك، وحصة الوقف في هذه الأراضي تخصّص من ملكيّة الأرض وليس من المتحصّل منها، وعادة ما تكون تلك الحصّة ١/٥ أو ١/١٠. (مثل أوقاف كلين كيراس).

أو أنْ توقف الضّرائبُ التي تحصّل من الأشخاص الذين يعيشون على تلك الأراضي (مثل أوقاف أريكلي) (٤٠).

وتلك هي الأراضي التي كانت لها حصّة هامّة في أوقاف الحرمين:

أ - إيالة الأناضول

بورصة:

توجد الكثيرُ من الأراضي الموقوفة للحرمين، وخاصّة المدينة المنورة، في بورصة التي كانت عاصمة الدّولة العثمانية.

وقد بلغ دخلُ الأراضي الموقوفة باسم السّلاطين بها عام ٩٣٧هـ ١٥٣٠م ١.١٦٨.٨٧٠ أقجه، منها ١١٣.٣٩٧ كان يجمع من أوقاف المدينة، أمّا في قضاء ينى شهر الذي بلغ مجموعُ محصول أوقافها في تك السنة ٧٨.٦٠٥ أقجه فقد تمّ التحقّق من أنّ هذا الرقم كان ٣.٣٠٢ أقجه (٤١).

أمّا مجموع دخل أوقاف المدينة المنورة المرتبط بأقضية بورصة وكيته وميخاليج ومانياس ويني شهر في الفترة من عام ١٥٤٠ إلى عام ١٥٤٣م؛ فقد بلغ ٣٨٢.٦٤٣ أقجه [٤٢].

أوقافُ الحرمين في بيركي:

تقع بيركي حاليًا في حدود إزمير، وكان دخل الضرائب المحصّلة منها ومن المناطق المحيطة بها يخصّص لفقراء الحرمين، مثل أوقاف كلين كيراس [٤٣].

وبينما كانت الأموال المخصّصة للحرمين في الفترة من عام ١٥٨٨م ١٥٨٩م قد بلغت ٣٢٨.٨٢٩ أقجه[٤٤]، إلّا أنها انخفضت إلى ١٩٦.٥٨٤ أقجه عام ١٦١٦م[٤٥].

قره سي (باليق أسير):

كانت أراضي قريتي "بابا درة سي" و"درة" موقوفةً للحرمين، وقد جلبتا دخلًا يقدّر بـ ٣٥.٥٨٦ أقجه عام ١٥٨٨م، وفي العام التّالي جلبت دخل يقدر بـ ٣٤.٤١٤ أقجه، وبذلك تمّ تسليم ٧٠٠٠٠ أقجه لمتولّي الوقف ويُدعى إبراهيم بن الحاج نور الله [٤٦].

أنقرة:

كان دخلُ ضرائب قرى باليق حصار وبيدوز وأولوبينار وقارجالى، وكونلر، وجقوردان، وقورقا التابعة لقضاء جوبوق؛ مخصّصًا لفقراء مكّة المكرمة، وقد بلغت تلك المخصّصات عام ١٥٣٠م ٩٣٧هـ ٢١.٦٧١ أقجه[٤٧]، وصل هذا الرقم في عام

١٥٨٨- ١٥٨٩م إلى ٨٥.٨٧٠ أقجه[٤٨]، وكما يرى فإنّ دخل أوقاف الحرمين في أنقرة بلغ في خمسين عامًا أربعة أضعاف.

وثمّة وثيقة غيرُ كاملة محفوظةٌ بأرشيف طوب قابي تذكر أنّ السّلطان بايزيد الثاني خصّص دخل قرية تابعة لأنقرة للحرمين [٤٩].

أمّا عيسى بك ابن بايزيد باشا فقد أوقف للمدينة المنورة نصف دخل قرية ياد كار التّابع لقضاء باي بازار بسنجق خداوندكار، وقد أرسل من هذه القرية للمدينة ٢٢.٩٤٨ أقجه عام ٩٩٥هـ ١٥٨٧م [٥٠].

قسطموني:

انحصر دخلُ أوقاف المدينة المنورة في قسطموني بأكمله لخدمات الروضة المطهّرة، وتلك هي الأماكنُ الموجود بها تلك الأوقاف والحصّالات السّنوية لها:

في أعوام ١٥٨٩- ١٥٩٠م ١٨٩ أقجه من الأوقاف الموجودة بناحية كول[٥١]، ١٤٤ أقجه رسم جباية[٥٢]، و١٠٠ أقجه رسوم، و١٥٠ رسم الأغنام، ٣١١٩ أقجه دخل المزرعة، وبذلك يكون مجموع المتحصّل ٣٦٩٣ أقجه.

أمّا الأوقاف الموجودة بقضاء أراتج فكانت في نفس الفترة ١٧٠٩ أقجه [٥٣]، كما وقف من ناحية كول للرّوضة المطهّرة ٥٥٠ جوالًا من القمح، و ٢٤٠ جوالًا من الحبوب الأخرى، أمّا قضاء أراج فقد خصّص منه ٦٠٥ جوالًا من القمح، و٤٨٠ جوالًا من الحبوب الأخرى[٥٤].

وبلغ إجمالي الحاصلات من تلك الأوقاف في أعوام ١٥٨٩- ١٥٩٠م ١٧٤.٠٠٠ أقجه [٥٥].

سينوب:

كانت قرية قرة سراي التابعة لبوياباط، المرتبطة حاليًا بسينوب، موقوفة للمدينة المنورة، وقد احترق الدّخلُ السنوي لتلك القرية ويبلغ ٢٧ مدًّا و٥ كيلات من القمح والشعير، وهذا واضحٌ من خلال الحكم الصادر لقضاة بوياباط بأن يذهبوا إلى القرية المذكورة ويتحقّقوا من هذا الأمر[٥٦]، أمّا الدخل السنوي لوقف الروضة المطهّرة بسينوب فكان ١٠ أقجات [٥٧].

ب- إيالة الرّوملّي:

كانت توجد أراضٍ مشروطةٌ للحرمين في ينيجة واردار التابعة لسلانيك التي كانت أحد مراكز السّناجق الهامّة بالروملي [٥٨]. وتلك هي المبالغ التي جمعت وأرسلت إلى الحرمين من هذه الأوقاف عام ٩٩٧هـ ١٥٨٩م:

اسم الواقف	مكان الوقف	المتحصّل منه
من أوقاف الحاج يونس	ينيجه واردار	١٥٠٠
عيسى بك بن أورانوس	ينيجه واردار	٢٥٠٠
أحمد بك بن أورانوس	ينيجه واردار	٥٠٠٠
المجموع		٩٠٠٠ أقجه[٥٩]

تمّ وقفُ بعض القرى الموجودة بالروملي، وعلى رأسها قرية سكبان التابعة لسليسترة للحرمين[٦٠]، وقد كان يحصّل من رعايا يانبولو عام ١٠٤٢هـ ١٦٣٣م ٢٠٠ ألف أقجه[٦١].

ج- الأراضي الموقوفةُ للحرمين في أريكلي

أريكلي مركز أحد الأقضية التّابعة لقرمان حاليًا، وهي أوّل أراضٍ خصّصت للحرمين كوقفٍ في الأناضول، وكان عُشْر محاصيل الأربعة وعشرين قرية والستة عشرة مزرعة التابعة لها يخصّص للمدينة المنورة.

القرى الموقوفةُ للمدينة المنورة في أريكلي:

أويوقارقي، أورتاق حاجي، دورلاس، قالبورجر، طونت، يوا، يونديوان، زامباسين، أدالي، قزيلجة، قوجان، أوريز، حيدر أوغلو، آه قويوق، كيلسمة، كيرلي، جوازن، كوربا، ماغرنا، جوماج، جوركس، يورنوس، بويجا، بوغاز.

المزارعُ الموقوفة للمدينة المنورة في أريكلي:

يعقوب أغلو، أرمغان، شوياب، كورت حاجي، قارجة، ويران، صاري أوغلو، جفلتيكي، أغرايس، ألوان أغلوا، أودال، أوجي جيفتلكلي، طاشاجيل، أوديل طاهر، بايريلي، بيوجك أغا(٦٢).

وعلينا الآن أنْ نوضّح أنّه ليس معلومًا بشكل مؤكّد متى أسّست تلك الأوقاف، وعلى يد مَن أسّست، وقد أوضح إسماعيل حقي القونيوي، ذلك المؤرّخ الكبير الذي أرّخ لمدينة أريكلي والكثير من مدننا التركية، أنّ تلك الأوقاف كانت موجودةً وبنفس الشّكل في عهد سلاجقة الأناضول وعهد القرمانيين، حتّى أنّ هذا المؤرّخ ذكر أنّ إبراهيم بك القرماني ذكر في بعض رسائله أنّ تلك القرى كانت موقوفة للمدينة، إلّا أنّه غير معروف على يدِ مَن أصبحت أوقافًا، ومتى كان ذلك (٦٣).

أمّا فريدون نافذ أوزلوك الذي اضطلعَ بعمل تاريخ للقرمانيّين فيختلف مع القونيوي في رأيه، ويذكر أنّ هذه القرى أصبحت أوقافًا في عهد القرمانيين (٦٤).

وإذا ما وضعنا نقطةَ أسلمة منطقة أريكلي في عهد سلاجقة الأناضول سنقول- وبكلّ راحة- إنّ الاحتمال الأقوى في مسألة وقف تلك القرى كان في عهد سلاجقة الأناضول.

والوقفُ طبقًا للقانون الإسلامي هو تصرّف مؤبّدٌ طوال الفترة التي تستمرّ فيها مصادرُ الدّخل[٦٥]، ولا يمكن تغيير أو إلغاء شروط الوقف، ومن هذا المنطلق فإنّ القرمانيّين حافظوا على الأوقاف التي أسّسها سلاجقة الأناضول للحرمين، وعملوا على استمرارها بنفس الشّكل، وهو ما يوحي بأنها أسّست في عهد سلاجقة الأناضول.

وقد دخلت إمارةُ القرمانيّين في الحكم العثماني عام ٨٨١هـ ١٤٧٦م على يد كديك أحمد باشا، وبعد ضمّها للدّولة العثمانيّة تمّ تسجيل كلّ أراضي الوقف كما تمّ تسجيل كلّ الأراضي الأخرى، وكان لأريكلي مكانٌ في القانون نامه الصادرة في هذا العهد[٦٦]، وهذا يوضّح لنا أنّ الدّولة العثمانيّة كانت تتصرّف من منطلق الأسس والقوانين الإسلامية، وأنها كانت تحافظ على كلّ المؤسّسات الموجودة والسّابقة لها، كما أنّ أوقاف أريكلي كان لها مكان في القانون نامه الصادرة بعد ذلك، وحافظ العثمانيون على وجودها حتّى آخر عهدهم [٦٧].

وفي عام ٩٢٤هـ١٥١٨م أرسل للمدينة المنورة ٤٨٨ أقجه من محصول قرية تولجة التابعة لأريكلي، وثلثي دخل قرية قبالى، وعشر مجموع دخل قرية سناندي البالغ ٢٥٧٣ أقجه [٦٨].

أمّا في عام ٩٩٢هـ ١٥٨٤م وصلت مجموع حاصلات القرى الموقوفة للحرمين من أريكلي ٥.٨٠٠ ذهبية [٦٩].

وفي أعوام ٩٩٦-٩٩٧هـ ١٥٨٨- ١٥٨٩م جمع السيد صفر أغا متولّي أوقاف أريكلي ٥٨٥٣١٥ أقجه من أوقاف المدينة المنورة في أريكلي، ٣٥.٠٢٥ أقجه منها متبقية من الأعوام السابقة، و٢٦٩.٣٩٠ أقجه دخل عام ١٥٨٨م، والباقي وهو ٢٢٨.٠٢٥ أقجه دخل عام ١٥٨٩م ٩٩٧هـ، وقد سلمت هذه الأموال لكلّ من مصطفى وأحمد وعثمان بير أغلو من بوابين الدركاه العالي ليرسلوها إلى استانبول، كما تمّ تسليم مبلغ ٥٢.٨٥٥ أقجه من دخل قرية قايي التابعة لقضاء نيكده لمَن يهمّه الأمر ليرسلها للقدس [٧٠].

ومع نهايات هذا العهد الذي هو موضوع دراستنا أرسل لفقراء المدينة المنورة من هذه الأوقاف المذكورة ١.٩٢٨ قرشًا أسديًّا [٧١].

د- إيالة الروم

أوقافُ الحرمين بقضاء كلين كيراس في أماسيا

أصبح دخلُ بعض المزارع والقرى المرتبطة بنظام الدّيواني والتملك بقضاء كلين كيراس التابع لأماسيا؛ بمثابة الوقف ليرسَل لفقراء المدينة ومكة، ومن غير المعروف- أيضًا- متى تحوّلت هذه الأراضي إلى أوقاف، وعلى يدِ مَن تحوّلت، وطبقًا لنظام التملّك والديواني فإنّ دخل هذه الأوقاف التي تتكون من ٣٣ قرية و٣ مزارع تابعة كلّها للقضاء المذكور بلغت عام ٩٢٦هـ ١٥٢٠م قد وصلت إلى ١٢٩٤٨٢ أقجه، بلغ في عام ٩٨٤هـ ١٥٧٦م ١٧٢٠٧٤ أقجه[٧٢].

وتلك هي قرى الوقف التابعة لقضاء كلين كيراس، والدّخل السّنوي لكلّ قرية:

اسم القرية	دخلها عام ٩٨٤هـ ١٥٧٦م
قرية العلويّين التابعة لناحية أركوما	٩٠٠٠ أقجه
قرية بوز بكي	٣٠.٦٤٨ أقجه
قرية فيروزي	٩.٣٠٥ أقجه
قرية قيران	٥.٥٨٧ أقجه
قرية علي شار	١٥.٤٥٠ أقجه
قرية يني جه	٦.٤٥٨ أقجه
قرية أميرلي	٧.٦١٥ أقجه
قرية الحاج يعقوب	٨.٨١٩ أقجه
قرية أق بينار	٨.٨١٨ أقجه
قرية كجيد	٥.٩٧٤ أقجه
قرية أولو التابعة لسما إيل	الحاصلات السنوية
قرية قواجيق	الدخل السنوي
قرية المالي	٩.١٧٣ أقجه

قرية أسكي دن	١٢.٢٢١ أقجه
قرية قرة داكين	٧.٣٩٨ أقجه
قرية حمزه لي	٤.٣٩٨ أقجه
قرية جواني	١٣.١١٣ أقجه
قرية شهري	٥.٥٧٨ أقجه
قرية قوز سراي	٧.١٦٥ أقجه
قرية بوغاجيق	٣.٦٠٦ أقجه
قرية قوتلاق	١.٩٢٠ أقجه
الدخل السنوي لقرية يني جه	١٢ أقجه
قرية يميشان	٦.٧٧١ أقجه
قرية أوة جيق	٨١١ أقجه
من أوقاف السّلطان مراد الثالث	ديوان صافجي صنقور
الدخل السنوي لقرية قورقود ٨٦٨٦ أقجه	حصة مكتوبة من البدايتين
قرية قوزلوويران	٤.٥٩٩ أقجه
قرية عمرجة	٢.٨٦٤ أقجه

قرية أوبروك	٢.٨٦٤ أقجه
حصــة الضــيعة وهــي الربــع مــن قريــة بــان التابعة لأركوما	١٧٥ أقجه
قرية قرة داكين	٥.٢٥٠ أقجه
قرية بولاق	٢٢٠٠٠ أقجه
قرية توطون التابعة لناحية كلد لان	حصة ديوانية
قرية أغاجا ويران	٥.٩٠٠ أقجه
مزرعة جالبولاس التابعة لناحية أشتا قول	ضيعة سنوية
قرية جام أغاجي	دخل سنوي
مزرعة الحاج هالك	١.٣٢٦ أقجه
مزرعة تورجوت	٥٠٠٠ أقجه [٧٣]

سنجق قيصري:

خصّصت نواحي قرة خويويق ومرعى الشّجر ومراعي القمر بسنجق قيصري لفقراء المدينة المنورة، وقد بلغ مقدار ما وصل المدينة المنورة منها عام ٩٩٢هـ ١٥٨٤م ٥.٩٥٠ تيمار ديواني [٧٤]، كما اشترطت أنْ تكون الضرائب المأخوذة من دخل بعض القرى مخصّصةً لفقراء الحرمين، على سبيل المثال تمّ إرسال ٦١٦ أقجه كانت حصيلة ضريبة ستة قرى تابعة لهذا القضاء عام ١٠٨٢ هـ ١٦٧١م

للمدينـة[٧٥]، وكانـت أوقـاف المدينـة المنـورة الموجـودة بسـنجق قيصـري تعامـل نفس معاملة أوقاف كلين كيراس [٧٦].

طوقاد:

اعتبارًا من عام ٩٨٤هـ ١٥٧٦م خصّص لمكّة والمدينة نسبة ١٠ % من جملةِ المتبقّي من حصيلة الأراضي الموقوفة التّابعة لزاوية وضريح قابيل زاده، وذلك بعد إخراج المصاريف الضّرورية، وطلب أنّ يقوم أمراء مكّة والمدينة بإنفاق هذا المال على خدمات الحرمين وعلى المجاورين، وقد بلغ محصول الوقف المذكور في السنة المذكورة ٤٦٧ مدا، و١٥.٠٥٦ أقجه[٧٧].

هـ- إيالة ذو القادر:

خصّص عشر رسوم مزارع قرية جمولكان التابعة لمرعش للمدينة المنورة [٧٨].

وقد بلغ مجموعُ دخل أوقاف المدينة المنورة من مزرعة كاوير التابعة لعينتاب في الفترة من عام ١٥٣٦م إلى عام ١٥٧٤م ٢٨٠٠ أقجه [٧٩]، كما خصّص جزء من دخل قرية تلفارة البالغ ٤٢٨١ أقجه للمدينة المنورة في نفس تلك الفترة المذكورة [٨٠].

و- إيالة ديار بكر:

كلّ المعلومات المتعلقة بأوقاف الحرمين الموجودة داخل حدود إيالة ديار بكر بدأت تسجّل في دفاتر التحرير بدءًا من عام ٩٧٢هـ ١٥٦٤م، وتلك هي المخصّصات السّنوية وأوقاف الحرمين الموجودة في ديار بكر وما حولها:

اسم الأرض	المحصول بالأقجه
محصول قرية زينل	٥٨٨٧
محصول قرية بلبل	٢٢٣٠
أراضي أوساط	٥٦٠
إيجار خمسة أبواب خانات	٢٤٧٦
إيجار ٤٧ مخزنًا	٤٩٣٢
٣ محاصيل من قضاء حصن كيفا	٦٦٠
٣ قطع أرض	١٤٠
إيجار حانوت	٤٠
حديقتان في قضاء أيل	١١٠٠
ضريبة مزرعة بدر بك في قضاء جرزه	٧٢٠
مزرعة قصر الديلان	١٨٠
محصول أراضي الزراعة في الرقة	٥٠٠٠

محصول قرية خاص جوندريك في عادل جواز	٤٠٠
إيجار ٣٢ حانوتًا في ماردين	٧٤٠٠
مقطعات ٩٥ حديقة وبستانًا	٥٧٣٣
إيجار الحوانيت في نصيبين	٦٠٠
محصول مزرعة أرجيك في حينيص	١٠٠٠
مزرعة خوشنيك في بتليس خويين	١٠٠٠
ضرائب قرى أضا وباغ وأغا وألورينا وسلو يران	٢٥١٣٠
قرى ميروانك وبيلور وبيرخوش وخانموجاي وكورت في أرجيش	٢٠٠٠٠
المجموع	٨٩.٣٣٢ أقجه (٨١)

كان يخصّص من هذا المبلغ ٣١.١٧٨ أقجه للمصروفات الضرورية في الحرمين، ثمّ يرسل الباقي وهو ٥٨.١٥٤ أقجه لمكة والمدينة (٨٢).

أورفا:

أوقف شخصٌ يدْعَى خان من أهالي المدينة الكثير من أملاكه غير المنقولة لمكّة والمدينة عام ٩٢٤هـ ١٥١٨م، وكان هذا الوقف يقضي بأن يتمّ إنفاق

المصروفات الضّرورية من المال المتحصّل عليه من إيجار الأملاك المذكورة قبل موسم الحجّ كلّ عام، ثمّ يرسل الباقي لفقراء مكّة والمدينة [٨٣].

وقد ثبت دخل أوقاف أورفا للحرمين في الفترة من عام ٩٢٤- ٩٧٤هـ / ١٥١٨- ١٥٦٦م على ما يلي:

٩٢٤/١٥١٨	٩٢٩/١٥٣٠	٩٥٥/١٥٤٨	٩٧٤/١٥٦٦
١٣.١٨٠ أقجه	١٥١١٢	٢٧٠٨٠	٦٦٧٧١[٨٤]

أمّا تسجيلات الصّرّة المرسلة عام ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م فقد أثبتت أنّ أوقاف أورفا للحرمين بلغت ٣٠ قرشًا أسديًّا [٨٥].

وان:

أسّس شخص يدعى "سير" أوقافًا للحرمين بمدينة وان وما حولها قبل عام ٩٧٢هـ ١٥٦٤م، وكان الدّخل السّنوي لتلك الأوقاف على ما يلي:

المكان الموجود به الوقف	المحصول بالأقجه
قرية أدرميت	٢٩.٠٠٠
قرية قرة باش	٤.٩٠٠
قرية طورنة مباشري	٤٨٠
عقار شمران صويي	٥.٦٣٠
قرية خانكي	٤.٣٣٠
مزرعة صوربان	١٦٧٠
المجموع	٤٦.٠١٠ أقجه [٨٦]

أمّا في عام ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م فقد وصل هذا الرقم إلى ٧٠ قرشًا أسديًّا [٨٧].

ز- أراضي الأوقاف في ولاية الشام:

كانت الشّام تحوزُ على أهمّية كبرى من الناحيتين السياسية والاستراتيجية بين الأراضي العربية التي كانت تديرها الدّولة العثمانية، وكانت الشّام تعدّ بمثابة المركز الثّاني بعد مصر في تيسير شئون الحرمين، لذا أوقف الإداريون والكثيرُ من الأهالي المقتدرين هناك الأوقافَ للحرمين، وأوقاف الشّام من أكبر الأوقاف التي أوقفت للحرمين سواء من حيث العدد أو الكمية، ولهذا كانت ترتّب صرّة من الشّام تلحق بصرّة مصر وصرّة استانبول[٨٨]، وفي عام ١٠٥١هـ ١٦٤١م بلغ مقدارُ الأموال التي أرسلت للمدينة المنورة من أموال أوقاف الحرمين التي تأسّست في الشّام ٨٥٣.٩١٧ أقجه، منها ٦٥٤.٧٦٠ أقجه من دخل الصناديق، و١١٩.٩٨٥ أقجه كان يجمع بيدِ متولّي أوقاف الحرمين، والباقي وهو ٧٩١٧٢ أقجه كان يسلّمه متولّو بقية الأوقاف الأخرى[٨٩]، ونفس الرقم المذكور موجود في دفتر الصّرّة المرقوم برقم ٤٠١ والمؤرخ بتاريخ ١٠٩٩هـ ١٦٨٨ م.

وهذا- أيضًا- يظهر أنّه لم تحدث أيّة زيادة أو نقص في دخل أوقاف الحرمين التي كانت ترسَل مع صرة الشّام في شريحة زمنية تقترب من النصف قرن، وهذا- أيضًا- يجعلنا نخرج بنتيجةٍ أخرى وهي أنّ الإداريين والنظار الذين كانوا يُديرون الأوقاف في الشّام كانوا يديرونها طبقًا لشروط وغاية الوقف.

ولأنّ مدينة دمشق تقع على طريق الحجّ فإنّ كلّ الحجّاج- باستثناء حجاج مصر- يجتمعون بها، لهذا ظهرت بعض الاحتياجات في بعض الأوقات المحددة، ولكي تنظّم الدّولة العثمانيّة هذا الوضع، ولكي تحلّ بسهولة ويسْرٍ كافّة الخصائص

المتعلّقة بالحجّ والحجّاج؛ فإنّها قد حقّقت الخدمات في الشّام بواسطة الأوقاف الموجودة بها أو بواسطة الأوقاف الموجودة في الأماكن الأخرى (٩٠).

وطبقًا للتّسجيلات الموجودة في دفتر الإجمال بالشام المرقوم برقم ١٠٣٤ فإنّ ٢١ مزرعة بقصبة الغوطة كانت وقفًا للحرمين(٩١)، كما كانت قرية كستيفا التّابعة لناحية المرج، ومبلغ ١٧١٩٥ أقجه كان يتحصّل سنويًّا من ناحية قورنة، ومزرعة المرج في بيروت، والأراضي المعروفة باسم إقليم شمر في صيدا كانت كلّها وقفًا للحرمين (٩٢).

وفي عام ٩٦٧هـ ١٥٥٩م بلغ إجمالي دخل التسعة عشر وقفًا للحرمين الموجود بالشام ٩٨١.٣١٧ أقجه (٩٣).

وفي عهد سليمان بك متولي أوقاف الحرمين في حلب بلغت هبات أصحاب الخير لفقراء الحرمين ٥٥.٦١٩ أقجه، وذلك طبقًا لدفتر المحاسبة والمواجب والواردات الخاصّة بالأوقاف في الفترة من غرة شوال ١٠١٨هـ حتّى رمضان ١٠١٩هـ، وكان محصول الأراضي والحمامات والخانات والحوانيت التابعة للوقف المذكور في نفس الفترة قد بلغ ١٨.٥٥٠ أقجه، كان يرسل من هذا المبلغ المذكور إلى مكّة والمدينة ٢٧٨.٧٩٨ بارة.

والمعلوماتُ المذكورة سابقًا مسجّلة في دفاتر المحاسبة، وثمّة معلومات أخرى عن كيف كانت تصرف الأموال التي تجمَع وترسَل إلى المدينة، وعلى حسبِ ما ورد بتلك المعلومات كان يخصّص للموظّفين ٦٨.٣٢٦ بارة، و١٩.٤٨١ لمصاريف الطريق، والباقي وهو ١٩١٠٠٠ بارة كان يرسل نصفه لمكة ونصفه للمدينة (٩٤).

بغداد:

كان يُحصّل من أوقاف الحرمين ببغداد عام ٩٩٩هـ ١٥٩١م سبعة أحمال من الأقجات، وكانت ترسل إلى استانبول [٩٥]، وقد تمّ تحصيل مبلغ ١٦٩.٠٣٢ أقجه من أوقف الحرمين الموجودة بالموصل وأراضي الرضوانية في أعوام ٩٩٧-٩٨ هـ/ ١٥٨٩- ١٥٩٠م[٩٦]، أمّا في عام ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م فقد أرسل من أوقاف الحرمين الموجودة بالموصل وما حولها ٧٠ قرشًا أسديًّا، ومن كركوك وما حولها نفس المبلغ [٩٧].

ح- مخصّصاتُ الحرمين من القرى غير المسلمة:

كان يخصّص للحرمين جزءٌ من دخل الجزية، وذلك طبقًا لما ورد بالوثائق الموجودة في الأرشيف العثماني، وفي حين كانت العديدُ من الفرمانات والأحكام الموجودة في دفاتر المهمّة هي التي تنظّم هذا الإجراء، كان هناك تصريح واضح بمخصّصات جزية الجبران مذكورة في دفاتر الصّرة، على سبيل المثال أرسل للحرمين مع الصّرّة عام ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م ٣.٤٠٠ قرشًا أسديًّا كانت جزية عن الأرْمن الذين يعيشون على حدود كلين كيراس [٩٨].

أمّا ما ذكر في دفتر المحاسبة المرقوم برقم ٥٩٩٩ من الدّفاتر المحوّلة من المالية، فيدلّ على وجود تسجيلات لرسوم كانت تحصّل من القرى الأرمينية، وأنه اشترط إرسال جزءٍ من المال الذي كان يحصّل سنويًّا من الأرمن الذين يعيشون في قضائي ميخاليج وعربكير ويبلغ عددهم ٣.٦٠٥ شخصًا، وكان يحصّل عن كلّ شخص ٣ بارات كرسوم، وكان المبلغ المجموع من قرى هذين القضاءين ٢١.٦١٢ أقجه [٩٩].

أمّا في عام ١٠٤٧هـ ١٦٣٧م فقد ثبت دخل الجزية من الرعايا التابعين لنظارة أوقاف الحرمين الشريفين والموجودين بأراضي الدّولة العثمانيّة المختلفة وعلى رأسها استانبول والمدن الثلاثة، وهي (أيوب وغالاطة، وأسكدار) فكان على ما يلي:

المكان	مقدار الأموال
غالاطة	١.٧٠٤.٦٤٠
شهير أميني	٧٧٥.٩٢٠
أوقاف استانبول	١٢٦.٠٧٣
الرومللي	
من ألوية ولاية الروماللي	٤٨٨.٦١٢
قضاءا خانقان ومرشان بالروماللي	٧٨٨.٨٣٠
قضاء يني شهر بالروماللي	٨٢٧.٥٤٧
أوقاف الحرمين الشريفين	
رعايا كلين كيراس وأرمن استانبول التابعين للحرمين الشريفين	٤٥٤.٠٨٠

أوقاف الحرمين الشريفين	٤٢.٠٣٠
أوقاف الحرمين الشريفين	٤٢٠.٠٠٠
أوقاف الحرمين الشريفين	٢.٩٦٠
أوقاف الحرمين الشريفين بقبرص	٥٦١.٠٠٠
من رعايا الحرم	١٨.٠٠٠
رعايا أوقاف السلطان	
أوقاف السّلطان علاء الدين	١١٢.٨٦٩
أوقاف أورخان الغازي	٧٣.١٦٠
أوقاف يلدريم بايزيد ببورصة	١١.٧٧٣
أوقاف السّلطان سليم خان	٢٣٧.٥٠٠
أوقاف السّلطان سليمان	٨٠١.١٨٠
أوقاف السّلطان سليمان بمصر	٤٩٠.٠٠٠
أوقاف السّلطان سليمان باستانبول	١٣٦٤.٧٠٠
أوقاف السّلطان مراد باستانبول	١٧٨.٦٠٠

أوقاف السّلطان مراد بقضاء باش كوبرو	١٣٦.٧٠٠
أوقاف السّلطان مراد	١١.٥٢٠
أوقاف السّلطان مراد	٢٣٢.٧٥٠
أوقاف السّلطان مراد	١٢.٨٤٠
أوقاف السّلطان مراد	١٤٢.٥٠٠
أوقاف والدة السّلطان مراد	١.٦٠٣٠٨٠
أشخاص آخرون	
أوقاف أمير سلطان	٦٩٠
أوقاف سعدي باشا	٤٨٠٨٠
أوقاف سنان باشا	٤.٧٣٨
أوقاف سليمان باشا	١٨٣.١٢٠
أمراء الشام	٣٣.٣٥٥
أوقاف الشيخ صدر الدين	٣٩٦٠
القدس	١٢٧.٥٠٠

من رعايا الأوقاف	٧٣.٢٠٠
المجموع	١٤٩٣٢.١١١[١٠٠]
أوقاف الحرمين الشريفين	١.٨٥٧.٥٧٠=١٢%. ٤٤

٥- المخصّصاتُ التي كانت تحصّل من قبائل اليوروك التركية:

من المعروف أنّ الوطنَ الأصليّ للأتراك هو وسط آسيا، وأنّهم كانوا ينتقلون لأوطانٍ جديدة لأسباب مختلفة، وأنّهم ظلّوا فترة طويلة يعيشون على مبدأ التنقل والتّرحال، وبعد أنْ فتحت الأناضول للإسلام على يد الأتراك المسلمين، بدأ الأتراك يتوطّنون هناك وينشرون الإسلام، وبذلك استقرّ بالأناضول الكثير من القبائل التّركية التي كانت تعيش على حياة التنقل والتّرحال في إيران والقوقاز، ومنذ بدء تشكيل الدّولة العثمانيّة بدأ الأتراك الرّحّل سواء الموجودون في الأناضول أو الموجودون في الأماكن الأخرى وعلى رأسها الرومللي التي فتحت للإسلام حديثًا؛ بدأوا يتوطّنون في الأماكن المناسبة من الأناضول، وبذلك بدأت تلك الأمّة التي اعتادتْ على حياة التنقّل والتّرحال تعيش حياة الاستقرار وتعرف العيش المنظم، وأصبحوا بذلك أصحاب أملاك وبضائع.

ولم تنتقلْ قبائل اليوروك التركية كغيرها من القبائل إلى حياة الاستقرار بل استمرّت في بداوتها وحياة التنقل والتّرحال، ولكنّهم بالرغم من ذلك أعلنوا إسلامهم

كبقيّة القبائل التركية الأخرى وتخلّقوا بخلق الإسلام، وكانوا يطبّقون أحكام هذا الدّين الحنيف، ونظّموا حياتهم الاجتماعية طبقًا للأسس الإسلامية.

وقد خصّص قسمٌ من هؤلاء اليوروك الذين كانوا يعيشون بمنطقة مغنيسيا حتّى وقت قريبٍ ضريبتهم لأوقاف السّلطان مراد وأمير البخاري الموجودة في بورصة على أنْ ترسل سنويًّا لفقراء المدينة المنورة، وفي عام ٩٨٣هـ ١٥٧٥م سجّلت سبعة منازل في تلك المنطقة لأوقاف المدينة [١٠١].

كما أنّ قسمًا من عشائر اليوروك في نواحي نهر جيحون الذي يفيض على جقور أوه في الجنوب كانوا من رعايا الحرمين[١٠٢]، كما كانت تصدر بعض الأحكام والفرمانات بإسكانِ بعض هولاء اليوروك في مقطعات أوقاف الحرمين في منطقة طوروس [١٠٣].

هذا بالإضافة إلى أنّ قسمًا من اليوروك الذين يعيشون في سنجق جيرمن كانوا من رعايا المدينة المنورة ([١٠٤])، وجماعة يوروك الجوندوذ لو كانوا من رعايا أوقاف الحرمين [١٠٥].

٦- المنازلُ والحوانيتُ الموقوف أجرُها للحرمين:

دخل إيجار الحوانيت والمنازل كان- أيضًا- نوعًا من أنواع أوقاف الحرمين، وكان الواقفون في هذا النّوع من الأوقاف يوقفون إيجار منازلهم أو حوانيتهم للحرمين إمّا بشكل مباشر وإمّا بأن يشرطوها أولًا لأولادهم ثمّ للحرمين بعد انقراض هؤلاء الأولاد.

على سبيل المثال، أوقف فيروز أغا- أغا باب السعادة- والخازندار في عهد بايزيد الثاني مبلغ ٥٠٠ أقجه من دخل إيجار حوانيته البالغة ٤١ حانوتًا وحمّامه الكائنيْن في طوقاد (١٠٦).

ولأنّ هذه الأوقاف كانت تدخل ضمن الأوقاف الذريّة كما شرحنا قبل ذلك، فإنّنا لن نتمكّن من معرفة في أيّ وقت انتقل إيجارها للحرمين إلّا من خلال الدّفاتر أو الصّرة، والوثيقة المرقومة برقم ٢١.٣٥٥ الموجودة ضمن الدّفاتر التي تحوي محاسبة الحرمين في الأرشيف العثماني، تعطي معلوماتٍ مفصّلةً للإيجار الشهري والدّخل السنوي لسبعمائة وثمانين حانوتًا ومنزلًا تقريبًا في استانبول وغالاطة وأيوب وطوب خانة وأسكدار أوقفت للحرمين الشريفين في الفترة فيما بين ١٠٣١- ١٠٧٦هـ / ١٦٢٢- ١٦٦٥م.

وبلغ مجموعُ الدّخل الشهري لتلك الأوقاف ٣٤٠٠٠ أقجه، أمّا الدخل السنوي فبلغ ٤٢٨.٠٠٠ أقجه (١٠٧).

وطبقًا لدفاتر الطّابو المؤرّخة بتاريخ ٩٤٧هـ ١٥٤٠م فقد ثبت أنّ مجموع دخل أوقاف الحرمين المتحصّلة من إيجار مجموعة من الحوانيت والخانات في ديار بكر قد وصل إلى٩.٥٨٣ أقجه (١٠٨)، وقد خصّص للحرمين الشريفين ٣.٢٤٠ أقجه من دخل إيجار خان شرف الموجود بنفس الولاية وذلك بمعرفة أحمد جلبي بن لاله زار(١٠٩).

وقد اشترط قاضي ديار بكر السّابق مولانا معروف أفندي الدخل السنوي لإيجار منزله الواقع بديار بكر، والذي كان يجلب ٤.٠٤٠ أقجه للحرمين (١١٠).

وفي عام ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م أرسل لفقراء المدينة المنورة ٦٠ قرشًا أسديًّا من دخل إيجار منازل عمر أغا الصغير[١١١]، كما بلغ مقدار المال المخصّص لفقراء الحرمين من دخل المنازل التي أوقفها عباس أغا- أغا دار السّعادة- ٣٠٠ قرشًا أسديًّا[١١٢].

أمّا إيجار حوانيت بيوك بازار الموجودة بقضاء أفلاني الواقع حاليًا في حدود زونجولداق، فقد خصّص لفقراء المدينة المنورة، وبلغ ذلك المبلغ ٣.٠٠٠ أقجه[١١٣].

وبالرّغم من وقف دخل مجموعة من الحوانيت الموجودة بمركز سنجق أسكوب للحرمين، إلّا أنّ هذا الوقف تعطّل عام ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م[١١٤].

وفي عام ٩٦٢هـ ١٥٦٤م كان يرسَل لفقراء الحرمين ٧.٩٠٨ أقجه دخل الإيجار السّنوي لخمسة منازل و٤٧ حانوتًا في ديار بكر، و ٧.٤٠٠ أقجه الدخل السنوي لإيجار ٣٢ حانوتًا في ماردين، و ٦٠٠ أقجه هي الدّخل المتحصّل من إيجار مجموعة من الحوانيت في نصيبين[١١٥].

كما اشترط حمزة باشا (١٠١٤- ١٦٠٥) الذي كان رئيسًا لكتاب الديوان الهمايوني، وعهد إليه بوظيفة النيشانجي[١١٦]، أنْ يؤجّر منزله الكبير الواقع في حي أمير سنان باستانبول، والذي يضمّ حديقة واسطبلًا ومياه جارية من بعد وفاته، ويخصّص نصف الدخل المتحصّل من إيجاره لفقراء المدينة[١١٧]، (وذلك في أوائل رجب ١٠١٠هـ/ ١٢/ ١٦٠١م)[١١٨].

وتلك هي العقاراتُ التي كانت موقوفة للحرمين كالحوانيت والمنازل:

اسم الواقف	مكانه	تاريخه	تخصيصه	مكان صرفه
صنوبر خاتون	استانبول	١٠٣٨/ ١٦٢٩	٥ أقجه	فقراء المدينة[١١٩]
هاني خاتون	استانبول بايزيد	١٠١٤/ ١٦٠٦	٢٠٠٠ **أقجه** [١٢٠]	فقراء المدينة[١٢١]
فاضل مصطفى باشا	قاندية وإزمير وبلغراد	١٠٨٩/ ١٦٧٨	١٠٠٠ ذهبية	فقراء الحرمين[١٢٢]
بيرام كتخدا	استانبول قوم قوبي	١٠٣٨/ ١٦٢٩	٣ سكات	فقراء الحرمين[١٢٣]
رئيس السراجين علي أغا	استانبول قادرغة	١٠٣٨/١٦٢٩	٣ سكات	فقراء الحرمين[١٢٤]
عبد الباقي أفندي	سمنديرة	١٠٧٤/ ١٦٦٣	إيجار	فقراء الحرمين[١٢٥]
مولانا علاء الدين بن علي	سمانويران استانبول	٩٢٦/ ١٥٢٠	إيجار	لفقراء الحرمين[١٢٦]
محمد أغا بن عبد	استانبول آيا صوفيا، قاضى		إيجار	لفقراء الحرمين[١٢٧]

الرحمن	كوى			
خان	أورفا	١٥١٨/٩٢٤	إيجار	لفقراء الحرمين(١٢٨)
أبو بكر أغا زاده	استانبول		إيجار	لفقراء المدينة(١٢٩)
همايون خاتون	غلاطة شاهسوار محله سى	١٦٦١ /١٠٧٢	إيجار	لفقراء مكة(١٣٠)
حسين كتخدا	صابون خان بقبرص	١٥٩٩ /١٠٠٨	٥٠٠ سكة	المدينة(١٣١)
خورم جاوش	استانبول بايزيد	١٦٠٥ /١٠١٣	٢٠٠٠ أقجه	المدينة(١٣٢)
عباس أغا	ممر إسماعيل بنهر الطونة		٣٠٠٠قرشا أسدي	فقراء الحرمين(١٣٣)
محمد باشا بن حسين	استانوبل قره باشا محله سي	١٦٧٠ /١٠٨١	١٥٠٠ أقجه	فقراء الحرمين(١٣٤)
عثمان أغا	أسكدار	١٦٤١ /١٠٥١	إيجار	فقراء المدينة(١٣٥)
حسين أغا	استانبول صوفيا لي	١٦٠٧ /١٠١٦	إيجار	للمدينة(١٣٦)

ثانيا : أوقافُ الدّشيشة:

١- بعضُ التّطبيقات المتعلّقة بالدّشيشة:

عندما ضمّ السّلطان سليم مصرَ والحجاز للدّولة العثمانيّة عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م أبقى على أوقاف الدّشيشة وإدارتها التي كانت موجودة قبل ذلك كما هي، مثلَها مثل باقي المؤسّسات الأخرى التي أبقى عليها.

وفي عام ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م ضمّ السّلطان سليمان القانوني لأوقاف الدشيشة هذه محاصيل ١٢ قرية تابعة للقاهرة وأشمون وبولاق والجيزة، كانت تلك القرى تدرّ دخلًا سنويًّا من المال ٣٤٢.٣٩٦ بارة، ومن الحبوب ١٥.٠٠٠ أردبًّا (١٣٧)، ولنقل تلك الحبوب أمرَ بصُنع سفينتين، أبعاد كلّ واحدة منها ٣٣ × ١١.٥ ذراعًا و ٣٦× ١٢ ذراعًا، ولحفظ الزيادات التي ستحصّل في المحصول السنوات التالية أمرَ بصُنع مخزنين في القاهرة وبولاق، وخصّص تلك المخصّصات للعاملين بها:

للبحّارة	٨٠٠ أردبًّا من الحبوب
للنجّارين	٦٠ أردبًّا من الحبوب
للعمّال	٢٨٠
للحمّالين	١.٥٠٠(لأعمال التخزين في بولاق والمركز من قرى الدشيشة)

لعمّال النقل	٣٣ أردبًّا من الحبوب
للبوّابين	٥ أردبات من الحبوب
للسيّاس	٥٠ أردبًّا من الحبوب
لنوّاب الحراسة	٢٠ أردبًّا من الحبوب
لموظّفي الملاحظة	١٦ أردبًّا من الحبوب
للكتبة	١٠ أردبات من الحبوب
لكتبة المخازن	١٠ أردبات من الحبوب
للصّرافين	١٠
للخدم	٥
سيّاس القافلة	١٠
للسّقائين	١٠[١٣٨]
المجموع	٢.٠٩٩ أردبًّا

وقد اشترط القانوني تخصيصَ ٦٠٠٠ أردبًّا من دخل أوقاف الدشيشة توزّع بالتّساوي على كلّ أهالي الحرمين دون تفريق بين حرٍّ أو عبد أو كبيرٍ أو صغير أو رجلٍ أو امرأة، وعلى الذين هاجروا من البلدان الإسلامية واستقرّوا بمكة والمدينة، وأبناء السبيل (١٣٩).

وتلك هي الرّواتبُ التي كان يتقاضاها الموظّفون الذين يعملون في هذا الوقف:

الوظيفة	الرّاتب السّنوي
ناظر الوقف	٧٠٠٠ قطعة
قاضي مصر	٤٠٠٠
المباشر	٣٠٠٠
المشد	٣٠٠٠
الصرّاف	٢٠٠٠
الشّاهد	٣٠٠٠
الجنود المحافظون	١٠٠٠
أجرة النقل	٨٠٠٠
للمتسلم الذي في الحرم	٥٠٠

للشاهدين	٤٠٠
للموظّفين المختلفين	٢٠٠٠٠
المصروفات العامّة للوقف	٢٠٠٠ أردبًّا من القمح (١٤٠)

والشّرطُ الذي يلفت الانتباه في الوقفية هو:

لا يتمّ توزيع قسمٍ من دخل تلك الأوقاف، بل تجمَع وتحفَظ لأربع سنوات، وتوزّع على الفقراء أصحابِ الحاجة الذين تضرّروا من الآفات الطبيعية كالسيول والحرائق وغيرها، وفي حالة عدم وجود مثل تلك الحالات يُضاف هذا المبلغ إلى أوقاف الحرمين لزيادته (١٤١).

وقد أضاف أبناءُ وأحفاد السّلطان القانوني الذين اعتلوا عرش الدّولة العثمانيّة من بعده للدّشيشة، حتّى أنّ مقدار الدّشيشة المرسلة للحرمين في عهد مراد الثّالث وصل إلى ٤٢.٠٠٠ أردبًّا، أمّا دشيشة القانوني فكانت ١٥.٠٠٠ أردبًّا (١٤٢).

وفي صفر عام ٩٧٨هـ/ ٧/ ١٥٧٠م أعطت "نوربانو والدة سلطان" مبلغ ١٢.٠٠٠ عملة ذهبية من مالها الخاصّ لأمير أمراء مصر ليشتري بها القرى للدّشيشة، واشترطت في ذلك إرسال محاصيل تلك القرى للحرمين (١٤٣).

كما أضاف محمّد الثالث لأوقاف الدشيشة ٢٤ قرية في مصر يبلغ محصولها السّنوي ١٢.٠٠٠ أردبًّا (١٤٤).

وقد تحقّقنا من أنّ مجموع محاصيل أوقاف الدشيشة في الفترة ١٠٠٠-١٠٠١هـ/ ١٥٩١-١٥٩٢م بلغت ١.٦٧٨.٦٤٣ بارة، إلّا أنّ هذا الرقم سجّل على أنّه ٧.٠٠.٠٠٠ كرقمٍ للمحاصيل التي لم يتمّ التمكّن من تحصيلها قبل ذلك (١٤٥).

وإذا لم يفِ المحصولُ المرسَل من أوقاف الدشيشة باحتياجات الأهالي في الحرمين، يتدارك ما حدث فيه العجز من خزينة مصر، فقد طلب السّلطان سليمان القانوني من أمير أمراء مصر إرسال ١.٥٠٠ أردبًا نظرًا لأنّ الدشيشة المرسلة لم تفِ بالغرض، وذلك في ٢٦/صفر/ ٩٦٧هـ/ ١١/٢٧/ ١٥٥٩م (١٤٦).

لقد تصرّفت الإدارة العثمانيّة بحساسية شديدة تجاه أوقاف الدشيشة التي كانت لها أهميّة كبرى للحرمين، وكانت ترسل الأحكام والفرمانات لأمير أمراء مصر وإداريي مكّة والمدينة وناظر النظّار وإداريي أوقاف الدشيشة لتفادي أيّة عقبات أو مشكلات تظهر في توزيع أوقاف الدشيشة، وكانت تبذل مساعيها لعدم ظهور أيّ سوء استعمال.

وعلى حسب ما ورد بالحُكم المرسَل لأمير أمراء مصر في ١١/ ذي القعدة/ ٩٧٥هـ/ ٥/٨/ ١٥٦٦م فإنّ قمح الدشيشة المرسَلة للحرمين في ذات السنة المذكورة؛ لم يصل للفقراء، وعندما وصل هذا الخبر للقصر العثماني، طلب القصر التّحقيق في الأمر بشكل عاجل، وما هي الأسباب التي أخّرت وصول الدشيشة والسّبعة آلاف أردبًّا من القمح التي أوقفها السّلطان للحرمين، وطلبت- أيضًا- تلافي هذا النقص في أقصر وقت، وسرعة إرسال الدشيشة كلها(١٤٧).

وكانت محاصيل الدشيشة التي تجمع من مصر وترسَل إلى الحرمين سنويًّا تسجّل في دفاتر مفصّلة، وتخطر بها استانبول على شكل تقرير يعدّه أمير أمراء مصر، والحكم المؤرّخ بتاريخ ١٢/ ذي الحجة/ ٩٧٨هـ/ ٥/٧/ ١٥٧١م يوضح لنا أنّه

لم يتسنّ جمعُ محصول الدشيشة اللازم جمعُه في بدايات عام ٩٧٧هـ/ ١٥٧١م، فطُلب من مصطفى بك ناظر الدّشيشة جمعُ مبلغ ٢١٠.٠٠٠ بارة وإرسالها للحرمين، ونفس الوثيقة تسجل إرسال مبلغ ٩.٢٨٩ ذهبية لمكة المكرمة في أعوام ٩٧٧-٩٧٨ هـ/ ١٥٧١-١٥٧٢م (١٤٨).

وأظهرت الإدارة العثمانيّة اهتمامًا كبيرًا في مسألة نقل الدشيشة، على سبيل المثال طلبَ من ناظر الدشيشة أنْ يتدارك الإبلَ ووسائل النقل الأخرى اللازمة لنقل ٦٠٠٠ أردبًّا من القمح كانت محفوظة في مخازن بولاق عام ٩٩٨هـ ١٥٧٢م، كما طلب منه إرسال الدشيشة التي ترسل (١٤٩).

وأحدُ السّلبيات التي كانت متعلّقة بنقل الدشيشة كانت مع التجار، لأنّ بعض هؤلاء التجّار كانوا يحتكرون تلك الدشيشة التي هي حقّ لفقراء الحرمين، والنتيجة ظلمٌ كبير وقَعَ على فقراء الحرمين، وقد اتّخذت الدّولة إجراءاتٍ صارمةً لمواجهة هذه الانحرافات، بأنْ أمرت بمصادرة أموال التجار الذين يثبت في حقّهم أنّهم احتكروا الدّشيشة (١٥٠)، ولم تكنِ الانحرافات في النقل مقتصرةً على مثل تلك الانحرافات فحسب، بل كانت تتمثّل- أيضًا- في مغالاة التجار في أسعار النقل في الأوقات العصيبة، وهو أمّا أدى إلى تأخّر إرسال الدشيشة- أيضًا- (١٥١).

ولا شكّ في أنّ الانحرافات الخاصّة بالنقل لم تكن محدودة بهذا فقط، بل كانت تتعدّاها إلى جوانبَ أخرى من الانحرافات على سبيل المثال وصل محصول قرى أوقاف خاصكي سلطان في مصر إلى الحرمين عبر طريق جدة وينبع في ٢٨/ جمادى الأخرى/ ٩٩٠هـ/ ٦/٢١/ ١٥٨٢م، إلّا أنّه لم يوزّع على الفقراء كما اشترطت الواقفة في وقفها بل وزّع على الأغنياء، ولتسوية هذه الانحرافات كتبت أحكامٌ لقضاة مكّة والمدينة بوجوب توزيع الدشيشة بشكل عادل(١٥٢).

وطبقًا لما ورد في دفتر المحاسبة المؤرّخ بتاريخ ٢٨/ ذي القعدة/ ١٠٨٠هـ/ ١٩/٤/ ١٦٧٠م فقد بلغ عددُ أوقاف الدّشيشة الكبرى الموجودة في السويس حتّى هذا التّاريخ كان ٣٤٥، ولكنّ الكميات المحصّلة كانت مختلفة عن هذا العدد [١٥٣].

٢- إدارة أوقاف الدشيشة:

منذ أنْ دخلت مصر تحت الإدارة العثمانيّة وعددُ أوقاف الدشيشة ودخلُها في زيادة مستمرّة، وبعد أنْ زادت تلك الأوقاف في عهود القانوني وسليم الثاني ومراد الثّالث فقد تأسّست نظارة وقفيّة أطلق عليها "ناظر النظار" لإدارة تلك الأوقاف الخاصّة بالدّشيشة بشكل آمن وسليم، وغير معلوم بشكل قاطع متى تأسّست تلك النظارة، ولكنّها كانت تعمل بتعْيين الأشخاص ذوي الخبرة في شئون الحرمين [١٥٤].

وكان هؤلاء النّظار ينظرون في شئون المصروفات والواردات الخاصة بأوقاف الحرمين في مصر وحلب والشّام، بالإضافة إلى تنظيمهم لمسألة المبالغ المخصّصة للأشخاص الذين سيأخذون منها، وكان هؤلاء النّظار مسئولين عن توصيل المحصول المجموع من مصر إلى السويس ومنها إلى ميناء ينبع، وكانوا يعيّنون الموظفين الذين لهم خبرة بشئون الأوقاف، وكانوا مسئولين- أيضًا- عما في المخازن من أرزاق [١٥٥]، وظلّ هؤلاء النّظار يرأسون الموظفين الذين يعملون في شئون الوقف تحت نظارتهم في بادئ الأمر، ثمّ أصبحوا يعطون هذه الأعمال للموظّفين على شكل الالتزام اعتبارًا من نهايات القرن السادس عشر [١٥٦].

ويقوم نظارُ أوقاف الدّشيشة بتقديم كشوف لحساباتهم عن المحاصيل التي حصلوا عليها من الأوقاف التي ذكرناها فيما سبق بشكل سنوي، كما يقومون بإطْلاع شيوخ الحرم وقضاة مكّة والمدينة على وثائق الدشيشة التي تحدد كيفية توزيعها؛ على مَن ستوزّع وحصة كلّ شخص [١٥٧].

وكان ناظرُ الأوقاف الموجودة في مصر هو نفسه ناظرَ الأوقاف الموجودة بالشّام، ولهذا كانت مصر ترسل كميّات من محاصيل ودخل أوقافها للشام في حالةِ الضرورة نظرًا لأنّ الشّام كانت بمثابة مركز التجمّع على طريق الحج، على سبيل المثال خصّص مبلغ ٧.٩٩٠ بارة للجنود المصريّين الذين كانوا مكلفين بحماية الحجّاج السّوريين وطريق الحجّ في الشّام وذلك في الفترة ١٠٠٤- ١٠٢٠هـ/ ١٥٩٦- ١٦١١م [١٥٨].

وهذه وثيقةٌ أخرى كتبت للوزير الأعظم سنان باشا في ١٦/صفر/ ٩٧٨هـ/ ٢٠/ ٧/ ١٥٧٠م طلب منه فيها شراءُ الطّعام والشراب والإبل اللازمة للحجاج بخمسمائة عملة ذهبية من خزينة مصر، وأنْ ترسل هذه الأشياء إلى الشّام بناء على طلب أمير أمرائها وقاضيها[١٥٩].

وفي الفترة فيما بين عام ١٠٧٦- ١٠٨٢هـ/ ١٦٦٥- ١٦٧٢م أرسل من المخازن الموجودة بمصر مبلغ ٦٩.٠٨٣ باره للحرمين[١٦٠].

وكانت الأوقافُ التي يديرها نظّار أوقاف الدشيشة على خمسة أقسام:

أ- أوقافُ الدّشيشة الكبرى:

وهي الأوقافُ التي تأسّست على يد السّلطان جاقمق وقايتباى وأمير تمم في العهد المملوكي، ثمّ أضيفت لها مصادر دخل جديدة، ونمت في عهد السّلطان سليم والسّلطان سليمان القانوني، وفي حين كان يرسل للحرمين من هذه الأوقاف في عام ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م ٤.٠٠٠ أردبًّا من القمح، وصلت هذه الإرسالية إلى ٦.٠٠٠ أردبًّا في عهد السّلطان مراد الثالث [١٦١].

ب- أوقافُ الدّشيشة الصغرى:

وهي الأوقاف التي تأسّست في عام ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م على يد السّلطان مراد الثّالث، وفي حين كان دخل هذه الأوقاف في تاريخ تأسيسها ٤٢٥٠٠٠ بارة، و ٢.٠٠٠ أردبًّا من القمح، وصل دخلها وقتَ احتلال الفرنسيين لمصر ٩٦٩.٨٥٧ بارة، ٣.٨٤٠ أردبًّا (١٦٢).

ج- الأوقافُ المحمّدية:

وهي الأوقاف التي تأسّست في عهد السّلطان محمد الرابع، كان يرسل للحرمين منها وقتَ تأسيسها ٣٠٠.٠٠٠ بارة، و١٠.٠٠٠ أردبًّا من القمح.

وصل هذا الرقمُ وقتَ احتلال الفرنسيّين لمصر إلى ١.٢٠٦.٢٧٤ بارة، و٢٠.٧٨٩ أردبًّا من القمح (١٦٣).

د- أوقافُ الحرمين بمصر:

اسمٌ أعطي لأوقاف خاصكي سلطان التي كانت استمرارًا للأوقاف المملوكية ضيّقة النّطاق في مصر، بلغ دخلها ٩٣٨.٦٧٠ بارة، وكمية من القمح (١٦٤).

هـ- الأوقافُ الأحمديّة:

هي الأوقافُ التي أسّسها السّلطان أحمد الثاني، بلغ دخلها حين تأسيسها ٣٠٠.٠٠٠ بارة، أمّا وقت احتلال الفرنسيّين لمصر وصل هذا الرقم إلى ٥٧٥.٠٠٠ بارة (١٦٥).

١- دورُ مصر وأهميّتها في خدمات الحرمين

كانت مصر مركزًا يحمل أهميّة كبرى بالنسبة للإدارة العثمانيّة مقارنة بالعهود السابقة لها من الناحية الاقتصادية والسياسية وخدمات الحرمين التي تعدّ أهمّ ما ذكر.

وكـان أميرُ أمـراء مصـر مسئولًا عن توطيد الأمن واستتبابه بمـا يتوافق مـع ظروف المنطقة، وكذا مسئوليتهم عن عمل تنـاغم بين الأركـان الملكيـة والعسكرية، وكـانوا- أيضًـا- يهتمّون عن قرب بحلِّ القضـايا الماليـة والعسكرية لإيـالات الحبشـة واليمن وطرابلس الغرب والقضايا المتعلقة بشئون الحرمين طبقًا لما يتّفق مع السياسة العثمانيّة (١٦٦).

وكـان أميـرُ أمـراء مصـر هـو أعلـى مسئول عـن الخـدمات الماليـة للحـرمين وأوقافـه الموجـودة بمصـر، وإلـى جانـب تلبيتـه احتياجـات الفقـراء مـن الغـذاء، كـان- أيضًا- يتحمّل من خزينة مصر قسمًا كبيرًا من مصاريف الترميمات والإنشاءات التي تتمّ في الحرمين (١٦٧).

وكانت كلّ الشئون الخاصّة بمكّة والمدينة تكتب في البداية لأمير أمراء مصر، ثمّ يعرضـها هو بدوره على استانبول، وبالرّغم من أنّه كتب خطابًا لشريف مكّـة عـام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م طلب منـه فيـه أنْ يعـرض كلّ المعلومـات الخاصـة بـالحرمين علـى أمير أمـراء مصـر(١٦٨)، إلّا أنّ هذا الإجـراء لـم يستمرّ طـويلًا، وبـدأت مكّـة والمدينـة تعرض مطالبها بشكل مباشر على استانبول من عـام ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، ولكـن نظـرًا لأنّ إدارة الدّولــة العثمانيّــة رأت أنّ تطبيــق هــذا النظــام ســيؤدي إلــى مزيــدٍ مــن البيروقراطيـة فقد أصـدرت حكمًـا فـي ٢٥/ ذى القعـدة/ ٩٩٠هـ/ ٢١/١٢/ ١٥٨٢م طلبت فيه أنْ يعود النظام القديم في الإدارة بأن تعرض المسائل أولًا على أمير أمراء مصر ثمّ يعرضـها هو على استانبول (١٦٩).

وكـان اسـتتبابُ الأمـن فـي مكّـة والمدينـة سـواء فـى وقـت الحـجّ أو فـي سـائر الأوقات الأخرى من مسئولية سبع فرقٍ عسكرية من مصـر، وكـان هؤلاء الجنـود

يغيّرون أماكنهم بالمناوبة كلّ عام، ولاستتبابِ الأمن في مكّة والمدينة في وقت الحجّ كان يتمّ تدارك الجنود من الشّام إذا كان هناك نقص في عدد الجنود المصرية (١٧٠).

كما كانت الخزينةُ المصرية تتحمّل نفقات الذاهبين للحج مستخدمين الطريق البحرى الذي يبدأ من استانبول ويمرّ بمصر (١٧١).

وقد صرف من خزينة مصر لشئون الحرمين في أعوام ٩٩٥-١٠٠٦هـ/ ١٥٨٦- ١٥٩٧م ١٠% من جملة الخزينة المصرية، هذا بخلاف محاصيل الأوقاف الخاصّة بتلك الفترة، ويمكن تصنيف تلك المصروفات على ما يلي:

لقائد القافلة المكلف بتوصيل الحجّاج إلى مكة	٤٠٠.٠٠٠ بارة
لفقراء الحرمين	١.٣٢٧٠٤٠ بارة
للشئون الأخرى	٢.٦٣٠٩٨٥ بارة
المجموع	٤.٣٥٨٠٢٥ بارة(١٧٢)

أمّا في عام ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م فلم تحدث زيادة في هذه الأرقام، وثبت أنّ مخصّصات مصر بلغت ٤.٣٩٢.٣٣١ بارة (١٠٩.٨٠٨ ذهبية) (١٧٣).

أمّا في عام ١٠٨٢هـ/١٦٧١م فقد ارتفع المبلغ المخصّص للحرمين ليصل إلى ٨٢٢٨٠٠٢ بارة(١٧٤).

ويمكننا القول بعد هذا أنّ المبلغ الذي سلّم لأمير الحجّ من خزينة مصر في العام التالي لضمّ مصر للدّولة العثمانيّة أي في عام ١٥١٨م كان ٤٥٠.٠٠٠ بارة؛

انخفض هذا الرقم- ولأسباب مختلفة- ليصل إلى ٤٠٠.٠٠٠ أقجه في عام ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٦م، ثمّ ارتفع مرّة أخرى عام ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م ليصل إلى ٥٤٢.٠٠٠ أقجه [١٧٥].

كما خصّص للحرمين سنويًّا من خزينة مصر ٤٠٠٠ أردبًّا من القمح بخلاف أوقاف الدّشيشة[١٧٦]، أمّا في عام ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م فقد بلغ إجمالي ما أرسل للحرمين ٤.٥٩٦.٤٤٥ بارة، من خزينة مصر التي بلغ أجمالي وارداتها في تلك السنة ٢١٤١٧٤٤٤ بارة، وكان نصيب ما أرسل من دخل الصّرّة في تلك السنة ٣٣٩٠.٩٣١ باره، أمّا المبلغ المتبقي وهو ١.٢٠٥.٥٢٤ بارة فخصّص لسائر الاحتياجات الأخرى في الحرمين[١٧٧]، وهذا يظهر لنا أنه قد أرسل من خزينة مصر للحرمين في تلك السنة ٢١.٤ % من إجمالي ما بالخزينة.

وثمّة نوعان آخران من الأوقاف التي كانت ترسَل من مصر إلى الحرمين، الأوّل منها أوقاف البال جيق[١٧٨]، والثاني أوقاف اليونجة، وتوجد إشارة لهذين الوقفين في حكمٍ مرسَل إلى أمير أمراء مصر ودفتردارها في ٦/شعبان/ ٩٨٧هـ/ ٢٨/ ٧/ ١٥٧٩م، وطلب من إسكندر باشا أمير أمراء مصر أنْ يخصّص مبلغ ٣٠٠ عملة ذهبية من الحصّة التي كانت مخصّصة له من هذه الأوقاف (البال جيق)، لترسل لفقراء الحرمين سنويًّا، كما طلب منه في هذا الحكم المرسل إليه أنْ يرسل للحرمين الدّخل المتحصّل من ٦٠٠ أردبًّا من اليونجة التي كانت موقوفة لفقراء الحرمين[١٧٩].

القسْمُ الرّابع

إرسالُ أوقاف الحرمين ومؤسّسي الوقف

أولا : الصّرّة:

الصّرّة اسمٌ من أصل الفعل الماضي صّر، وتعني الكيس، أو كيس النقود، أو الحافظة التي يحفظ بها الأقجات أو الدنانير (١).

أمّا معناها في الاصطلاح فتعني الأشياء التي كانت ترسلها الدول الإسلامية في شهر رجب لتوزّع على أهالي الحرمين منذ العهد العباسي (٢).

ويستدل من دفاتر الصّرّة ومن وقْفيّات الحرمين على أنّه لم يكن هناك أي وقفٍ يطلق عليه وقف الصّرّة، ولكن نظرًا لأنّ الواقفين كانوا يطلبون إرسال ما يرسلونه لأهالي الحرمين من أموال ومخصّصات مع الصّرة، ويشترطون توزيعها على يِد موظّفي الصرّة؛ كان يطلق عليها أوقاف الصّرة.

وقد أرسلت أوّلُ صرّةٍ للحرمين في عهد العباسيين، وسارت الدول الإسلامية المختلفة على نهجها في ذلك، أمّا الدّولة العثمانيّة فقد أرسلت أوّل صرّة للحرمين في عهد بايزيد الأول، وبعد ضمّ مصر والحجاز لها استمرّت في إرسال الصّرّة دون إنقاص لها.

إلّا أنّ أقدمَ وثيقة عثمانية متعلّقة بالصّرة مؤرّخة بتاريخ ٢/ صفر/ ٩٦٧هـ ٣/ ١١/ ١٥٥٩م(٣)، أمّا المعلومات المتعلقة بالصّرة قبل هذا التاريخ فتوجد في الكتب التاريخية التي تسرد التاريخ سردًا زمنيًّا، وورد في الوثيقة المذكورة أنّ بعض الأشخاص الذين يقيمون في مكّة وما حولها- وليسوا من أهلها- أخذوا بغير وجه حقّ من الأموال التي كان يلزم إعطاؤها للفقراء، وكتب حكم لقاضي مكّة بأن ينهي مثلَ هذه التصرفات.

ويوجدُ للصّرّة مصدران للدخل:

١- **الهدايا الخاصّة من سلاطين العصر:** وكانت تلك الهدايا تمنح لأهالي الحرمين، وذوي الحاجة والفقراء وقارئي القرآن في الأماكن المقدسة ورجال الإدارة في الحرمين.

٢- **مخصّصات الأوقاف:** حيث كان يتمّ جمعُ المخصّصات المشروطة للحرمين، وترسَل لتوزّع على مَن يستحقونها.

ويوجد بالأرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء التركية ٤.١٧٠ دفترًا للصرّة في الفترة من عام ١٠٠٩- ١٣٢٨هـ / ١٦٠٠- ١٩١٠م، وقد جمعت كلها في فهارس باسم دفاتر الصّرّة بنظارة الأوقاف، وأوّل ٤٢٩ دفترًا من تلك الدّفاتر المذكورة متعلّقة بفترة دراستنا هذه، وأقدمُ دفتر من تلك الدّفاتر موضوع دراستنا يعود لعام ١٠٠٩هـ ١٦٠٠م، أمّا آخر تاريخ بها ١١٠١هـ ١٦٩٠م، وتلك هي أسماء دفاتر الصّرّة المرسلة للحرمين في تلك الشريحة الزمنية التي تبلغ ٩٠ عامًا تقريبًا، وأوّلُ وآخر أرقام بها:

اسم الدّفتر	أوّل	آخر	المكان المرسَل إليه
من الدّفاتر المدوّنة أسماؤها في الدّفتر والحلبية	١	٤١٩	المدينة
من الأوقاف المدوّنة أسماؤها في الدّفتر والرومية الجديدة والخاقانية	٣	٤١١	مكة

من الأوقاف المدوّنة أسماؤها في الدّفتر والرومية الجديدة والخاقانية	١٢	٤١٠	المدينة
من أوقاف ضريح السّلطان مراد خان	١٦	٤١٤	مكة
من أوقاف ضريح السّلطان مراد خان	١٨	٤١٣	المدينة
من الأوقاف المدوّنة أسماؤها في الدّفتر والحرمين الشريفين	٨	٨٦	مكة والمدينة
من أوقاف حسين باشا سردار كريت	٢٠	٤١٥	المدينة
من أوقاف حسين باشا سردار كريت	٢١	٤١٦	مكة
من أوقاف والدة السّلطان مراد الثالث	٩٥	٤١٧	المدينة
من أوقاف والدة السّلطان مراد الثالث	٩٦	٤١٨	المدينة
من محاصيل لوجوس وشابش التابعتيْن لـ (يان أوه)	٦٠	٢٩٢	مكة
من محاصيل لوجوس وشابش التابعتيْن لـ (يان أوه)	٣٩٣	٦٤	مكة والمدينة

من الأوقاف الأخرى التي في الدّفتر والآستانة	١٠٦		القدس والشام
من أوقاف الدشيشة الكبرى والصغرى	١٦٤		مكة والمدينة
من دخل المقطّعة والجمرك للشام ونواحيها ومن زوائد أوقاف مصر	١٩٢		العربان في طريق الحجّ
فوينوك أحمد أغا وحسين الصغير	٢١٥	٤٢٠	المدينة
فوينوك أحمد أغا وحسين الصغير	٢٢٨	٤٢١	مكة
من أوقاف أصحاب الخيرات في الشام	٢٤٣	٤٠١	المدينة
من الأوقاف المار اسمها في الدّفتر وصدقة السّلطان السلطانية الرومية الجديدة	١٤٥		مكة
لقبائل بني صخر وعنزة من أموال طرابلس الشّام والسلطنة السنية	٣٩٨		طريق الحج
جزية الأرمن	٤٨		المدينة
من أوقاف إيجار خان صابون والحلبية وخوجة عمر أفندي ومن الأوقاف الأخرى التي في الدفتر	١٧٠	٤١٩	المدينة

وكما هو واضحٌ من الجدول أنّه كانت ترسل كلّ عام للحرمين صررٌ كثيرة بأسماء مختلفة، وهذه الصّررُ كانت تنظّم أحيانًا في دفتر واحد، أو في ٢٣ دفترًا أخرى مختلفة [٤].

وبسبب كثرة الدّفاتر وعدم ظهور أي اختلاف في مخصّصات الأوقاف في السّنوات المتعاقبة؛ اتّخذت أقدم الدّفاتر كأساسٍ لآخر الدّفاتر المنظمة في الشريحة الزّمنية التي نعمل عليها، على سبيل المثال تمّ تقييم الدفتر المعنون بعنوان "الصّررُ المرسَلة للمدينة من الأوقاف المدونة باسم الخاقانية والرومية الجديدة"، واتّخذت الدّفاتر المرقومة برقم ١٢ والمؤرخة بتاريخ ١٠٥٢هـ ١٦٤٢م وكذا الدّفاتر المرقومة برقم ٤١٠ والمؤرخة بتاريخ ١١٠٠هـ ١٦٨٩م؛ كأساس لها في التقييم.

ومِن ذلك- أيضًا- الدّفاتر التي تضمّ الصّرّة التي كانت ترسل إلى مكّة من أوقاف الغازي حسين باشا سردار كريت رجعنا فيها لأوّل دفتر ذكر به ذلك وهو الدّفتر المرقوم برقم ٢٠ وآخر دفتر مرقوم برقم ٤١٥، أمّا صرتُه التي كانت ترسَل للمدينة فكان أوّلُ دفتر يضمّها مرقومًا برقم ٢١، وآخر دفتر مرقوم برقم ٤١٦.

وعلى ضوء تلك المعلومات المقدّمة يمكن دراسةُ دفاتر الصّرّة طبقًا لماهيّتها على قسمين:

الأوّل: دفاترُ التوزيعات، وتضمّ تلك الدّفاتر مَن لهم الحقّ في الأخذ من الصّرة، ومَن سيكون لهم نصيبٌ منها مجدّدًا، ومَن سيأخذون منها من الذين وطّدوا الأمنَ في طريق الصرّة.

أمّا القسمُ الثّاني منها فهي دفاترُ التّخصيصات، وهي الدّفاتر التي تضمّ المخصّصات السلطانية للحرمين، ومقدار ما تمّ جمعه من الأوقاف المشروطة للحرمين.

١ - توزيعُ الصّرة:

كان توزيع الصّرّة في الحرمين يتمّ على الأسس المثبتة فيما سبق، أي أنّ الموظّفين في مكّة والمدينة كانوا هم الذين يحدّدون مَن سيأخذ من الصّرّة ومقدار حصّته منها، وأيّ مؤسّسة سيكون لها نصيبٌ منها ومقدارُ هذا النصيب الذي ستأخذه، وكان يظهر أثناءَ هذا العمل مَن تنقطع صرّتهم لأي سبب ما، وحصص لا يكون لها أصحابٌ بسبب موت أو هجرة، ويوضّح دفتر الصّرّة المرسلة للمدينة المنورة عام ١٠٠٩هـ ١٦٠٠م المسألةَ بشكل أوضح، وتلك هي الجماعات التي كان لها نصيبٌ من هذه الصّرّة:

الإداريّون وحصصهم:

مولانا قاضي المدينة	١.٢٥٠ بارة
شيخ الحرم	٨٢٠ بارة
كاتب الحرم	٤١٠ بارة
الخطيب	١.٠٠٠ بارة
الأئمة الحنفية	١.٢٠٠ بارة
أغوات الحرم الشريف	٧.٥٠٠ بارة
الكاتب الذي ينظّم دفتر الصّرة	١.٠٢٥ بارة

شخصان مساعدان مسئول الخزينة	٢٨٧ بارة ٢٠٥ بارة
الصّراف	١٨٢ بارة
المجموع	١٤.٨٧٩ أقجه

أمّا حصصُ الفقراء من نفس الصّرة:

للفقراء الموجودين في أربطة عبد الوهاب أفندي والعورسية وحوض زادة	٩٢٩ بارة
للجماعات	٤٢.٦٧١.٥ بارة
للخمسة عشر أغا الذين يديرون شئون الروضة	٤.٦٥١
لتسعة وأربعين مجاورًا	١٨.٤٤٦
لـ١١٢ قاضيّا	٢١.٦٥٤
المجموع	٨٨.٣٥١.٥ بارة

كما أوضح في الدفتر نفسِه أسماء بعض الأوقاف، وعدد الأشخاص ومقدار حصّتهم التي سيحصلون عليها:

لأربعة أشخاص من وقف ابن الخطيب	٤٠٠بارة
لثلاثة أشخاص يعلمون القرآن من وقف ابن ريحان	٣٦٩بارة
لستة وعشرين شخصًا يسمون بالجماعة الجديدة	٣٧٦بارة
لتسعين شخصًا من زوائد أوقاف الحلبية	٣٢٧بارة (٥)
المجموع	١.٤٧٢ بارة

وبذلك يكون مجموع الصّرّة المرسلة للأماكن المختلفة المذكورة فيما سبق ١٠٧٩٩٧.٥ بارة (٧٠٣ سكة).

٢ - الدّفاترُ التي تضمّ الأوقافَ التي كانت لها مخصّصات للصّرة:

وفي هذا النّوع من الدّفاتر نجد القسمَ الرئيسي منها مذكورًا به الهدايا التي خصّصها سلطان العصر لأهالي الحرمين، ثمّ نجد بها تسجيل لأسماء الأوقاف بترتيب استمرارها، وشروطها ومخصّصاتها، وكم حُصّل في هذا العام، ودفاتر الصّرّة المؤرّخة بتاريخ ١٠٧٧هـ ١٦٦٦م التي تظهر حسابات الأوقاف المجموعة من كلّ الأماكن التي بها أوقاف للحرمين؛ هي أبرز مثال على هذا النوع من الدّفاتر.

دفتر الصّرّة رقم ١٣٠

اسم الوقف	مكانه	القيمة
مخصّصات السّلطان لأهل القرآن والدعاء	المدينة	١٠٠٠

مخصّصات السّلطان لأولاد الحسين	المدينة	١٤٠
مخصّصات الوالدة سلطان لأهل القرآن والذكر	المدينة	٦٠٠
محاصيل أراضي لوجوس وشابش التابعة لـ(يان أوه)	الحرمين	٣٠٠٠
مخصّصات والدة السّلطان محمد خان لأهل القرآن والذكر	مكة	٦٧٠
" " " " "	المدينة	٨٨٠
" " " " "	مكة والمدينة والقدس	١٤٥٤
جامع السّلطان أحمد خان	الحرمين	٤٧٢٢
مخصّصات السّلطان مراد لأهل القرآن والذكر	مكة	١٤١٠
" " " "	المدينة	١٤١٠
مخصّصات "خاندان سلطان" لأهل القرآن والذكر	المدينة	٦٠٠
خاندان سلطان	الحرمين	٤٠٠
صفية سلطان	المدينة	١٠٠٠
جامع آيا صوفيا الكبير	المدينة	٤٣٠
السلطان بايزيد خان	المدينة	٨٤٠

مخصّصات السّلطان سليم لأهل القرآن	الحرمين	١٢٥٠
السلطان مراد خان	الحرمين	٦٠٠
السلطان عثمان خان	الحرمين	٩٦٠٠
والدة السّلطان سليم خان	الحرمين	٥٠٠ قرشًا
والدة السّلطان مراد خان الثالث	المدينة	٢٠٠٠
" " "	المدينة	٨٠٠
مخصّصات والدة السّلطان لقراء القرآن	القدس	٤٨٦
"مهرماه سلطان"	مكة والمدينة	١٠٠٠٠
محمود باشا	المدينة	١٥٠١
قوجه مصطفى باشا	الحرمين	١٥٠
علي باشا	المدينة	٢٨٠
يحيى باشا	الحرمين	١٠٠١
برتو باشا	الحرمين	١٠٠
نيشانجي محمد باشا	الحرمين	٢٠٠
حسين باشا سردار كريت	الحرمين	١٣.٣٣٣ لمكة ١.٣٣٣ وللمدينة ١٢.٠٠٠
أحمد باشا	المدينة	خالي
علي باشا كجدهان	المدينة	١٢٠

مصطفى باشا	الحرمين	٢٤٠
الخاتونية	الحرمين	٢٤٠
عائشة سلطان بنت مراد خان الثالث	الحرمين	٢٠٠
فاطمة سلطان بنت فرهاد باشا	الحرمين	خالي
فاطمة سلطان الصوفية	المدينة	٦
حديقة جوهر خان سلطان	الحرمين	١ قرش
سلجوق سلطان	الحرمين	خالي
عبد الرحمن أفندي	مكة	٢٥
عبد السلام بك	الحرمين	١٠٠
خوجه آيدين	الحرمين	خالي
إيجار حمام بكتاش خليفة	مكة	٥٠ قرشًا
محمد بك الأفشاني	مكة	خالي
جبة جي باشا مصطفى أغا	الحرمين	خالي
آخي جلبي	المدينة	٤٠٠
يوسف أغا أغا دار السعادة	الحرمين	خالي
أغوات وغلمان دار السعادة	الحرمين	خالي
الحاج مصطفى أغا أغا دار السعادة	المدينة	١٢٨٠
حسن باشا القبطان	المدينة	١١٥
عائشة سلطان بنت "جم سلطان"	الحرمين	خالي
ريحان أغا أغا دار السعادة	المدينة	خالي

أمينة خاتون زوجة حسن باشا	المدينة	خالي
حبيبة الصباح مصطفى أغا	المدينة	خالي
المرحومة شمس رخسار خاتون	المدينة	خالي
هاني خاتون	المدينة	خالي
همايون خاتون	المدينة	خالي
المرحومة خورشيد خاتون	مكة	خالي
طاية خاتون	المدينة	خالي
محمد أغا الكيلرجي	المدينة	خالي
البواب أسكندر	المدينة	خالي
مصطفى أغا كوركوجى	الحرمين	خالي
محمد جلبي	المدينة	خالي
أغا دار السعادة محمد أغا	المدينة	٣٣٠
موسى أفندي رئيس الأطباء	المدينة	١٦٠ قرشًا
سرو آزاد خاتون لأهل القرآن	المدينة	٦٠
كلندر باشا	المدينة	خالي
بهرام أغا لأهل القرآن	المدينة	٦٩
عمر أغا الصغير	المدينة	٦٠
إبراهيم بن محمد السيواسي	المدينة	خالي
أمين الصرّة صفر أغا	الحرمين	خالي
عثمان أغا	المدينة	خالي

إيجار منزل وحديقة مصطفى جلبي	المدينة	خالي
إيجار منازل المرحوم عباس أغا	الحرمين	٣٠٠٠ قرشًا
غضنفر أغا	الحرمين	٢٥٠٠قرشًا
استانبول غالاطه وما حولها	الحرمين	٢٥٠٠قرشًا
بورصة وما حولها	الحرمين	١٥٠٠قرشًا
أدرنة وما حولها	الحرمين	١٢٠٠قرشًا
رعايا يان بولو	الحرمين	خالي
سنان بك الرقاص	المدينة	١٢٠
حمزة بك الشراب دار	المدينة	٢٠٠
أصفهان شاه خانم	المدينة	١٨٩
بابا دره ودره كوى	الحرمين	١٢٠٠ قرشًا
أيكر بوجاق	الحرمين	١٣٠٠ قرشًا
قسطمونى وما حولها	الحرمين	٣٢٦ قرشًا
بيرجي	مكة	٤٧.١٦٢ قرشًا
أريكلى	الحرمين	١٩٢٨ قرشًا
قرية نيكده	خليل الرحمن	١٠٠ قرشًا
باليق حصار وياد كار	الحرمين	٢٤٠ قرشًا
كلين كيراس وزيله وطوقاد	الحرمين	٣٥٥٠ قرشًا
جزية أرمن كلين كيراس	الحرمين	٣٤٠٠ قرشًا
سنان الصغير المديللي	المدينة	٧٢ قرشًا
ديار بكر وما حولها	الحرمين	٢٣٠ قرشًا

أورفا وما حولها	الحرمين	٣٠ قرشًا
وان وما حولها	الحرمين	٧٠ قرشًا
الموصل وما حولها	الحرمين	٧٠ قرشًا
أرجيش وكركوك	الحرمين	٧٠ قرشًا
جزيرة قبرص	الحرمين	٢٥.٠٠٠ قرشًا
سيدي	الحرمين	خالي
سلانيك وتوابعها	الحرمين	١١٠ قرشًا
فاطمة خاتون بنت مصطفى بك	مكة	خالي
"بغداد ملك" الرضوانية	الحرمين	خالي
نسل شاه والمرحوم مصطفى بك	المدينة	خالي
إيجار حديقة محي الدين	المدينة	خالي
أسيا	المدينة	خالي
فاطمة خاتون بنت مصطفى بك	مكة	خالي
المرحوم حسين أفندي	المدينة	١٢٤
أحمد أغا	مكة والمدينة	١٥٤
ماه جهره خاتون	المدينة	٨٠
المرحوم أوجون ممي	المدينة	خالي
خليل أفندي	المدينة	خالي
حديقة خضر	المدينة	خالي
إيجار غرف علي جلبي	المدينة	٦ قروش

المرحوم خليل أفندي	المدينة	خالي
إيجار حوانيت بيوك بازار	المدينة	٣٠ قرشًا
حميدة خاتون	الحرمين	٥ قروش
بودين وطمشوار	الحرمين	خالي
إيجار حوانيت أسكوب	المدينة	خالي
ذو الفقار أفندي	المدينة	٨٠.٥ قرشًا
المرحوم سراج أحمد أفندي	المدينة	خالي
أكينجي حسين	المدينة	خالي
سراج مصطفى	المدينة	خالي

أمّا النقودُ المصروفة لإعداد دفتر الصّرّة المذكور فكانت على ما يلي:

١٤ كتابة نفقات الدفتر	١٠٨ ذهبية
أمين الصّرة	٨٠ ذهبية
الكاتب	٧٥ ذهبية
البوّابين	٣٧٥ ذهبية
المجموع	٦٥٢ ذهبية

وبذلك يكون المجموعُ الصّافي لتلك الأوقاف المذكورة في الجدول السابق ٦١.٣٩٦ سكة، وذلك بعد إخراج هذه المصروفات. كان هذا المبلغ يوزّع على النّحو التالي:

المكان المرسل إليه	المجموع	النسبة المئوية
لأهالي مكة	١٧٦٨٨ ذهبية	٢٨.٦
لأهالي المدينة	٤١.٢٢٨ ذهبية	٧١.٤
لأهالي القدس	٢.٤٨٠ ذهبية	٤
المجموع	٦١.٣٩٦ ذهبية	١٠٠ %

ويتّضح من خلال الجدول السابق أنّ المبلغ الذي كان يرسل للمدينة كان يساوي ثلاثةَ أضعاف المبلغ المرسَل لمكّة تقريبًا، أمّا المرسل إلى القدس فهو قليل جدًّا بالنسبة لمكّة والمدينة، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال ما هي الأسباب التي جعلت المبلغَ المرسَل لمكّة أقلَّ بكثير من المرسل إلى المدينة، ويكمن السرُّ في هذا في كوْن فقراء المدينة أكثرَ من مكّة، كما أنّ مصادر الدخل في المدينة ليست كافيةً بالدرجة التي تؤمّن احتياجات الأهالي، وتاريخ ترتيب هذا الدفتر كان في ٢٥/ ربيع الآخر/ ١٠٧٧هـ/ ٢٥/١١/ ١٦٦٦م [٦].

٣ - الصّرةُ طبقًا للمراكز التي ترسلُها

أ - صرّةُ استانبول:

وهي الصّرّة التي تخرجُ بمراسمَ واستعداداتٍ كبيرة من استانبول عاصمة السّلطنة، أمّا عن مصادر دخل هذه الصّرّة فهي المخصّصات السلطانية، والحاصلات

السّنوية لأوقاف الحرمين الموجودة باستانبول والأناضول والروماللي وأدرنة وسائر الإيالات الأخرى، ومعظم الدّفاتر الموجودة بالأرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء تمّ ترتيبُها لصرّة استانبول، أمّا الدّفاتر الأخرى لصرر استانبول الدّائمة فهي على ما يلي:

الأوقافُ الخاقانية والرّومية الجديدة والأوقاف المدوّنة أسماؤها في الدفتر:

وقفُ ضريح السّلطان مراد
من أوقاف الحرمين الشّريفين والأوقاف المدوّنة أسماؤها في الدفتر
من أوقاف الغازي حسين باشا سردار كريت
من أوقاف والدة السّلطان مراد الثالث
من محاصيل لوجوس وشابش التابعتين لناحية (يان أوه)
من الأوقاف الأخرى المدونة أسماؤها في الدفتر وأوقاف الآستانة
دفاتر الصّرر التي كانت ترسل من أوقاف فوينوك أحمد أغا وحسين أفندي الصغير.

ب - صرّةُ الشام:

هي الصّرّة التي كانت تتكوّن من أوقاف الحرمين التي تأسّست في عهدي المماليك والعثمانيّين في

منطقة سوريا، وعلى رأسها المدن الكبرى مثل الشّام وحلب، وبالرغم من إرسال صرّة الشّام بشكل

مستقلّ في بعض العهود إلّا أنها كانت تنضمّ لصرّة استانبول في معظم الأوقات.

والدّفترُ الذي يضمّ تفصيلات عن الصّرّة التي أرسلت للحرمين من الشّام عام ١٠٨١هـ ١٦٧٠م يتضمّن معلومات قيمة عن مصادر دخل صرة الشّام والأماكن التي كانت تصرف فيها.

مصروفاتُ الصّرّة التي كانت ترسَل من الشّام للحرمين:

للخدم في المسجد النبوي	٣٤.١٧٠ بارة
للمجاورين في المدينة	٧٥.٦٥٢ بارة
للنساء ذات الحاجة	٣٣.٧٨٠ بارة
للأهالي	٢٠٧.١٥٨ بارة
المجموع	٣٥٠.١٥٨ بارة (٧)

الأوقافُ التي كانت مصدرَ دخل صرّة الشّام والوارداتُ السنوية وأماكنُ صرفها:

اسم الوقف	القيمة بالبارة	الشرط
منجيك	٣٠	لفقراء المدينة
قرى بورج وغازية	٩.٨٠٠	لفقراء المدينة
قرية فسور	٣٠٠	لفقراء المدينة
سنان أغا	٣.٠٠٠	لقراءة المصحف الشريف

		وللطـلاب والمدرسـين بمدرسـة المالكي
شمس الدين منلوك		لزيت قناديل الحرم الشريف
شهاب الدين بن منلوك		لنقل المياه للحجرة الشريفة
عيسى الغازي علي دوغان	٨٥٠ ٨٠٠	لوكالة سيدنا عثمان لقـراءة القـرآن ونقـل الحـديث والطعام للفقراء
قنصوه البجاوي	٨.٨٠٠	لفقـراء المدينـة وقـراءة القـرآن وللفقراء في رباط قايتباي
سيف الدين الجوهري	٣٠٠	لقراءة القرآن
شاد بك	١.٣٠٠	للفقراء
أبو شريف المقدسي	٤٠٠	للمكبـرين فـي الروضـة وللقـراءة القرآن
محمد الأجوردي	٣.٨٨٠	لأشراف المدينة
موسى القطان	١.٠٠٠	للفقراء
مزاحم الفاري	٦٠٠	للفقراء
محمد جلبي الفرماني	٨٤٠	للمسبحين ولقراء المولد وللكاتب وللمحافظين على الأموال
شاد بك	٦٠٠	للفقراء
الوزير الأعظم مراد باشا	٢٤.٥٧٢	للفقراء
ناصر الدين ممدود	٢٥٠	لإمام الروضة المطهرة

قطب الدين	٥٠٠	لقراءة القرآن لروح رسول الله
قرية فرحانة	١.٦٠٠	لقراءة القرآن في الروضة
محي الدين وسليمان الفروزي	٥٥٠	للفقراء في الأربطة والأماكن الأخرى
جعفر كتخدا	٢.٥٠٠	لقراءة القرآن وطرق المياه
الملك الأمجد	٤٥٠	للفقراء والحمامات
ابن إبراهيم بن مصلح	٨٠	للفقراء
إبراهيم أغا		ثمن ملابس توزّع على الفقراء والحمالين
سيباي		للحمالين ومستلزمات قناديل الحرم
سنان جلبي الفرماني	٣٦٠	لقراءة القرآن والذكر في الروضة
إسماعيل بن أكرم	٢٥٠	للفقراء
أسبيل خاتون	٨٠	للفقراء
شهاب الدين صلاح الدين	٦٥٠ ٣٠٠	للفقراء للفقراء
إلياس كتخدا	١٥٢٠	للفقراء
عبد الرحمن بن أفرم	٢٠٠	للفقراء
مصطفى ابن إسكندر	١٢٠٠	للفقراء
بلغار	١٠٠٠	للفقراء
فروح شاه	١٥٠٠	للفقراء

علاء الدين		لمؤذني الحرم والأسبلة
شمس الدين الوفي	٢٥٠٠	لأهل الرباط
علاء الدين الصابوني	٢٧٠	لطائفة النساء
من أوقاف ملك الأعلام	١٤٠٠	للسادات في الروضة
جاقمق	١٣٠٠	لقراءة القرآن ولخدام الروضة
سراج الدين	٣٢٠	للكبار
تاج الدين	٣٢٠٠	للأغوات والفقراء والمؤذنين والأئمة
القاضي عمر بن تاج الدين	٣٦٠	للفقراء
تاج الدين الديوان	١٢٠٠	للأئمة والمؤذنين في الروضة
شرف يحيى الديوان	٣٢٠	للفقراء
قرية بطرام	٦٤٠٠	للأئمة الكبار وللسادات
خرم باشا	١٢٠٠٠	لقاضي القضاة والسادات والخدام والفقراء في الأربطة ومجاوري مكة
فاري النما	٣٠٠٠	للفقراء
سيباي الكفيلي		لقراءة القرآن والحديث والأسبلة
قرية صابورة	٤٠٠٠	للمدرسة الشاهانية
خديجة خاتون	٢٥٠	للفقراء
سيدي جاوش		للفقراء
محمد بن جعفر		لمؤذني الحرم

الحاج حسين الرومي		للفقراء
درويش باشا	٥٤.٦٠٠	للمشايخ والفقراء
شهاب الدين غزة		للأغوات
الحاج محمد الوقاد	٢٠٠	للفقراء
حسين كتخدا	٤٨٠	للمشايخ
حسين جلبي		لمؤذني الحرم
إبراهيم بك بن شاد بك	١٠.٠٠٠	للفقراء في أربطة المدينة
عمر بن أبي اللطيف		للفقراء
القاضي زين الدين	٢.٥٠٠	للفقراء
شمسي أحمد باشا	٣٦٠٠	لشراء ألبسة للفقراء
محمد القيطاري		للفقراء والأثرياء
لاله مصطفى باشا		لإنشاء سبيل في الحرم وللمؤذنين ولقراء القرآن في الحرم
أحمد جلبي كاتب العروض	٧٢٠	لشيخ مدرسة أبي بكر
محي الدين الرومي	٥٢٠٠	للفقراء
علي أفندي	٦٠٠٠	للفقراء
إلياس جاوش	٥٩٨٠	للفقراء
علي الصافي	١٢٠	للفقراء
أحمد الطويل		للفقراء
علي أغا محافظ قلعة الشام		للفقراء
شوقي خاتون	١٢٠٠	للفقراء

برويز باشا		لقـراءة سـورتي ياسـين والملـك وللمؤذنين

وكان تاريخُ تحرير الدّفتر في رجب ١٠٨١هـ ١١/ ١٦٧٠م [٨].

ج- صرّة مصر:

هي الصّرّة التـي تتكوّن من أوقـاف الدّشيشـة التي ترسل من مصـر وأوقـاف الحرمين بها، والتّعيينات المرسَلة من خزينتها، وكان يوجد بهذه الصّرّة المرسلة من مصر توقيعات أمير أمراء مصر ودفتردارها والكتخدا والقاضي عسكر أو وكيله.

ويقوم الكاتب بكتابة مقادير الصّرّة وسائر شئونها، ثمّ يقوم الروزنامجيه (المسئولون عن دفاتر المصـروفات والإيـرادات اليوميـة) بإرسـال مقـادير الصّـرّة وحساباتهم إلـى استانبول [٩].

وقد بلغ مقدار الصّرّة المصرية عام ٩٤٠هـ ١٥٣٣م ٥٤٠.٠٠٠ بـاره، وصـل هذا الرقم في عام ١٠٠٤هـ ١٥٩٥م إلى ١.٣٢٧.٠٤٠ بـارة، أمّـا فـي عـام ١٠٨٢هـ ١٦٦٩م فقد وصل إلى ٤.٨٠٦.٩٨٨ بارة [١٠].

وكـان لأحد عشـر ألـف وثلاثمائـة وستّين شخصًـا مـن أهـالي المدينـة المنـورة نصيبٌ من أوقاف الدشيشـة الصـغرى والكبرى المرسَلة من مصـر فـي ١١/ جمـادى الأولـى/ ١٠٨١هـ ٢٦/١٠/ ١٦٧٠م[١١]، أمّـا شكل توزيـع تلك الصّـرّة فقد أوضـح بالخطّ الهمايوني المتصدّر الدفتر [١٢].

وهؤلاء هُم مَن كـان لهـم نصـيبٌ مـن الصّـرّة المرسـلة مِـن مصـر مـن أهـالي المدينة المنورة، وعدد الحصص التي كانوا يحصلون عليها:

الاسم	العدد
إداريو الحرم وكبار رجاله	٦٩٦
سادات وأشراف المدينة	٩٥٥
المشايخ والسادات الذين كانوا يعيشون بالمدينة	٧٣٠
الأغوات الذين يشتغلون بالخدمة في المدينة	٨٣٧
أصحاب النوبة (الجاوشية، الشراكسة، المستحفظان، المدفعجية)	١.١٤٤
المدفعجية في منطقة المدينة	٦٨٨
جنود قلعة المدينة	٧٢١
أهالي المدينة	١.٨٦٠
جماعة القائد	١٣٣
جماعة المغاربة	٢٩٨
جماعة الهنود والسنيين	١.٩٢١
جماعة العتقاء	٤٩٠
لخمسة وعشرين ممّن يعيشون في الرباط	٨٩٦
المجموع	١٦.٧٦٠ شخصًا

وكانت الصرّة المصرية مثل صرة الشّام أحيانًا تكون مستقلّة، وأحيانًا تلحق بصرّة استانبول.

٤ - إدارة الصّرّة وتوزيعها:

كانت هناك بعضُ الإجراءات التي تتّخذ لتجميع مخصّصات الصّرّة التي كانت تشكّل عصبَ الحياة بالنسبة للمساعدات المرسلة لأهالي الحرمين، وكان من ضمن تلك الإجراءات- أيضًا- ضمانُ توصيل تلك المخصّصات إلى مكّة والمدينة والقدس عندما يحين وقتُ إرسالها، وتوزيعها بشكل عادل، والقضاء على كلّ العيوب أو أوجه النّقص والانحرافات التي قد تظهر أثناء التوزيع، وكان أمناء الصّرّة هم المسئولين بالدّرجة الأولى عن سوق وإدارة الصّرّة [١٣].

لذا كان يتمّ اختيار أمناء الصّرّة من بين الأشخاص الذين أدّوا وظائف علميّة وإدارية هامّة، ويجب أنْ يكونوا مشتهرين بالتقوّى والصدق، وذلك لأنهم سيكونون مسئولين عن توزيع وسوق الصّرّة التي هي بمثابة عصب الحياة لأهالي الحرمين، ومنذ عهد أبي بكر[١٤] وأمناء الصّرّة يمثلون أمراء الحجّ في نفس الوقت [١٥].

وأوّل أمينٍ للصّرة في العهد العثماني هو الأمير مصلح الدين الذي أرسله السّلطان سليم الأول بالهدايا التي أرسلها لمكّة والمدينة وهو لا يزال في مصر[١٦].

وبخلاف أمناء الصّرّة كان الإداريّون في مكّة والمدينة مسئولين- أيضًا- عن توزيع الصّرّة بشكل عادل، فقد أرسل حكمٌ مؤرّخ بتاريخ ٢/ صفر/ ٩٦٧هـ/٣/١١/ ١٥٥٩م لقاضي مكّة، يشتمل هذا الحكمُ على طلب من الإدارة العثمانيّة لقاضي مكّة بضرورة التقصّي عن أخذ الأشخاص الذين يقيمون في مكّة وليسوا من أهلها وليس لهم الحقّ في الأخذ من الصّرّة، وبالرغم من ذلك يأخذون منها، وطلب منه- أيضًا- سرعة التصرّف في إنهاء هذا الوضع، وهذا يدلّ على مسئولية هؤلاء الإداريّين- أيضًا- في توزيع الصّرّة [١٧].

كما طلب من قاضي مكّة في حكمٍ أرسل لـه فـي ٧/ رمضـان / ٩٦٧هـ/ ٦/١/ ١٥٦٠م بـأن يسجّل بالتفصيل فـي الدّفاتر مَن يأخذون من الصّرّة وسائر الأوقاف الأخرى في مكة[١٨].

أمّا في ١/ شوال/ ٩٨٥هـ/ ١٢/١٢/ ١٥٧٧م فقد أرسل حكم لقاضي مكّة أخبر فيه بأنّه مسئولٌ عن الحفاظ على دفاتر الصّرّة والأوقاف، ومسئول- أيضًا- عن أيّ تحريف يحدث في تلك الدّفاتر بناءً على الأخبار التي وردت بأنه حدثت تغيّرات وتعديلات في دفاتر الصّرّة، وأنّ توزيعها كان مخالفًا لشروط الوقف [١٩].

وورد في حكمٍ آخر أنّ المخاوف التي تخشى الدّولة منها في موضوع توزيع أموال الصّرّة قد حدثتْ بالفعل، وأنّ بعض الأثرياء في المدينة أخذوا من الصّرّة دونَ وجه حقّ، لذا أرسل لقاضي المدينة بضرورة تسوية هذا الوضع بشكلٍ عاجل، وضرورة استرجاع الأموال التي اغتصبها الغاصبون وهي حقّ للفقراء [٢٠].

٥ ـ موظّفو الصرّة:

هؤلاء هُم موظفو الصّرّة الذين كانوا يعملون بها غيرُ أمناء الصّرة: المبشّر، رئيس المبشّرين، المبشّر الثاني، أغا القفطان، طبيب موكب الصّرة، رئيس السّقائين، جنود الجردة، رئيس الجند، موظّف الجردة، الجردة السنية، رئيس الأحكام، عامل المشاعل، مترجم الصّرة، كاتب الصّرة، كتخدا الصّرة، وكيل الفراشة الشّريفة، صاحب الدّرك، الدليل، المطوّف، المقوّم، مسئول التخت روان، عامل الشّربات، صانع القهوة، رئيس الحلّاقين، رئيس عمّال البخور[٢١].

٦- إرسالُ المَحْمل:

كلمةُ المَحْمل اسمٌ زمان ومكان، ومصدر ميمي من جزر، الفعل الماضي (حمل)، ومعنى الكلمة الناقة التي تحمل البضائع أو الأشياء وتنقلها، وتستخدم هذه الكلمة- أيضًا- بمعنى المحامل، ولكنّ استعمالها على هذا الشكل قليل.

أمّا المَحْمل في الاصطلاح فتعني نوعًا من السبت الموضوع على الناقة لحمْل شخصين، وتأتي- أيضًا- بمعانٍ أخرى مثل الإبل التي كان يركبها النبي- صلّى الله عليه وسلّم- عند خروجه للحملات، أو الإبل التي تحمل الهدايا التي يرسلها الأمراء والحكّام للحرمين الشريفين، أو الإبل التي كانت تسير على رأس القوافل في وقت الحجّ [٢٢].

وهناك اختلافٌ في موضوع متى أصبح إرسال المَحْمل إلى مكّة والمدينة، ويوضّح الشّريف محمد صادق أنّ أوّل مَحْمل أرسل كان في عهد الحجّاج وأرسل مع أبي الحسين أحمد[٢٣] وكان هذا المَحْمل على شكل مخروطي[٢٤]، ويذكر المقريزي أنّ أوّلَ مَن أرسل المَحْمل هو السّلطان بيبرس، أمّا فيليب كيتي فيذكر أنّ المَحْمل كان عبارةً عن النّاقة المزيّنة للغاية التي كانت تتقدّم قوافل الحجّ الكبرى القادمة إلى مكّة من مصر واليمن وسوريا والعراق[٢٥].

وفي القرن الثّالث عشر كان السّلاطين يرسلون المحْمل دلالة على استقلالهم، وأنّ إدارة الحرمين الشريفين أصبحت في أيديهم، وأنّهم أصبحوا خدّامًا للحرمين الشريفين [٢٦].

وفي العهد العثماني، أخرج السّلطان سليم الأوّل محْملًا فخمًا للغاية من الشّام التي ظلّ فيها فترة أثناء عودته من مصر، وكان ذلك في ٨/ شوال/ ٩٢٣هـ ـ٢٤/ ١١/ ١٥١٧ م [٢٧].

كان هذا المَحملُ عبارة عن محْملٍ مربّع الشكل، عليه قبّة محدبة فضية من جوانبها الأربعة، يعلوها علم، وكتب حول تلك القبّة- بخطّ النّسخ- كلمة الشهادة [٢٨].

ومِن بعد هذا التّاريخ أصبح المحْمل يخرج من استانبول باسم السيدة عائشة، ولأنّه كان يمرّ من الشّام اشتهر بأنّه المحْمَل الشّامي، أمّا المَحْمل المرسَل من مصر فكان يرسَل باسم السيدة فاطمة [٢٩].

ومنذ عام ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م أصبح عددُ المحامل المرسلة إلى مكّة ثلاثة، فقد رتّب والي اليمن مصطفى باشا خروجَ مَحْملٍ من اليمن من مدينة حيس اليمنية في هذا التّاريخ، واستمرّ في إرسال هذا المحمل لسنوات طويلة [٣٠].

ولم يكنِ المَحْمل من تطبيقات الوقف، بل كان عادةً من السلاطين كما أوضحنا سابقًا، ونظرًا لأنّه كان يرسَل سنويًّا، ويحتوي على مخصّصات لأهالي الحرمين فيمكنُ إدراجه ضمن الخدمات المقدّمة للحرمين.

ويخرج المَحْمل من المراكز التي يخرج منها بمراسم واحتفالات كبرى، مثله في ذلك مثل الصّرة[٣١]، وكان يتقدّم قافلة الصّرة.

وقد بذل العثمانيون جهودًا كبيرة لحماية الحجّاج أو الصّرّة التي كانت ترسل من استانبول من هجماتِ العربان البدو الموجودين في طريق مكّة الشام، حتّى أنّهم خصّصوا صرّة فرعية من الصّرّة التي كانت ترسل لمكّة لهؤلاء البدو، وكان هؤلاء البدو لا يتعرّضون بأيّ شكل من الأشكال لناقة المَحْمل التي تتقدّم موكب الصّرة، بل

إنّهم كانوا يعتقدون بأنّهم إذا ما أدخلوا مرضاهم خيمةَ ناقة المَحْمل وأخرجوهم منها يشفون من مرضهم (٣٢).

ثانيا : الأموال التي كانت ترسَل إلى الحرمين:

أوضحنا في الأقسام السابقة أنّ العثمانيين منذ أنْ ألحقوا الحجاز بهم عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م حملوا

على عاتقهم مهمّة تلبية كلّ احتياجات مكّة والمدينة، وبذلوا كلّ جهدهم للعمل على استمرار تلك الوظيفة، ولم يتخلّوا قط عن تأديتها، ومجموع تلك الأموال التي كانوا يرسلونها بانتظام كلّ عام للحرمين يظهر لنا الأبعاد الحقيقة لتلك الخدمة التي حملوها على عاتقهم، وماذا كانت تعني تلك الأموال بالنسبة لميزانية الدولة.

ولعلّ معرفتنا بأنواع الأموال التي كانت متداولةً في تلك الفترات والتي تمكّنّا من التعرّف عليها من خلال مصادر تلك الفترة موضوع البحث، وكذا بمعرفتنا بقيمة تلك الأموال بالنسبة للوقت التي كانت فيه؛ سيعمل على فهمنا للموضوع بشكلٍ أحسن، لذا وجدنا من المناسب هنا أنْ نعطي- ولو معلومات مبسّطة- عن الأموال التي كانت متداولةً في تلك الفترة.

١- الأموالُ التي كانت مُتداولة:

الأقجه:

اسمٌ للعملة الفضيّة الصغيرة التي كانت تستخدم عند العثمانيين اعتبارًا من القرن الخامس عشر (٣٣)، وتمّ سكّ أوّل عملةٍ فضيّة عند العثمانيين في عهد أورخان الغازي، ولم ترَ الأقجه أيّ تغيير في قيمتها منذ سكها وحتى ١٢٠ عامًا تالية، وحدث

أوّلُ تغيير في قيمة الأقجه في السّنوات الأولى لعهد الفاتح فقد انخفضتْ قيمتها من ستّة قراريط إلى خمسة قراريط، وانخفضت إلى أربعة قراريط في عهد بايزيد الثاني، أمّا في عهدي سليم الأوّل والقانوني فقد انخفضت إلى ثلاثة قراريط، وفي عهد مراد الثّالث انخفضت إلى قيراطين، أمّا في عهد محمد الثالث فقد سكّ من الدّرهم الفضي ٨ أقجات، وبينما كان يسكّ من الدرهم الفضي ١٠ أقجات في عهد محمد الرابع، تغيّر نظام سكّ العملة العثماني في عام ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م، وحلّت القروش مكان الأقجات، وتلك هي قيمة الأقجه مقابل ١٠٠ درهمٍ في شريحة زمنية تمتدّ لقرنين من الزمان:

السنة	أقجه/ ١٠٠ درهمًا	الوزن بالجرام
١٤٣١/٨٣٤	٢٦٠	١.١٨١
١٤٦٠/٨٦٤	٣٣٠	٠.٩٣١
١٤٨٠/٨٨٥	٤٠٠	٠.٧٦٨
١٥٧٢/٩٨٠	٤٥٠	٠.٦٨٢
١٥٨٤/٩٩٤	٨٠٠	٠.٣٨٤
١٦٠٠/١٠٠٩	٩٥٠	٠.٣٢٣
١٦٤١/١٠٢٧	١٠٠٠	٠.٣٠٧
١٦٨٥/١٠٩٦	١٢٥٠	٠.٢٥٦
١٦٨٨/١٠٩٩	١٧٠٠	٠.١٨٨
١٦٩٢/١١٠٢	٢٣٠٠	٠.١٣٩[٣٤]

الدّرهم:

١/٤٠٠ مـن الأوقيـة (= ٣١٤٨ جـرام) وبـالوزن الجديـد ١/١٠٠٠. إلّا أنّ الـدرهم فـي الدّولـة العثمانيّـة كـان يسـتخدم كوحـدةِ قيـاس للمعـادن القيمـة، وتـمّ تقسـيمُ الدّرهم إلى أربعة أقسام منذ عهد أورخان الغـازي، وكـان الـدرهم الشـرعي المستخدَم بكثرة يساوي ربعَ درهم، وكان يطلق على الدّرهم نصف مثقال، وعلـى ٤٠٠ درهـم أوقية، وكان يطلق على الأربعة والأربعين أوقيـة قنطـارًا، أمّـا الأربعـة قنـاطير فكـان يُطلق عليها جكي (٣٥).

الفلوري:

اسمٌ أطلـق علـى العمـلات الذّهبيـة بشـكل عـام عنـد العثمـانيين، أمّـا عنـد العـرب فالاسمُ العامّ للعملات الذهبية هو الدينار، وهـذا هـو التغييـر الـذي طـرأ علـى العمـلات الذهبية التي سكّت في عهد الفاتح:

السنة	١ ذهبية (فلوري = أقجه	١ ذهبية = قروش
١٥٨١/٩٨٩	٧٠	
١٥٨٤/٩٩٢	١٢٠	
١٥٨٨ /٩٩٦	١٢٠	١ حمل = ٩٩.٩٨٥ أقجه
١٦٠١ /١٠١٠	٢٢٠	
بتعـديل حسـن باشـا يميشجى	١٢٠	٨٠
١٦٠٤/١٠١٣	١٢٠	٨٠ قرشًا أسديًا ٧٠(٣٦)
١٦٢٤/١٠٣٣	١٢٠	٨٠ قرشًا أسديًا ٧٠ أقجه

عهد مصطفى الأول	١٥٠	
مراد الرابع	٢٥٠	
إبراهيم	١٦٠	
١٦٦٢/١٠٧٢		١٠٠ قرش أسدي
١٦٨٩/١١٠٠	٢٧٠	١٢٠
١٦٨٩ /١٠٠	٣٠٠	١٢٠

الدّوقة البندقية:

كان اسمُها الأساسي الذهبية الفلورية والنجمة، وكانت بالنسبة للأقجه في الفترة فيما بين عام ٨٣٥- ١١٥٠هـ/ ١٤٣١- ١٧٣٧م على هذا التّداول الآتي:

السنة	١ دوقة = أقجه	السنة	١ دوقة = أقجه
١٤٣١/٨٨٤	٣٥	١٦١٨ /١٠٢٧	١٢٠-١٥٠
١٤٣٦/٨٨٦	٣٦	١٦٢٤/١٠٣٣	١٢٠-٤٠٠
١٤٦٧ /٨٧٢	٤٢-٤٠	١٦٤٠/١٠٥٠	١٢٠-٢٥٠
١٤٧٥ /٨٨٠	٤٥	١٦٤٥ / ١٠٥٥	١٦٠
١٤٨١ /٨٨٦	٤٧	١٦٥٣/١٠٦٣	١٨٠
١٤٨٦ /٨٩١	٤٨	١٦٥٩ /١٠٦٩	٢٢٠
١٤٨٧ /٨٩٢	٤٩	١٦٦٠/١٠٧٠	٣٠٠
١٤٩١ /٨٩٦	٥٢	١٦٦٥/ ١٠٧٦	٢٥٠-٣٣٠
١٤٩٦ /٩٠١	٥٤	١٦٩٠/١١٠١	٤٠٠-٣٣٠

١٥٠٩/٩١٥	٥٥	١٧٠٧/ ١١١٩	٣٦٠
١٥٢٩/٩٣٥	٥٧	١٧٢١/١١٣٣	٣٧٥
١٥٤٧/٩٥٤	٦٠	١٧٢٨/ ١١٤٠	٤٠٠
١٥٨٥/٩٩٣	١١٠	١٧٣٧/١١٥٠	٤٤٠ (٣٧)
١٥٨٧/٩٩٥	١٢٠		

القرش:

اسمُ إحدى العملات التي كانت تسكّ وتُستخدم اعتبارًا من القرن السّابع عشر، وتوجد في معظم الوثائق الخاصّة بتلك الدراسة باسم القروش الأسديّة، ولأنّ قيمتها كانت تتغيّر بمرور الوقت، فليس من السهل تحديد قيمة القروش بالنسبة للأقجات والدراهم، على سبيل المثال كانت القروش المستخدمة عام ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م تزن ستة دراهم وأربعة قراريط، وكان القرش الأسدي في الغالب يساوي ٨/١ من القرش الريالي.

فالقرش الأسدي كان يساوي ٧٠ أقجه (٣٨).

البارة:

البارة هي وحدةُ النقد الأكثر استعمالًا في مصر في العهد العثماني، وكانت تمثّل ٤٠/١ من القرش، وفي نهايات القرن السادس عشر كانت البارة تساوي ٣ أقجه.

السّكة الحسنة:

الرّغم من أنّها تأتي بمعنى الأموال المسكوكة، إلّا أنّها كانت تُستخدم بكثرةٍ في دفاتر الصّرّة بمعنى العملة الذهبية.

٢- الأموالُ المرسلة كلّ عام إلى الحرمين

لقد أوضحنا قبل ذلك أنّ الدّولة العثمانيّة كان لها مخصّصات للحرمين حتّى قبل أنْ تضمّ الحجاز

لها، إلّا أنّ تلك المخصّصات كانت محدودة كما كانت لا تخرج عن المخصّصات النقدية، ولأنّ

إثبات تلك الأموال المرسَلة لم يكنْ مختلطًا بشكلٍ كبير، فمِن الممكن لنا أنْ نعطي أرقامًا قريبة من الصواب إنْ لم تكن كلّها صحيحة.

على سبيل المثال، تلك هي الأموال المرسَلة إلى مكّة والمدينة في عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م، أي في عهد السّلطان بايزيد الثّاني، طبقًا لما ورد بدفتر العطايا:

الجهة المقدّم لها	القيمة
للحجّاج	٢١.٥٠٠ أقجه
لساكني مكّة والمدينة	٣.٣٠٠ أقجه
للبدو في مكة	١٠.٤٠٠ أقجه
للسفراء الذين قدموا العطايا للحرمين	٢٥٥٠٠ أقجه
لساكني مكة	٧٣٥ ذهبية

لساكني المدينة	١٢١٠ ذهبية
لفقراء مكّة والمدينة	١٤.٤٤٢ ذهبية
للمصاريف المختلفة	٥٠٠ أقجه
المجموع	٦٥٧٠٠ أقجه و ١٧.١٩٨ ذهبية[٣٩]
المجموع العام	١٠١١.٥٩٠ أقجه

وإذا ما أضفنا ٢.٢٠٠.٠٠٠ أقجه كانت ترسل كصدقة لتوزّع على فقراء مكّة والمدينة فبذلك يكون المجموعُ الكلي ٣.٢١١.٥٩٠ أقجه [٤٠].

وقد شهدتِ المبالغ التي أرسلها السّلطان سليم للحرمين سواء من مصر أو الشّام زياداتٍ كبيرةً للغاية، وزادت هذه المبالغ إلى الضعف في عهد السّلطان بايزيد الثّاني، وتلك هي الأموال المرسَلة للحرمين في عهد السّلطان سليم:

المرسل	القيمة
ملابس وأشياء أخرى	١٠٠٠٠ قطعة
دشيشة	٧٠٠٠ أردبًّا
من مصر والأناضول	٤.١٠٠.٠٠٠ أقجه[٤١]

وتلك هي نفقات الحرمين لبعض السنوات التي استطعنا التحقق منها بعد هذا التّاريخ وميزانية الدّولة العامة:

السنة	نفقات الحرمين	الميزانية العامة	النسبة %
١٥٢٨/٩٣٤	٤.٢٨٦٤٧٥ أقجه	٢٢١.٥٨٢.٤٠٢	٢
١٥٨٩/٩٩٧	٣.٩٢٢.٣٢٠ أقجه[٤٢]		
١٥٩٠/ ٩٩٨	٤.٢٠٥.٥٣٢ أقجه[٤٣]		
١٦٣٣/١٠٤٢	٤.٢٩٤.٩٨٠ أقجه[٤٤]		
١٦٥٣/ ١٠٦٤	٧.١٤٢.٢٩٨ أقجه	٦٧٦.١٠٦.٣٨٧	١
١٦٦٠ /١٠٧١	١٠.٨٩٨.٧٧٨	٥٩٣.٦٠٤.٣٦١[٤٥]	٢
١٦٦٦/١٠٧٧	١٥.٩٦٢.٠٠٠ أقجه[٤٦]	٥٩٢.٥٢٨.٩٦٠ [٤٧]	٣

وإذا ما وضعنا تلك الأرقام نصبَ أعييننا فإنّنا سنجد أنّ الأموال المرسلة من استانبول- بخلاف ما كان يرسل من مصر- كانت تمثّل ٢ و٣ % من الميزانية العامة للدولة.

وتلك هي نفقاتُ الحرمين في ثلاثِ سنوات طبقًا لما ورد بدفاتر الصّرّة المرسَلة في الفترة فيما بين عامي ١٠٩٨- ١١٠١هـ/ ١٦٨٧- ١٦٩٠م أي في نهاية فترة عهدنا:

دفتر رقم	السنة	المكان	الأقجه	دفتر رقم	السنة	المكان	الأقجه
٣٩٢	١٠٩٨	المدينة	٧٠٢.٠٠٠	٤١٦	١١٠٠	المدينة	٨٠٠٠٠٠

٣٩٣	١٠٩٨	مكة	٤٩٨٠٠٠	٤١٧	١١٠٠	مكة	٢٧٢.٠٠٠
٣٩٨	١٠٩٨	العربان	٣.٧٢٠.٢٠٠	٤١٨	١١٠٠	المدينة	٥٤٢.٤٠٠
٤٠١	١٠٩٩	المدينة	٨٥٣.٩١٧	٤١٩	١١٠٠	مكة	٦٩٨٣٨٧
٤١١	١١٠٠	مكة	٦.٨٨٨.٨٠٠	٤٢٠	١١٠١	المدينة	١٢٨.٠٠٠
٤١٣	١١٠٠	المدينة	٥٦٥.٢٠٠	٤٢١	١١٠١	مكة	٦٨٠٠٠
٤١٤	١١٠٠	مكة	٥٦٤.٠٠٠	٤٢٢	١١٠١	المدينة	١٨٦٤٦٠٠٠
٤١٥	١١٠٠	مكة	٥٣٣.٢٠٠				

المجموع: ٣٥.٧٨٠١٠٤ أقجه.

ثالثا : أوقافُ الحرمين طبقًا لمؤسّسيها

اتّخذت الدّولة العثمانيّة رعاية الأخلاق والحقوق الإسلامية هدفًا أساسيًّا لها منذ اليوم الأوّل لتأسيسها، لذا قامت بكلّ أنواع التّضحيات لتجعل المسلمين التّابعين لها والرعايا الآخرين الذين يعيشون تحت حكمها يعيشون في راحة واطمئنان، وأسّست نظامًا متكاملًا لهذا الشأن.

وأثمرتْ هذه التّطبيقات والمفاهيم التي قاموا بها ثمارها في وقت قصير، فقد وصلت المجتمعاتُ التي تعيش في الأماكن التي فتحت للدّولة العثمانيّة وعلى رأسِها النّصارى الأرثوذكس؛ إلى ذروة الطمأنينة، واستمرّ هذا الوضع لعدّة عصور.

فقد كانت الدّولة العثمانيّة دولةً تعرض إدارةً عادلة بفضل النظام القانوني والأخلاقي الذي أعدّه الإسلام لرعاياه، وكانت الدّولة العثمانيّة لا تتصوّر أنّها لا تقدّم خدمات لتلك البقعة المقدسة التي كانت منشأ الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- ومهبط القرآن، والمكان الذي يتجمّع فيه آلاف المسلمين كلّ عام لأداء فريضة الحجّ، وزاد اهتمامهم وتعلّقهم بالحرمين أضعافًا مضاعفة منذ عهد السّلطان يلدريم بايزيد.

وكما أنّه لم تكنْ للدّولة العثمانيّة أيّة علاقات سياسية مع الحرمين حتّى عهد السّلطان سليم الأوّل، فيمكن القول بشكلٍ أكثر راحة- أيضًا- أنه لم تكن مثل تلك الأفكار موجودةً لدى السّلطان يلدريم بايزيد ومحمد جلبي ومراد الثاني، وبالرغم من هذا خصّصت الأوقاف الكثير للحرمين على يد السّلاطين والعائلات الكبرى منذ عهد السّلطان محمد جلبي.

وهذا تصنيفٌ للأوقاف المختلفة طبقًا لمؤسّسيها:

المؤسّسون	العدد	النسبة المئوية
السّلاطين	٢٩	١٥
والدات السّلاطين	١٤	٧
زوجات السّلاطين	١١	٥
الوزراء والباشوات	٣٩	٢٠
أغوات دار السّعادة	١٠	٥
أغوات آخرون	٣٣	١٧
الأمراء	٦	٣

المعماريّون	١	٠.٥
الجاوشية	٢	١
الكتخدا	٢	١
رؤساء الأطباء	١	٠.٥
البوّابون	٢	١
الأئمّة	١	٠.٥
السيّدات	٢٧	١٤
مؤسّسون آخرون	٣٥	١٨
المجموع	١٩١	%١٠٠

وأهمّ ما يلفت الانتباه من تلك الخدمات التي تمّت لأهالي الحرمين أو من مصادر الدّخل؛ هي تلك الأوقاف التي أسّسها السّلاطين، وطبقًا للمعلومات المتوفّرة في أيدينا فإنّ أوّلَ صرّة أرسلت للحرمين في العهد العثماني كانت في عهد يلدريم بايزيد (٧٩١-٨٠٤هـ/ ١٣٨٩- ١٤٠٢ م) [٤٨]، إلّا أنه لا توجد أي معلومات في المصادر عن تأسيس يلدريم بايزيد لوقف للحرمين .

لذا يمكن القول بأنّ السّلطان محمد جلبي هو أوّلُ سلطان عثماني يؤسّس وقْفًا للحرمين استنادًا لما ذكره عاشق باشا زادة[٤٩]، ثمّ أسّس السّلاطين الذين أعقبوه الأوقاف للبلدان المقدسة، ورغم أنّ عدد الأوقاف التي أسّسها السّلاطين العثمانيون يبدو قليلًا، إلّا أنهم قدّموا خدمات أكثر بكثير من الآخرين سواء من حيث الخدمات التي قدّموها أو من حيث مصادر الدّخل، حتّى أنه في حالة عدم كفاية مخصّصات الأوقاف للأعمال التي يلزم عملها، كانوا ينفقون من مالهم الشّخصي على الفور،

والنتيجة أنّ السّلاطين العثمانيين ارتقوا ذروة الهرم في مجال أوقاف الحرمين مثلما كان هذا حالَهم في الشئون الأخرى.

والنّساء في التّاريخ التّركي الإسلامي كان لهنّ من الآثار ما يُعدّ من العناصر الهامّة للحضارة، فكنّ عاملًا مساعدًا في تأمين التوازن الاجتماعي في المجتمع، وإلى جانب العديدِ من خدماتهنّ التي قمْنَ بها في مجال خدمات الحرمين، بذلنَ جهدًا كبيرًا آخرَ في تكامل مجموعة من الأعمال التي كانت موجودةً من قبلهم، وأوقفت الكثيرُ من النساء في العصر العثماني- وعلى رأسهم نساء القصر- ما في أيديهنّ من أملاك وأموال، وما خصّص للحرمين من تلك الأوقاف كان له أهميةٌ كبيرة.

وأوّل مَن أسّست وقفًا للحرمين من نساء العثمانيّين هي شهزاده خاتون ابنة مراد الثاني[٥٠]، فقد أوقفت لفقراء المدينة المنورة دخلَ إحدى القرى التابعة ليني شهر ببورصة [٥١].

ثمّ أعقبها العديدُ من النساء وعلى رأسهنّ والدات[٥٢] وزوجات السلاطين[٥٣].

ولقربِ والدات وزوجات السّلاطين منهم فقد حقّقوا ثروات طائلة من الأملاك المنقولة وغير المنقولة التي مُلّكت لهنّ، إلى جانب نفوذهنّ السياسي في القصر، ولكنهنّ لم يحقّقنَ تلك الثروة لمنفعةٍ دنيوية، بل استخدمنَها ابتغاء مرضاة الله عن طريق الأوقاف، وتشكّل الأوقاف التي أسّستها زوجات ووالدات السلاطين العثمانيّين جزءًا هامًّا من الخدمات التي قُدّمت للحرمين، فبفضل تلك الأوقاف التي أسّستها هؤلاء النّساء تحقّق من الأعمال ما لم تتمكّن الدّولة من تحقيقه، على سبيل المثال الأوقاف التي أسّستها كوسم والده سلطان وطورخان والده سلطان أدّت وظائفَ هامّة للغاية كتأمين احتياجات الحجّاج من المياه في طريق الحج، وشراء الإبل والملابس لغير القادرين، وتأمين الطعام للفقراء، أمّا مهرماة سلطان فقد كانت تبدو وكأنّها

تتسابق مع والدها السّلطان القانوني وزوجها رستم باشا في تأسيس الأوقاف وتقديم الخدمات للحرمين، ولم تقتصرْ علاقة مهرماة سلطان بالحرمين على الأوقاف فقط بل أدّت من مالها الخاصّ الأموال الذهبية الكثيرة لترمّم عين زبيدة.

وبخلاف والدات وزوجات السّلاطين كان يوجد نوعٌ آخر من النساء أسّس الأوقاف للحرمين، ويبلغ عددهنّ ٢٧ سيدة من زوجات الوزراء وأمراء السناجق، والنّتيجة أنّ النساء كان لهنّ ٥٢ وقفًا من جملة أوقاف الحرمين البالغ عددها ١٩١ وقفًا، أي أنهنّ أسّسن ٢٧ % منها، ويعطينا هذا الرقم خطوطًا عريضة عن الحياة الاجتماعية والمادية للنّساء في العصر العثماني.

هذا بالإضافة إلى الأوقاف التي أسّسها الباشاوات الذين خدموا الدّولة العثمانيّة في كلّ المجالات المختلفة، ومن بين تلك الأوقاف ذلك الوقف الذي أسّسه سميز علي باشا خصّيصًا لتجهيز جنائز مَن يتوفّون في مكّة والمدينة، وهو وقفٌ يلفت الانتباه باعتبار ماهيّته، وعلى حسب أهمية المقام الذي كان يشغله هؤلاء الباشاوات كانت درجة ثرائهم، على سبيل المثال، سنان باشا فاتح اليمن حقّق ثروةً طائلة في الفترة التي حقّق فيها نجاحًا إداريًّا كبيرًا، وبلغت ثروته ٦٠٠.٠٠٠ دوقة ذهبية [٥٤].

أمّا الأشخاص الذين كانوا يديرون شئون قصر طوب قابي الذي كان بمثابة مركزَ الدّولة العثمانيّة الإداري والسياسي فكان يطلق عليهم أغوات القصر، أمّا الأغا الذي كان يعرف بأغا دار السّعادة فكان مسئولًا عن نظارة كلّ الأوقاف التي أسّسها السّلاطين والوزراء وغيرهم في الدّولة العثمانيّة وعلى رأسها أوقاف الحرمين، والأغوات الذين يرتقون هذا المنصب يرتقون إليه عادة من الدوشيرمة، وكانوا أصحابَ إمكانيات كبيرة للغاية من النّاحية المالية باعتبار المنصب الذي يشغلوه، على أيّ حال أسّس كلّ أغوات القصر العثماني الأوقاف المنفردة أو المتعددة، على سبيل

المثال يوجد لبشير أغا الذي كان أغًا لدار السّعادة في القرن الثامن عشر أكثرَ من مئة وقفٍ أسّسها للأغراض المختلفة (٥٥).

ويلاحَظ في الجدول السّابق أنّ العديد من الأشخاص الذين عملوا في الدّرجات المختلفة للدّولة العثمانيّة أسّسوا الأوقاف للحرمين، فقد أسست الأوقاف للحرمين طبقًا للإمكانيات الإدارية للأشخاص الذين أسّسوا تلك الأوقاف بدءًا من المعمار سنان وحتّى الإمام مصلح الدين إمام جامع السليمانية، ومن أوّل حمزة بك الشّراب دار أمير السنجق وحتى آخي جلبي قاضي المحكمة.

وبخلاف هؤلاء الأشخاص الإداريّين كانت هناك- أيضًا- أوقاف لأشخاص ليسوا موظّفين إداريّين ولكنّهم أصحاب إمكانيات مالية، من ذلك أنّ أحد وجهاء مرعش- ويدعَى بايزيد ابن اسكندر- أوقف ٥ فلوري للفقراء الذين يعيشون في المدينة، ولنظافة المسجد النبوي (٥٦).

وكما يُرى فإنّ أشخاصًا كثيرين من أفراد المجتمع العثماني أسّسوا الأوقاف للحرمين أكثرَ بكثير من المجتمعات الأخرى، وهذا يثبت لنا أنّ خدمات الحرمين ليست أمرًا قاصرًا على الدّولة فقط، بل إنّها أمر اشترك فيه كلّ أفراد المجتمع، وإذا ما وضعنا نصبَ أعيننا تلك الأوقاف التي أوقفها آلافٌ من الواقفين الذين اشترطوا في وقفهم أنْ يكون لأبنائهم مِن بعدهم ثمّ للمدينة من بعدهم، فستظهر لنا الوجهة الحقيقة للموضوع، إلّا أنّه لمعرفة هذا الأمر جيدًا يجب التّدقيق في كلّ الدّفاتر الشّرعية لكلّ القضاة، وهذا أمرٌ خارج عن الإرادة في الوقت الحالي.

وقد اشترط بعضُ الواقفين أوقافهم لخدمة الحرمين فقط، أمّا بعضهم فقد اشترطها لبعض الخدمات الأخرى بجانب خدمات الحرمين، فقد اشترطت مهرماة سلطان في أوقافها سبعةَ أوجه: تخصيص الأموال للموظفين في الحرمين وخليل

الرحمن، تأدية الحجّ بالنيابة، الإحسان على أشراف مكّة والمدينة، قراءة القرآن على روح رسول الله في المدينة، توزيع الأموال المتحصّلة من قرية تاتار بازاري على فقراء الحرمين والمدينة، وترميم عين زبيدة، أمّا السّلطان القانوني فقد اشترط أربعة أوجهٍ لأوقافه، واشترطت نوربانو سلطان ستة أوجهٍ مختلفة لتصرف فيها أوقافها.

ولا شكّ في أنّ كلّ الخدمات والأوقاف التي تمّت للحرمين كان أساسها تعاليمَ القرآن وحبَّ النبي صلى الله عليه وسلم.

القسْمُ الخامس

إدارةُ أوقاف الحرمين

أولا : تأسيسُ نظارة الأوقاف الهمايونية

كان متولّي الوقفِ هو المسئولَ عن إدارة الوقف بما يتّفق مع الشروط الواردة به، أمّا ناظرُ الوقف فكان المسئولَ عن الإجراء الفعلي لتلك الشروط، إلّا أنّه وبعد ازديادِ أعداد الوقف واتّساع المجالات التي يخدم فيها؛ تمّ تأسيس مؤسّسة أطلق عليها "نظارة الوقف" كانت مهمّتُها إدارةَ الكثير من الأوقاف التي تأسّست منذ عهد الخلفاء الراشدين مع المحافظة على الشّروط التي اشترطها الواقفون.

وقد تأسّست أوّلُ نظارة للأوقاف في العالم الإسلامي بتعيين الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- سيدَنا أبا بكر على إدارة أراضي (فدك) التي أوقفها النبي صلى الله عليه وسلم، أمّا سيدنا عمر فقد عمل ناظرًا على الأوقاف التي أسّسها بنفسه [١].

وقد تأسّست نظارةٌ للأوقاف في العهد الأموي لإدارة الأوقاف التابعة للجامع الأموي بالشّام، وكان أولُ ناظرٍ لها هو واقد القرشي [٢].

وفي العهد السلجوقي كان قضاةُ العسكر هم الذين يتولّون مهمّة نظارة الأوقاف[٣].

أمّا أوّل إدارة للأوقاف في الدّولة العثمانيّة فقد تأسّست في عهد أورخان الغازي عام ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م ذلك العام الذي شهد وضعَ أساس العديد من المؤسّسات في إدارة الدّولة العثمانية[٤].

وترك يلدريم بايزيد نظارةَ الأوقاف لمفتّشي الأحكام الشرعية، وجعل النظارة بذلك وكأنّها محلية[٥]، أمّا السّلطان محمد جلبي فقد منح نظارة الأوقاف لمولانا جمال الدين محمد أفندي[٦].

أمّا السّلطان الفاتح فقد كلّف الوزراء العظام بإدارة الأوقاف الموجودة في استانبول، وذلك عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م، فعيّن محمود باشا أولًا في هذه المهمّة، ثمّ أعقبه إسحاق باشا، وفي عام ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م تمّ التوحيد بين كلّ إدارات الأوقاف تحت اسم نظارة الصّدر العالي، وعُيّن رئيسًا للكتاب ليكون على رأس تلك النظارة[٧].

أمّا السّلطان بايزيد الثاني فقد منح إدارة الأوقاف أولًا لمشايخ الإسلام[٨]، ولكنّه في السنوات التالية لذلك عين أغوات دار السّعادة وقضاة استانبول على إدارة الأوقاف التي أسّسها السّلاطين ورجال القصر[٩]، ويعدّ هذا التطبيق الذي بدأه السّلطان بايزيد الثاني بمثابة نقطة التحوّل للعبور إلى نظام محدّد في إدارة الأوقاف[١٠].

وبعد أنْ ضمّ السّلطان سليم الحجاز للدّولة العثمانيّة منح أغوات دار السّعادة نظارةَ آلاف الأوقاف

التي تأسّست في الأراضي العثمانية[١١]، ولكنه عهد بإدارة الأوقاف التي أسّسها بنفسه لنظارة أوقاف

الصّدر العالي التي تأسّست قبل ذلك[١٢].

أمّا خاصكي خورم سلطان فقد أسّست "نظارة أغوية الباب" عندما كلفت محمّد أغا الخادم- أغا الباب- بنظارة أوقافها التي أسّستها في استانبول[١٣].

واعتبارًا من النّصف الثّاني للقرن السادس عشر أصبحت الدّولة العثمانيّة أكبرَ دولةٍ في العالم من حيث النواحي الجغرافية والسياسية والإدارية، وعمّ الثراء أرجاءَ

الدولة، واتّخذ سلاطينُها وإداريوها وأصحابُ الإمكانيات من الأهالي طريق الأوقاف ليكون سبيلًا لهم للتصدّق.

وزادتِ الأوقاف التي تأسّست زيادة كبيرة، وأصبحت مسألة تنظيم شئونها مسألةً صعبة لأنّ تنظيم الحديث منها كان يؤثّر بالسّلب على القديم، ويمكن لنا تقسيم الأوقاف التي تأسّست في أرجاء الدّولة العثمانيّة إلى قسمين:

الأوقاف التي كانت تهدفُ لتحقيق خدمة للمنطقة المؤسّس فيها الوقف تبعًا للشّروط الواردة به، وهذه الأوقاف كان يمكن للإداريّين المحليين ومتولّي الأوقاف إدارتها.

أمّا القسمُ الثّاني منها فهي الأوقاف التي كان يجب إدارتها من قِبَل مركز الدّولة بمقتضى مصادر دخْلها وشروطها، ويرجع ذلك إلى أنّ مصادر دخل تلك الأوقاف كانت تقع في أماكن متفرقة، والأماكن التي سيصرف بها هذا الدخل كانت أماكن مختلفة عن تلك الأماكن الموجود بها مصادر الدخل، لذا كان يجب إدارة تلك الأوقاف من قبل مركز الدولة، وتقع معظم أوقاف الحرمين ضمن هذا النّوع من الأوقاف.

لذا أصدرت الدّولة العثمانيّة حكمًا في ٢/ رجب/ ٩٩٦هـ/ ٢٨/ ٥/ ١٥٨٨م لكلّ أمرائها وقضاتِها ودفتردارها في مصر وحلب والشام وبغداد والبصرة والموصل والرّقة وشهرزور والبوسنة والإحساء واليمن، وكلّ إيالات الأناضول والروملّي بأنّها عيّنت محمد أغا- أغا دار السّعادة- ناظرًا على كلّ أوقاف الحرمين الشريفين الموجودة في كلّ أراضي الدّولة العثمانيّة [١٤].

وفي ٤/ رجب / ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨/٥/٣٠م أرسل حكمٌ لمحمد أغا الذي عُهد إليه بنظارة أوقاف الحرمين الشريفين في كلّ أرجاء الدّولة العثمانية، حُددت فيه الأوقاف

التابعة لنظارته، والأسس المتعلقة بإدارة تلك الأوقاف، وطبقًا لهذا فقد عُهد لمحمد أغا بنظارة أوقاف الدّشيشة والغورية والخاصكية وأوقاف السلاطين وزوجاتهم ووالداتهم ورجال القصر والوزراء إلى جانب نظارته لأوقاف الحرمين الشريفين في كلّ أراضي الدولة، ونظرًا لأهمية هذا الحكم فقد أوردناه هنا لأهميته:

"عندما يصل توقيعي الرّفيع الهمايوني إلى افتخار الخواصّ والمقرّبين مختار أصحاب العزّ والتّمكين معتمد الملوك والسّلاطين أنيس الخفية العلية المختصّ بمزيدِ عناية الملك العلّام أغا دار سعادتي دام علوّه ليعلم أنّه قد أرسل فقراء الحرمين الشّريفين رسالة إلى الرّكاب الهمايوني يخبرونا فيها بأنّ المسئولين عن كافّة أوقاف الحرمين الشريفين وكافّة أوقاف الدشيشة والخاصكية والسنجق والغورية والسّلاطين والأمراء نهبوا تلك الأوقاف بما يتّفق مع مصالحهم، ولم يقوموا بتوزيعها على مستحقّيها بمقتضى شروط تلك الأوقاف، وبذلك لم تصلْ تلك الأوقاف إلى أصحابها، لذا حدث عندنا تخوّف من هذا الأمر.

وعندما علمنا أنّه يجب فيمَن يتولّى شئون كافة الحرمين أنْ يكون شخصًا متديّنًا ومستقيمًا، فقد عيّناك ناظرًا على كلّ أوقاف الحرمين وأوقاف الدشيشة والخاصكية والغورية والسنجق وأوقاف الأمراء والسّلاطين كافّة عامّة؛ لما رأيناه فيك من حُسن الخلق والكمال والاستقامة والتّدين وحسن التدبير، وقد أصدرنا أمرنا الشّريف المقرون بالخطّ الهمايوني بذلك.

وأمرْنَا بالآتي، عندما يصلُكم فرماني هذا لتعملوا بما ورد فيه، وستكون ناظرًا على كلّ أوقاف الحرمين وأوقاف الدشيشة والخاصكية والعلم والسنجق والغورية وأوقاف الأمراء وكلّ الأوقاف المشروطة للحرمين، وعليكم إزالة كلّ ما هو مشكوك ومشتبَه فيه، وستكون كلّ المصروفات الواقعة قليلة كانت أو كثيرة تحتَ مسئوليتكم

وبمعرفتكم، وسيكون لكم الحقّ في عزل أو تعْيين ما ترونَه مناسبًا من الموظفين الذين يعملون بتلك الأوقاف من متولّين وكتّاب وجابين، ولكم الحقّ- أيضًا- في معرفة ما صرفَه المتولّون أثناء ولايتهم للأوقاف، وفي أيّة جهة صرفوه، وما هو مقدار الأموال الموجودة، وما مقدار الأراضي والمقطعات الموجودة، ولكم الحقّ في طلب دفاتر المتولّين ودراستها، ومعرفة حسابات المتوفّين، ويكون ذلك بمساعدة أهل العلم والخبرة، ولكم أنْ تعرفوا عددَ المنازل والحوانيت الموقوفة والموجودة في كلّ مكان، ومَن أوقفها، وعليكم- أيضًا- استئجار الحوانيت والمنازل بالسّعر الرائج للإيجار مقابل قيمةٍ قليلة أو كثيرة بعد التحقّق من شروط وقف تلك المنازل أو الحوانيت.

وعليكم تعقّب ذلك وإحياء تلك الأوقاف المذكورة، وأن تتسلّموا من المتولين الأموالَ المتحصّلة من تلك الإيجارات، وعليكم حفظ الزّوائد من أوقاف السلاطين، كما عليكم حفظُ الزّوائد واللواحق من أوقاف الحرمين الشريفين وإرسالها لفقراء الحرمين الشريفين، كما عليكم حماية فقراء تلك الأوقاف، وعليكم أنْ لا تهملوا في أيّ مادّة تعلق بأحوال أوقاف الحرمين، ولتعلم هذا، ولتعتمد العلامة الشريفة.

تحريرًا في اليوم الرابع من شهر رجب المرجب سنة ٩٩٦هـ/ ٣٠/ مايو/ ١٥٨٨م" [١٥].

والوثيقةُ السابقة تعطينا معلوماتٍ عن تأسيس نظارة أوقاف الحرمين، وكذا معلومات عن شكل إدارتها، وقد ورد في الوثيقة- أيضًا- أنّ الفقراء الذين هم أصحاب الحقّ في الحصول على دخل تلك الأوقاف لم يستطيعوا أخذَ حقّهم منها نتيجة لسوء تصرّف موظّفي الأوقاف والتّشتت الموجود في إدارة الأوقاف.

وأصبح هؤلاء الفقراء في حالةٍ من الاحتياج والعوز، وتقدّموا بعريضة للسّلطان يخبروه فيها بأنّهم وقع عليهم الضّرر من جرّاء هذا، ويطلبون منه أنْ يزيل هذه الأزمةَ عنهم، وقد أخذ السّلطان شكواهم محمَلَ الاهتمام، وبعْدَ عمل التّحقيقات اللازمة ثبتَ له حدوث بعض الانحرافات المتعلّقة بتوزيع دخل أوقاف الحرمين، فعيّن محمد أغا- أغا دار السّعادة- ناظرًا على كلّ أوقاف الحرمين الشّريفين نظرًا لنجاحه في إدارة بعض الأوقاف قبل ذلك.

ويمكن عدّ شروط تلك الوظيفة فيما يلي:

١- تنظيم شئون واردات ومصروفات الأوقاف.

٢- تسجيل كلّ المحاصيل والأموال المتحصلة من تلك الأوقاف قليلة كانت أو كثيرة، وعدم إغفال أيّ منها حتّى ولو كان ضئيلًا للغاية.

٣- له الحقّ في تعيين وعزل المتولّين والكتّاب والجابين للأوقاف التابعة لنظارته.

٤- يتمّ عمل حسابات لكلّ الأوقاف وتسجل بها كافة المصروفات والواردات، وإثبات مصادر دخل الأوقاف بتلك الدفاتر.

٥- إثبات إخلاء الرعايا الموجودين في أراضي الأوقاف لأي سببٍ كان كالموت أو الهجرة.

٦- إثبات شروط الأوقاف، وإدارتها طبقًا لتلك الشروط، ومراقبة عدم إدارتها بمقتضى شروطها أم لا.

٧- إيجار المنازل والحوانيت بالسعر المتداول للإيجار بعد التأكد من شرط وقف المنزل أو الحانوت.

٨- رعاية وصيانة مصادر دخل وآثار الأوقاف.

٩- بعد جمع الدخل وإخراج المصروفات، يرسل المبلغ المتبقي للحرمين قليلًا كان أو كثيرًا دون نقص.

وطبقًا للوثيقة الواردة سابقًا فإنّ نظارة أوقاف الحرمين تأسّست عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م، أمّا الوثيقة المؤرّخة بتاريخ ٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م فتوضح كيفية توزيع أوقاف الحرمين، وتذكر تلك الوثيقة أنّ محمد أغا كان ناظرًا لأوقاف الحرمين في ذلك الوقت[١٦]، أمّا الفرمان الوارد بدفتر حسابات أوقاف الحرمين في الفترة فيما بين ٩٩٧- ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩- ١٥٩٠م والمذكور فيه دخل الأوقاف الموجودة في قصبة إسماعيل كجيد [١٧]؛ فيوضّح أنّ تاريخ تأسيس النظارة كان عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م[١٨].

ثانيا : إدارةُ نظارة الأوقاف وبنيتها

كان أغوات دار السّعادة وباب السعادة يديرون قسمًا من الأوقاف المخصّصة للحرمين قبل تأسيس نظارة أوقاف الحرمين[١٩].

وقد قسّمت الإدارة في نظارة أوقاف الحرمين إلى أربعة أقسام لضمان العمل بها بشكل أكثر دقّة وايجابية:

حساباتُ أوقاف الحرمين

ومهمّتها تسجيل حسابات الأوقاف التابعة لأغوات دار السّعادة، وتسجيل الأماكن الموجود بها الأوقاف [٢٠].

تفتيشُ أوقاف الحرمين

وكانت هذه الإدارةُ مسئولةً عن مراقبة أوقاف الحرمين وأوقاف السلاطين والوزراء، ومصادر دخل تلك الأوقاف، والحفاظ عليها، وإدارتها بما يتفق مع

الأحكام الإسلامية، وكان أحمد أفندي الأماسيوي- وهو من كبار مدرسي تلك الفترة- هو أوّلَ مفتش لتلك الإدارة، وقد تأسّست إدارة تفتيش الأوقاف قبل تأسيس نظارة أوقاف الحرمين بسنة ونصف تقريبًا (محرم/ ٩٩٥هـ/ ١٢/ ١٥٨٦ م) (٢١).

مقطّعات الحرمين

وكانت مهمّة تلك الإدارة تسجيلَ ورادات ومصروفات الأوقاف، وتأمين انتقال أموال الأوقاف، وسقوطها عن الملكية، كما كانت مسئولة عن توزيع وحساب دخل الأوقاف (٢٢).

إدارةُ الكتابة في دار السّعادة

ومهمّتها كتابة الشّئون المتعلّقة بأغوات دار السعادة، وكان الأشخاص الموظّفون في تلك الإدارة على علم بكلّ الشئون الإدارية للأغوات (٢٣).

وإلى جانب المسئولية التي كانت مُلقاة على عاتق أغوات دار السّعادة وأغوات الحريم في قصر طوب قابي، كانوا- أيضًا- رؤساء على الموظفين العاملين في أوقاف الحرمين وأوقاف السّلاطين والوزراء وزوجات السلاطين، وبعد تأسيس نظارة أوقاف الحرمين كانت أهمّ وظيفة يضطلعون بها هي تأمين نظام وإدارة شئون تلك النظارة (٢٤).

وكان دخلُ أوقاف الحرمين يجمَع في مكان يطلق عليه "الدائرة الخاصة "بقصر طوب قابي، ويوجد

بتلك الدائرة مسئول حسابات وكاتب ووزّان لإجراء الشئون الإدارية اللازمة بها (٢٥).

وكان أغواتُ دار السّعادة يجمعون دخل أوقاف الحرمين والأوقاف الأخرى التي تحت نظارتهم في استانبول وسائر الولايات سنويًّا بواسطة موظّفيهم، وطبقًا للشّروط الواردة بالوقفيات، فكانوا يتّخذون شروط الوقفية أساسًا لهم في جمع الدّخل، وبعد أنْ يصنّفوا هذا الدخل يقسّموه ليرسلوه مع الصّرّة إلى مكّة والمدينة والقدس إذا كان هناك مخصّصات لها.

أمّا المبلغ المتبقّي فيحفظ في مخازن الحرمين بالدائرة الخاصة، وبعد هذا الإجراء يقوم المحاسبون بإعداد الدّفاتر السنوية للأوقاف، حيث يسجلون كلّ المَصروفات والواردات والأموال المتبقية، ويقدّمون تلك الدّفاتر للسلطان[٢٦]، فيطلع السّلطان على الدفتر المقدَّم له ويكتب فيه بخطّ يده عبارة "يتخذ فيها اللازم، وتدوّن في إدارات نظارة الأوقاف"، ثمّ تعاد مرّة أخرى، فيقوم الناظر بعمل الإجراءات اللازمة، ويحتفظ بالخطّ الهمايوني كسندٍ قانوني على الدفتر.

والصّرف من خزينة الحرمين مرتبطٌ بإذن السّلطان بشكل مطلق، ويرتب أغواتُ دار السّعادة ديوانًا يوم الأربعاء من كلّ أسبوع يشترك فيه محاسب أوقاف الحرمين، والمقطّع ورئيس الكتاب، وكاتب دار السعادة، وسائر الموظفين الآخرين للنظر في شئون النظارة والأوقاف، ويتمّ في هذا الديوان كلّ الشئون الخاصة بالأوقاف من إحالات لمقطعات أوقاف الحرمين، وشئون المحلولات والانتقال والفراغ، وعرائض المتولين، وحركة التعيينات والعزل الخاصة بمساجد السّلاطين[٢٧].

ومن ذلك قرار أغا دار السّعادة يوسف أغا عام ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م باستمرار متولّي أوقاف الحرمين في حلب ويدْعَى محمد في وظيفته لما رؤى من حسن إدارته، وبالتالي سيكون استمراره أنفع[٢٨].

وفي حالة عدم وجود أموال في الخزينة الداخلية في السنوات التي تتأزم فيها الخزينة الخارجية؛ كان يؤخذ قرض من خزينة أوقاف الحرمين ويمنح للمالية [٢٩].

وكان يوجد بالسناجق التي بها أوقاف للحرمين متولٍّ خاصّ لتلك الأوقاف، يقوم بجمع دخل الأوقاف التابعة له بمساعدة الأمراء المحليين، ويرسله إلى الخزينة [٣٠].

ولأنّ إدارة أوقاف الحرمين كانت تسير بشكلٍ جيد بمرور الوقت، ألحقت بها بعضُ الأوقاف التي كان بها قصور في إدارتها، ففي رمضان من عام ١٠٠٦هـ/ ٤/ ١٥٩٨م لوحظَ بعض جوانب التقصير في إدارة بعض الأوقاف وكذا أوقاف جوامع السّلاطين.

فقامتِ الدّولة بربط أوقافِ تلك الجوامع، وعلى رأسها جامعي آيا صوفيا وجامع شهزادة، وبعض أوقاف السّلاطين؛ بعثمان أغا أغا دار السّعادة وناظر أوقاف الحرمين في ذلك الوقت[٣١]، ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن نظارة أوقاف الحرمين الشريفين لم تكنْ لإدارة الأوقاف المؤسّسة لخدمة الحرمين الشريفين فقط، بل كانت- أيضًا- تدير بعض الأوقاف الأخرى التي لم تكن تهدف لخدمة الحرمين، كما أنّ الوثائق الموجودة بالأرشيف لم تكن خاصّة بالأوقاف المتعلقة بخدمة الحرمين فقط، فتوجد بينها وثائق تتحدّث عن إدارة بعض الأوقاف الأخرى التي لم تكن تتعلّق بالحرمين، على سبيل المثال توجد ١٠ وقْفيّات في دفتر نظارة أوقاف الحرمين

الشريفين تواريخها ١٠٢٦-١٠٢٧هـ/ ١٦١٧- ١٦١٨م، لم تكن أوقاف مؤسّسة لخدمة الحرمين الشريفين[٣٢]، أمّا الدفتر المؤرخ بتاريخ ١٠٢٣- ١٠٣٠هـ/ ١٦١٤- ١٦٢١م فتوجد به معلومات عن تسجيلات ووظائف الخدم في الأوقاف الخاصّة بنساء القصر[٣٣]، وبالرغم من أنّ تلك الأوقاف المذكورة كانت تابعةً لنظارة أوقاف الحرمين الشريفين إلّا أنها لم تكن لخدمة مكّة أو المدينة، وفي دفتر التحرير المؤرّخ بتاريخ ١٠٣١هـ ١٦٢٢م ذكر توزيع وظائف ١٦٨ وقفًا، سبعة منها فقط كانت خاصّة بالحرمين[٣٤]، أمّا الأوقاف المسجلة في الدفتر الذي ذكرَ به مستغلّات أوقاف الحرمين في الفترة ١٠٤٠- ١٢٤٢هـ/ ١٦٣٠- ١٨٢٦م فكلّها مخصّصة للحرمين.ذذ[٣٥]

ثالثا : حساباتُ أوقاف الحرمين

كانت شئونُ حسابات أوقاف الحرمين تتمّ في إدارة حسابات الحرمين التي كانت شعبةً من شعب نظارة أوقاف الحرمين، وتوجد تسجيلات في دفاتر حسابات أوقاف الحرمين الموجودة بالأرشيف العثماني عن الأوقاف التابعة لهذا القلم، وحسابات المقطعات، وحسابات عن الهدايا التي كانت ترسَل لمكّة والمدينة، وكانت الحساباتُ السنوية لكلّ الأوقاف تسجّل في دفترين، يعطى أحدُهم لرئيس المحاسبين، والثاني يظلّ في قلم الحسابات.

وتلك هي الأوقاف التي كانت حساباتها تابعةً لإدارة حسابات أوقاف الحرمين:

أوقاف السّلاطين ووالداتهم وزوجاتهم وأبنائهم.

أوقاف الوزراء والباشوات.

أوقاف أغوات دار السّعادة وبقية الأغوات الآخرين.

الأوقاف المخصّص كلّ دخلها لمكة والمدينة.

أوقاف الأولياء.

أوقاف مصر.

الأوقاف التي كان يخصّصها بعض الأشخاص للمدينة المنورة.

الأوقاف التي يؤسّسها الصّدور العظام وشيوخ الإسلام.

وكانت إدارةُ حسابات أوقاف الحرمين تنظر في شئون الأوقاف المذكورة سابقًا من تأجيرٍ للعقارات غير المنقولة التابعة لتلك الأوقاف، أو أي توجيه آخر خاصّ بها. وتوجد معلومات مفصّلة عن الواردات والمصروفات الخاصة بالأوقاف الموجودة في إيالات استانبول وأدرنة وبورصة والروملّي والأناضول، وقرمان والروم ومرعش وديار بكر، وبغداد وقبرص وتوابعهم في الفترة فيما بين أعوام ٩٩٧- ٩٩٨هـ/ ١٥٨٨-١٥٨٩م في أحد دفاتر هذا القلم، وتعطي العرائض والفرمانات الموجودة في بداية تلك الدّفاتر معلومات هامّة وقيّمة عن الأوقاف وتطبيقاتها وإجراءاتها [٣٦].

أمّا نهاية تلك الدّفاتر فتوجد بها معلوماتٌ عن دخل مصروفات تلك الأوقاف والمخصّصات التي كانت ترسَل للحرمين، وتلك هي الحصصُ الواردة في نهاية الدّفتر المارّ الذكر:

بلغ مجموع الواردات المتحصّلة قبل إخراج المصروفات ٤٢ حملًا، تساوي ٦.١٤٢ أقجة، ما يعادل ٣٥.٠٥١ سكة فلورية و٢٢ أقجة نقدية.

وتلك هي المصروفاتُ الضرورية المنفقة من المبلغ المذكور:

لعبيد الباب الذين حصّلوا المال	٥١.٧٣٦ أقجة
مصروفات ضرورية	٨٠.١٧٨ اقجة

بدل إخراجات	٨٨٢٢٠ أقجة
المجموع	٢٢٠١٣٠ أقجة

أمّا المبلغ المتبقي بعد إخراج تلك المصروفات وهو ٣٣.٢١٦ فلورية و٨ أقجات، فقد وزّع على مكّة والمدينة والقدس طبقًا لنظام التوزيع الموجود في الدّفاتر القديمة على ما يلي:

لفقراء مكة	٢٣٢.٤٧٠ أقجة
لفقراء المدينة	١٣.٩٠٨ فلوري و ٥٣ أقجة
لفقراء القدس	٨٦.٥٧٥ أقجة
المجموع	١.٠١٤.٩٥٣ أقجة

وتمّ عمل التحقيقات اللازمة، وتبيّن منها أنّ عدد الفقراء في المدينة أكثر ممّن في مكّة؛ لذا أرسلَ ثلثُ المبلغ المتبقي لمكّة والثلثان للمدينة.

وتلك هي المبالغُ التي أرسلت للمدينتين:

لفقراء مكّة ٥٥٠٠ سكة فلورية

لفقراء المدينة ١١.١٠١ سكة فلورية

وبذلك يكون المجموع ١٦.٦٥١ سكة فلورية = ٨٣٢.٥٥٠ أقجة [٣٧].

السّنة	المحصول	الزيادة	النسبة المئوية
١٥٧٣/٩٨١	٩.٨٣٢.١٢٤أقجة		
١٥٧٤/٩٨٢	٩.٨٣٢.٩٩٤أقجة	٨٧٠ أقجة	٠.٠١
١٥٧٥/٩٨٣	٩.٨٥٢.١٧٤أقجة	١٩.١٨٠ أقجة	٠.١٩
١٥٧٦/٩٨٤	٩.٨٦٢.١٢٤ أقجة(٣٨)	٩.٩٥٠ أقجة	٠.١٠

وبينما كانت بعضُ دفاتر المحاسبة تذكر النفقات والدخل السنوي للأوقاف بشكل عام، إلّا أنّ بعضها يذكره بشكل مفصّل للغاية، على سبيل المثال تمّ تسجيل واردات أملاك أوقاف الحرمين الموجودة في الرومللي والأناضول واستانبول وبورصة وأدرنة والبلدان المختلفة، وكذا بدل المقطعات ونظارات وتولية الأوقاف والالتزام في دفاتر عام ٩٨١- ٩٨٤هـ/ ١٥٧٣- ١٥٧٦م، كما توجد معلومات مفصّلة للغاية عن أسماء الأشخاص والقوافل الذين كانوا مكلفين بشئون الأوقاف السّنوات المختلفة، وكذا محاصيل ثلاث سنوات للملتزمين، وأسماء كتاب المقطعات، ومقدار محاصيل الملتزمين القدامى، وفائض المحاصيل عن السنوات السابقة. ويمكن من خلال هذا الدفتر مراجعة كلّ نفقات ودخل أوقاف الحرمين في فترة تقدّر بأربع سنوات.

ويمكن تقسيمُ دخل أوقاف الحرمين الموجودة في إيالات الأناضول والروملي واستانبول وبورصة وأدرنة والبلدان المختلفة على النحو التالي:

وليستِ الأرقام المذكورة هي كلّ ما أرسل للحرمين في تلك السنوات، بل على العكس هي قيمة ما تمّ الحصولُ عليها دون إنفاق أية نفقات ضرورية، لهذا فإنّ الرّقم المذكور هو أقرب ما يكون للمبلغ الذي أرسل للحرمين في السنوات ٩٩٧- ٩٩٨هـ/ ١٥٨٨- ١٥٨٩م لأنّ أكثر من نصف دخل تلك الأوقاف خصّص للوظائف المثبتة في شروط الوقف وللنقل وسائر الأغراض الأخرى.

ومِن خلال الجدول السّابق يتّضح لنا أنه لم يحدثْ أيّ تراجع قط في غضون الأربع سنوات المذكورة في دخل أوقاف الحرمين، وهذا يدلّ على أنّ تلك الأوقاف كانت تُدار بما يتّفق مع أصول إدارة الأوقاف، كما أنه لم يظهر أي وضع طارئ خلال تلك الفترة، أمّا الزيادة التي حدثت في الدّخل فهي بسيطة جدًّا، حتّى أنّ الزيادة التي حدثت عام ٩٨٢هـ/ ١٥٨٢م كانت نسبتها واحد في الألف، تراوح هذا الرقم في السنوات التي أعقبت تلك الفترة بنسبة ١-٢ %.

أمّا في عام ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م حدثت زيادة كبيرة في مجموع دخل أوقاف الحرمين في كلّ أراضي الدّولة العثمانية، فيذكر أيوب أفندي أنّ دخل أوقاف الحرمين في تلك السنة المذكورة بلغ ١١٧ حملًا، و ٢٣.٤٦٩ أقجة، أمّا الدخل السّنوي للأوقاف التابعة لمقطعات الحرمين فبلغ ١٧٨ حملًا، و ٢٠.٥٣٧ أقجة [٣٩].

وعلى النّقيض ممّا ذكر وجدنا بعضَ دفاتر حسابات أوقاف الحرمين تذكر حسابَ بلدة أو عدّة أوقاف فقط، ومنها على سبيل المثال أنّ مجموع دخل أوقاف الحرمين الموجودة في بغداد عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩٢ م بلغ ٥٠.٤٠٠ أقجة [٤٠].

وقد تحقّقنا من مجموع دخل ومصروفات أوقاف الحرمين الموجودة في أدرنة وتوابعها في الفترة فيما بين أعوام ١٠٢٣- ١٠٢٤هـ/ ١٦١٤- ١٦١٥م فوجدنا أنّها على ما يلي:

المحاصيل السنوية لأوقاف الحرمين	٧٦١.٠٧٠ أقجة
المبلغ المتبقي من السنة الماضية	١٦٠.٧٢٠ أقجة
إيجار الحوانيت والمنازل الموجودة في أدرنة وتوابعها	٧٠.١٠٠ أقجة
من الأوقاف الأخرى	١٠١.٢٦٠ أقجة
وبذلك يكون مجموعها	١.٠٩٣.١٥٠ أقجة [٤١].

أمّا في الفترة فيما بين أعوام ١٠٧٥-١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥- ١٦٦٦م فكان الدّخل المتحصّل من أوقاف الحرمين الأربعة وعشرين الموجودة في استانبول وأدرنة وقرمان وقبرص والأناضول والروملي ٢٥ كيسًا، وذلك طبقًا للعريضة المقدّمة للسّلطان في ٥ /جمادى الأخرى/ ١٠٧٦هـ(٤٢).

وتذكرُ بعضُ دفاتر الحسابات معلوماتٍ عن الأوضاع الخاصّة التي كانت تقابل عند تحصيل أوقاف الحرمين المرسَلة إلى مكّة والمدينة مع الصّرة، من ذلك على سبيل المثال اكتشاف المحصّلين نقصًا يبلغ كيسيْن وأقجتيْن من الدخل الذي كان يُفترض جمعُه من أوقاف غضنفر أغا، فتمّ تداركه على الفور (٤٣)، ونفس الشّيء حدث مع وقف عائشة سلطان، فقد أصبح غير ممكن إرسال دخل الوقف للحرمين نظرًا لأنّه استخدم في ترميم حمّام الوقف، وفي الفترة فيما بين أعوام ١٠٩٨-١٠٩هـ/ ١٦٨٧- ١٦٨٨م لم يتمّ التمكّن من تحصيل ٣١ كيسًا و ١٧٢ قرشًا من أوقاف الحرمين لأسباب مختلفة(٤٤)، وبلغ مجموع الأموال المرسلة للحرمين مع الصّرّة في السنوات المذكورة بخلاف ما لم يتمّ التمكّن من تحصيله ٣٦٧ كيسًا و ٢٤٠ أقجة(٤٥).

رابعا : إعفاءُ أوقاف الحرمين من الضرائب

كانت كلّ محاصيل الأراضي الموقوفة للحرمين مُعفاةً من الضرائب والعوارض، وكانت أراضي أوقاف الحرمين الموجودة في الأماكن المختلفة من الدّولة العثمانيّة- كما أوضحنا سابقًا- تدخل ضمن هذا الصنف من الأراضي، وإلى جانب هذا الإعفاء من الضرائب كان يوجد لتلك الأراضي نوعٌ من الحصانة، فقد قام

السّلطان محمد الفاتح بإرسال محمد باشا الرومي لتسوية التمرّد الذي ظهر في منطقة قرمان، وقام الباشا المذكور بهدْم وحرق القرى الموجودة في هذه الإيالة، كما عامل قرية أريكلي التي كانت موقوفة للمدينة المنورة بنفس المعاملة، ولمّا علم الفاتح بهذا الأمر عاقبَ الباشا المذكور على فعلته هذه (٤٦)، وفي عام ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م استولى الجيش العثماني على ثلاثِ قلاع من القلاع المملوكية في المعركة التي تمّت بينهما في جقور أوة، ولمّا علم العثمانيون بأنّ تلك القلاع موقوفةً للحرمين داوموا على استمرار وقْفها للحرمين (٤٧).

ونفسُ الإعفاء الذي كان مخصّصًا لأوقاف الحرمين من الضرائب كان نافذًا- أيضًا- في الجمارك، أي أنّ أوقاف الحرمين كانت مُعفاة من الجمارك، وأصدرت الدّولة العثمانيّة حكمًا لأمناء الجمارك في ٨/صفر/٩٧٦/٢/٨/١٥٦٨م تطلبُ فيه منهم عدم تحصيل أيّ جمارك على الهدايا التي يرسلها شريف مكّة أو الأموال المرسَلة له(٤٨)، وفي عام ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م طُلب تحصيل العشر الذي لم يكنْ يحصّل قبل ذلك من السّفن التي كانت مخصّصة لنقل مخصّصات وقف نوربانو سلطان والدة السّلطان مراد الثالث من مصر لمكّة والمدينة، وبناءً على ذلك تقدّم شريف مكّة بطلبٍ يطلب فيه إزالة هذا المطلب فورًا، وعودة تطبيق الإجراءات القديمة(٤٩)، وعدم تحصيل جمارك عن مستلزمات الطعام للحجاج الذين يمرّون من الجمارك كان نوعًا من هذه الإعفاء الجمركي المخصص لأوقاف الحرمين (٥٠)، وعندما تقدّم أهالي قرية جوبوق التابعة لقضاء زيلة التابع لطوقاد والتي كانت موقوفة للمدينة المنورة بعريضة للدّيوان بواسطة إبراهيم بن محمد باشا، يطلبون فيها صدورَ فرمان يقضي بإعفاء محاصيل القرية من العوارض والتّكاليف(٥١)، كان هذا- أيضًا- بمثابة نموذجٍ على إمكانية إعفاء أوقاف الحرمين من الضرائب.

وقد أضاف بعضُ الواقفين شرطًا لوقفيّاتهم بعدم تحصيل أية ضرائب عن الأراضي التي أوقفوها، وقد طلبت السيدة فاطمة خاتون زوجة لالة مصطفى باشا أمير أمراء الشّام إعفاءَ محاصيل القرى التي أوقفتها لفقراء المدينة وأمن طريق الحجّ من الضرائب.

واشترطت أنْ يضاف هذا المبلغ الذي كان مقرّرًا منحُه للضرائب إلى مخصّصات الحرمين(٥٢).

وفي عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م أرسل حكم لوالي الشّام ووالي مصر وقضاة حلب وطرابلس وديار بكر

وبيرجي وأريكلي وكلين كيراس، ذكر لهم فيه أنّ مجموعة من الأشخاص وضعوا أيديهم على بعض أوقاف الحرمين المُعفاة من الضرائب، وطلب من هؤلاء الإداريّين المذكورين أنْ يقوموا بتسجيل أراضي الأوقاف التي في حوْزتهم، وأن يعيدوا ما اغتصبَه هؤلاء الغاصبون، وأن يضربوا بيدٍ من حديد عليهم، ولا يقبلوا فيهم شفاعة أو عفوًا أبدًا(٥٣).

ولم يكنْ هذا الإعفاء من الضرائب مقتصرًا على أراضي أوقاف الحرمين فحسب، بل كان يشمل- أيضًا- الأموالَ المخصّصة للحرمين فكانت معافاة من الضرائب، على سبيل المثال في الفترة ٩٤٤-٩٤٥هـ/ ١٥٣٧- ١٥٣٨م حدثت أزمةٌ مالية في الخزينة العثمانيّة بسبب الحملات التي كانت تلي بعضها البعض في عهد القانوني، وللقضاء على تلك الأزمة أخذ الإداريّون من دخل العديد من الأوقاف، ومن أموال أوقاف الحرمين الموجودة في إيالة الأناضول (٥٤).

وبناءً على طلب خليل باشا الذي كان يستعدّ للخروج لحملة الرومللي عام ٩٩٩هـ/ ١٥٨٨م أنفقت ٩٠٠ سكة كانت مخصّصة لفقراء الحرمين من وقف جوهر خان سلطان الموجود في استانبول وسمنديرة على نفقات الحملة (٥٥).

أمّا في عام ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م فقد أنفقت بعض النفقات المخصّصة للحرمين على بعض الأماكن التي حدّدت بالخطّ الهمايوني، وتلك هي الأماكن المحدّدة بالخطّ الهمايوني ومقدار ما أنفق عليها:

المكان	الكمية
ثمن الإطار المجوهر	٤ كيس و ٢٠٠ قرشًا
لدين النساء	١٤٠٤٤ قرشًا
أثمان المسبحات	٨.٧٠٠
ثمن لـ ..	٧.٣٨٠
ثمن لأكواب من الألماس	٦.٠٠٠
ثمن لفراء السمور	١٥٥٠
إحسان على الأغوات	٣٥٠٠
ثمن العربات	١٠٠
ثمن لتسع جواري	٨٩٠٠
ثمن جارية	١٥٨٠
للأغوات المصاحبين	٦٥٨٠

للأغوات المصاحبين المأخوذين لدار السعادة	٤٥٠
مصاريف طريق لاستانبول	٣٢٠
ثمن دائرة	٢٠٠
ثمن جارية	٨٠٠
لأكياس السلاطين	١١٠
لكتخدا الخزينة	٢٣٢٥
إحسان والدات السلاطين	١٠.٠٠٠
ثمن القماش المشترى للنساء من أجل العيد	١٢٥٣٣
ثمن مسبحة كبيرة	٦٥٠٠
لجارية وأسطى للسّلطان الصغير	٥٤٠
مصاريف طريق لرقية سلطان	١.٥٠٠
لأحمد أغا المصاحب	٥٠٠
لكتخدا قادين	٥٠٠
ثمن مسبحة	٤.٩٠٠
ثمن مسبحة	٣.٩٠٠
ثمن حجرين من الألماس	٢.٤٠٠
ثمن خاتم من الزمرد	١٥٠
ثمن نطاق	١.٧٠٠
للنساء في الترسانة	٢٥٠٠٠
لسليم أغا	٥٠٠

إحسان على المدرسين	٢٠٠٠
إحسان صاحب الشوكة	٢٥٠٠
لثلاثة من الأغوات المصاحبين	٣٠٠
إحسان للكتخدا في عيد الأضحى	١٠٠
ثمن جارية أخذت من امرأة عماد أفندي	٥٠٠
ثمن برناق	١٨٧
منحة معتادة للأوجاق في عيد الأضحى	٥٠٠
نقود لعفيفة خاتون	١.٨٨٥
ثمن قماش صغير في حديقة أياز ما	١٢٣ قرشًا (٥٦)

والخاصيةُ التي تلفتُ الانتباه في هذا الجدول أنّ الإقطاعات التي كانت تتمّ أولًا من مخصّصات الحرمين الشريفين كانت تتمّ في الأوضاع الطارئة مثل الحروب وغيرها، ولكن بعد ذلك- وكما نرى في الجدول أنّها- كانت تقطع لتصرف على احتياجات المنتسبين للقصر، وهذا الوضع يظهر لنا حدوث الرخاوة في أوقاف الحرمين وإدارتها.

وفي حالة تحصيل الضّرائب على أوقاف الحرمين، وكان ذلك عن جهالة من الموظفين؛ فإنّ النّظار أو الأشخاص الذين أخذوا تلك الضرائب بدون وجه حقّ يطلبون من السّلطان إزالتها، وفي عام ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م أدى أهالي قريتي كافر أغيلي وأيواليق اللتيْن خصّصتا للحرمين مخصّصات الحرمين، وقام محصّلو الضّرائب بتحصيل ضريبتي العرفي والشّقة منهم، فتقدم هؤلاء الأهالي بعريضة للسّلطان بواسطة مصطفى أغا ناظر أوقاف الحرمين لتسوية هذا الوضع، وحصلوا على فرمان إعفاء من الضرائب (١٥/ جمادى الأخرى/ ١١٠١هـ/ ٤/٢٧/ ١٦٩٠ م)(٥٧).

خامسا : تنافسُ السّلاطين العثمانيين في خدمات الحرمين

عندما قرأ محمد أمين المكي فرمان السّلطان سليمان القانوني الذي يقول فيه "يجبُ عدم التغافل والتّكاسل في خدمة وحماية الحرمين المكرمين المحترمين، وخدمة الرعايا الذين يعيشون في تلك الولايات" [٥٨] عبّر بأوجز العبارات عن الخدمات التي قام بها السّلاطين العثمانيون في الحرمين الشريفين والآثار التي تركوها هناك، بقوله "باستثناء ما قام به الخلفاء الراشدون وعمر بن عبد العزيز منذ ما يقرب من ١٣٠٠ عامًا، لم يقمْ أيّ حاكم من حكام الدول الإسلامية بعمل ما قام به آلُ عثمان، فقد خلف سلاطينهم مآثرَ وآثارًا جليلة في الحرمين الشريفين، وأظهروا رعاية واحترامًا كبيرين لآل بيت رسول الله "[٥٩]، وهو ما يظهر الخدمات التي قدّمها العثمانيون للحرمين على مدار ٤٠٠ عامًا.

لقد اعتبر العثمانيّون مَن يعيشون في مكّة المكرمة التي تحمل بداخلها كعبة الله المعظّمة ضيوفَ الله، أمّا من يعيشون في المدينة المنورة التي تحمل في باطنها جثمانَ الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- جيران رسول الله، واعتبروا حماية مكّة والمدينة ومراقبة أمنهما أحدَ أهمّ الوظائف التي اضطلعوا بها،

ونتيجة لذلك فتحوا اليمن ليجعلوا البحر الأحمر تحت مراقبتهم وسيطرتهم دائمًا [٦٠].

وبعد أنْ تمكّن السّلطان سليم من ضمّ الحجاز له، لقبوه بألقاب خادم الحرمين الشريفين[٦١]، وحامي حمى الحرمين[٦٢].

ولا شكّ في أنّ التنظيمات التي كانت تتعلّق بخدمات عبادة الحجّ كانت أحد أهمّ خدمات الحرمين، والفرمان المؤرّخ بتاريخ ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م يظهر لنا- وبكلّ راحة-

مدى فهم السّلاطين العثمانيين وإدراكهم للحجّ، والفرمان يعرض أهمية كبرى بالنّظر إلى ما هو الوضع عليه الآن، فقد ورد فيه "أنّه لا يمنع مسلم أو مؤمن يؤمنُ بالله من زيارة مكّة أو الطواف بالبيت طالما أنّه يريد ذلك"(٦٣)، ومن هذا المنطلق أدّت جموع الحجّاج التي خرجت من جوانب الدنيا الأربعة لأداء فريضة الحجّ تلك الفريضة في أمنٍ ويُسرٍ كبيريْن، وكان هذا الوضع نافذا- أيضًا- على مَن يأتون للحجّ ويريدون البقاء في مكّة، فلم يمنع أي شخص يريد البقاء في مكّة من الإقامة فيها، لا سيّما وأنّ جماعة من الحجّاج القادمين من مصر وشمال أفريقيا- وكانوا من العلماء والوجهاء- أدّوا فريضة الحجّ وظلّوا في مكّة فلم يمنعوا من ذلك(٦٤).

كما أنّ العثمانيين فكّروا في إجراء نظامٍ صحّي لم يكنْ من الممكن التفكير فيه بمفهومٍ ما قبل ٣٠٠ عامًا، فقد طبق العثمانيون في النصف الثاني من القرن السّادس عشر في مكّة نظامَ جمْع القمامة في أماكن تجميعها، وهو إجراء لم يتمّ إلّا في الربع الأوّل من القرن العشرين على يد الإداريين والمحليين، وطالبت الدّولة أهالي مكّة بعدم إلقاء القمامة في الطّرقات حفاظًا على صحة الزوار الذين يفدون للمدينة، ومنعًا من انتشار الأمراض، وطالبتهم بإلقاء تلك القمامة في الأماكن التي خصّصتها الدّولة لذلك خارج المدينة (٦٥).

ولعلّ هذا التطبيق فقط ظاهرة تدلّ على المرتبة الحضارية التي وصل إليها العثمانيون إلى جانب القيمة التي أولوها للحرمين.

وثمّة خاصية أخرى تدلّ على الأهمية التي أولتها الإدارة العثمانيّة لمكة المكرّمة، وهي عدم السّماح بالتّطاول في البنيان حول الكعبة ممّا سيؤدي إلى التّظليل على فخامتها وهيبتها، لذا جعلت الإدارة العثمانيّة مسألة أعمال البنيان في مكّة تحت المراقبة الدائمة، وأنّ مَن يريد البناء كان عليه إحضار إذنٍ خاصّ بذلك.

لأنّ الدّولة لم تكن تسمح بوجود بناءٍ أعلى من الكعبة (٦٦)، وهذا الإجراء الذي طبّقه العثمانيون في

القرن السادس عشر هو الذي يطبّق حاليًا في مكّة، وبفضل هذا الإجراء لا تزال المدينة تحافظُ

على نسيجها التاريخي.

كما أصدرت الدّولة قرارًا بمنع وجود البائعين الذين أسّسوا مغازل للنسج بين الصّفا والمروة، وذلك

لعدم انشغال الحجّاج بأمور الدنيا(٦٧)، كما أرسل حكم لأمير أمراء مصر في ١٨/ ربيع الآخر/ ٩٧٥هـ/ ٢٢/١٠/ ١٥٦٧م يقضي بمنع فتح المقاهي في مكّة والمدينة لمَا في ذلك من أخذٍ لأموال الحجّاج (٦٨).

ولم تكنْ هذه العلاقة الحميمة من السّلاطين العثمانيين تجاه الحرمين منحصرةً في مكّة والمدينة فقط، بل كانت تظهر في كلّ الساحات المتعلقة بالحرمين كتنظيم طريق الحجّ، وتنظيم إدارة شئون أوقاف الحرمين، والعمل على إسعاد الرعايا الذين يعيشون في الأراضي الموقوفة للحرمين، ويوجد الكثير من الأمثلة على هذا في الوثائق والفرمانات الموجودة في دفتر المهمّة.

ومن تلك الفرمانات فرمان محمد الرّابع الصادر في ١٢/ رمضان /١٠٥٨هـ/ ٣٠/٩/ ١٦٤٨م ويقضي بإغلاق كلّ المقاهي الموجودة في الشّام وعلى طريق الحجّ لمَا فيها من إهدار لأموال الحجّاج، ونظرًا لأهمية الفرمان أوردناه هنا لأهميته:

"حكمٌ على الوجه المشروح، حكمٌ لدفتردار الشام:

لقد تقرّر إغلاق كافّة المقاهي في أيام عمي المرحوم السّلطان مراد خان،

وبالتّالي أغلقت كلّ المقاهي في كلّ البلدان المحروسة، وقد استمرّ هذا في عهد والدي المرحوم السّلطان إبراهيم خان، وبينما كان الوضع على هذا، قام متصرف الشّام وأميرها وميرميرانها والوالي بفتح المقاهي بلا إذن من السّلطان وقطعوا لذلك ١٨.٠٠٠ قرشًا أسديًّا، وقد وصل هذا الخبر إلى مسامعنا الهمايونية، ومن الآن فليستْ هناك أيّة علاقة في هذا الشأن لأيّ شخص غير الوالي والميرميران، وفتحت المقاهي من جديد في الشّام التي تعدّ بمثابة بوابة بلاد الحجاز، والتي يمرّ عليها الحجّاج في طريقهم لمكّة، وعلى والي الشّام أنْ يرسل سنويًّا المبلغ المذكور وهو ١٨.٠٠٠ كمقطعة للخزينة الهمايونيّة، وقد صدر الأمر والفرمان العالي الشأن بذلك.

وقد قرّرت الآتي، عندما يصل فرماني الشّريف هذا ليتمّ العمل بما ورد به، وعلى إيالة الشّام أنْ ترسل الثمانية عشر ألف قرشٍ إلى الخزينة الهمايونية كسائر العوارض والمقطعات الأخرى، وليس لأحدٍ مِن بعد الآن التدخّل في هذا الأمر سوى الوالي والميرميران، ولا يغرر بما جاء في هذا البيان لمَن يعين واليًا على بلاد الشّام من بعد ذلك" (٦٩).

والمثال الثّاني الذي يدلّ على حساسية العثمانيين لهذا الأمر هو الفرمان الصّادر لأمير أمراء ديار بكر في عام ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م(٧٠).

فمِن المعلوم أنّ أوقاف الحرمين الواقعة بديار بكر كانت معفاةً من الضرائب كسائر أوقاف الحرمين، ولكنْ نظرًا لإهمال أمير الأمراء وسائر الإداريين الآخرين في هذا الأمر؛ فقد أخلّ بمسألة إعفاء تلك الأوقاف من الضرائب، وعندما علم السّلطان مراد الثالث بذلك طلبَ من أمير أمراء ديار بكر أنْ يؤمّن إعفاء أوقاف الحرمين من الضّرائب مرّة أخرى، وأن يحافظ بشكلٍ جيد على دخلها، أمّا آخر مثالٍ في هذا الشأن فهو الحكم الصّادر لأمير أمراء بغداد ودفتردارها في ٥/ جمادى الأخرى/ ١٠٠٠هـ/ ١٩/٣/ ١٥٩٢ م والذي يقضي بالحفاظ بشكل جيد على أوقاف الحرمين، وحسن التصرّف في القرى الموقوفة، وعدم اتباع أية معاملة خارجة عن

الأسس الموضّحة في شروط الوقف [٧١].

وكلّ هذه التطبيقات المذكورة إنّما هي أمثلة على عناية الإدارة العثمانيّة بأهالي الحرمين، والحجّاج، والأوقاف التي تخدم الحرمين، وهذه التطبيقات والإجراءات التي لم تخطرْ على بال أحدٍ من الإداريين الحاليين أو المشتغلين بشئون الحجّ في الوقت الحاضر، إنما هي قرائن تدلّ على مدى تفاني السلاطين والإداريّين في الدّولة العثمانيّة في خدمة الحرمين الشريفين، وأنّ ذلك صدر منهم لهدفٍ سامٍ ألا وهو ابتغاء مرضاة الله.

النتيجة

لقد اضطلعتِ الأوقافُ بوظائف هامّة على مرّ العصور في تطوّر الحضارة الإسلامية وفي الحياة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، فقد أدّت خدمات متكاملة في العديد من السّاحات العامّة والخاصّة، بدءًا من تأسيس دور العبادة والمدارس وحتى تأمين التوازن الاجتماعي، ومن تأمين الاحتياجات الضرورية للجماعات التي تجد صعوبةً في تأمين المعيشة كالفقراء والمساكين والطلاب، وحتّى مساعيها في الحفاظ على البيئة التي نودي بها حديثًا.

وقد أحيتْ وأنشأت في مكّة المكرمة- التي كانت مقدّسة عند العرب منذ عهد سيدنا إبراهيم، والتي أصبحت مقلةَ عينِ كلّ العالم الإسلامي، وقبلة المسلمين ومحلّ اجتماع الحجّاج بعد سيدنا محمد- وكذا في المدينة المنورة- التي عاش وماتَ بها آلاف من صحابة الرسول، وبها قبر الرسول- صلّى الله عليه وسلّم-؛ الكثير من الأوقاف والأعمال الخيرية المشابهة للأوقاف، أمّا ساكنو مكّة والمدينة فقد ظلّوا يعيشون في راحةٍ واطمئنان بفضل الهدايا والأوقاف التي خصّصت لهم.

وقد بدأت خدماتُ العثمانيّين للحرمين في عهد يلدريم بايزيد، وكانت تلك الخدماتُ تزيد بمرور الوقت، وأخذت تلك الخدمات وضعًا أكثر تشخصًا عام ١٥١٧م عندما أصبح السّلاطين العثمانيون حماةً للحجاز ويرتقون منصب الخلافة، وقد سعت إدارة الدّولة العثمانيّة التي كانت تعدّ حامية منطقة الحجاز من الناحية السياسية، وخادمتها من الناحية المعنوية؛ في تقديم كلّ ما يلزم مكّة والمدينة من أعمال، وعلى رأسها طريق الحجّ، بل إنها كانت تزيد على ما كان مطلوبًا عمله، وربطت ما يشبهُ الرّواتب لكلّ شخص يعيش في الحرمين عن طريق الأوقاف، واستمرّت هذه العلاقة كما هي سواء في فترة قوة الدّولة أو حتّى بعد ضعفها، وأوّل تأسيس للكهرباء في

أراضي الدّولة العثمانيّة كان من نصيب مكّة والمدينة، حتّى الخط الحديدي الذي كان يبدأ من استانبول كان ينتهي بالمدينة المنوّرة كان يُعرف باسم خطّ سكك حديد الحجاز، حتّى أنّ الدّولة العثمانيّة في أحلَكِ فتراتها كانت ترتّب الصّرّة وترسلها للحرمين، فقد رتبت صرّة للحرمين عام ١٩١٤م بالرغم من الوضعِ المتأزّم للدّولة، وفقدانها البلقان وطرابلس الغرب، إلّا أنّ تلك الصّرّة عادت من الشّام نظرًا لعدم وجود أمنٍ في الطريق بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى.

ونفسُ هذا الاهتمام الذي أظهرته إدارة الدّولة العثمانيّة ظهر في طريق الحجّ، فقد أظهرت الدّولة اهتمامَها بطريق الحجّ، وأصدرت الفرمانات والأحكام التي تقرّ بتأمين هذا الطّريق، ومنها على سبيل المثال الفرمان الصادر بإغلاق المقاهي الموجودة في الشّام ومكّة والتي تعمل على إهدار أموال المسلمين بغير حقّ، وكذا نشاطات الدّولة في مجال الحفاظ على نظافة طريق الحجّ وعلى البيئة في مكّة، ومنع قوافل الحجّ المصرية من الإسراع في الطريق ممّا يؤدّي إلى فواتهم الصّلوات الخمس.

وقد قدّم رجال الدّولة العثمانيّة والأهالي الخدماتِ للحرمين عن طريق الأوقاف، فمنهم مَن أسّس مؤسّسات مستقلّة بذاتها، ومنهم مَن قدّم تلك الخدمات عن طريق مساندة المؤسّسات التي كانت موجودة من قبل ذلك، على سبيل المثال قامت كلنوش والده سلطان زوجة السّلطان محمد الرابع بإنشاء دار للشفاء وعمارة في مكّة، وبذلك أمنّت تقديم الدواء للفقراء، وكذا تأمين احتياجاتهم الضرورية، أمّا النّفقات التي تمّت في عين الزرقا على يد صقوللو محمد باشا وفي عين زبيدة على يد مهرماه سلطان؛ فكلّ واحدة منها تعدّ نموذجًا لمساندة المؤسسات الوقفيّة التي كانت موجودة قبل ذلك.

وثمّة ساحة أخرى اتّجه إليها الواقفون إلى جانب المؤسسات الوقفية التي كانت موجودة ألا وهي تخصيص الأوقاف للفقراء والموظفين الموجودين في الحرمين، ونحن على قناعةٍ بأنّ كلّ الأشخاص الذين كانوا في مكّة والمدينة كانوا ينالون من تلك الأوقاف، حتّى أنّ أكثر من واحدٍ من الموجودين في الوظائف الإدارية الكبرى كان لهم نصيبٌ من تلك الأوقاف.

وبقدْرِ الأهميّة التي أوْلاها رجالُ الدّولة العثمانيّة لأوقاف الحرمين، بقدر أهميّة نظرة إدارة الدّولة لأوقاف الحرمين، فقد جعلت الدّولة كلّ الأراضي الموقوفة للحرمين مُعفاة من الضرائب، ولهذا كان الواقفون أو الذين يعيشون على الأراضي الموقوفة يطلبون بأنْ يعفوا من الضّرائب لأنّهم يخصّصون المخصّصات للحرمين من الأوقاف، وبالتالي كان بعض الرعايا الآخرين يطلبون مِن الدّولة أنْ يكونوا من رعايا أوقاف الحرمين حتّى يعفَوْن من الضّرائب.

وأهمّ نقطةٍ في كلّ تلك الخدمات التي قدّمت للحرمين بالنسبة لنا هي عدم انتظار الواقف أيّ منفعةٍ ماديّة مقابل ما يقوم به من عمل، وهذا يعنى أنّ تلك الخدمات التي قامت بها الدّولة العثمانيّة للحرمين لمئات السّنين إنما كان السببُ الرئيسي فيها الأحكامَ القرآنية والسّنةَ النبوية التي تحثّ على حبّ وخدمة مكّة والمدينة، وحبّ الأتراك للنبيّ بتلك الدرجة التي لم يُرَ مثلها في التّاريخ من أيّ أمّة قطّ .

الحواشـــي والمخْتصرات

حواشي المدخل:

١- مصطفى بن شمس الدين القرة حصارى، أختر كبير، استانبول ١٣٣٢هـ، ج٢، ص٤٣٨؛ شمس الدين سامي، قاموس تركي، استانبول ١٣١٤هـ، ص ١٤٩٥-١٤٩٦.

٢- للاطّلاع على التعريفات المختلفة للوقف؛ انظر: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الشرح الكبير، بيروت ١٣٩٢، ج٤، ص٧٦؛ كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن همام، فتح القدير، مصر ١٣١٩هـ، ج٥، ص ٣٧-٤٩؛ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مغنى المحتاج إلى معرفة معاني المنهاج، القاهرة ١٣٧٣هـ، ج٢، ص٣٧٦؛ شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص١٣٩٥؛
Ömer hilmi Efendi,Ahkamü-Evkaf,Istanbul 1304,s2
Nafiz Öztürk,Elmalı M.Hmadi yazır gözü ile vakıflar, Ankara 1995, s. 49
Ömer Nsuhi Bilmen, Hukuku islamiye ve ıstılahat Fıkhıyye kamusu, Istanbul 1987, c.4, 284.
.Ali Himmet Berki, Vakiflar, Istanbul 1946, s. 42

٣- لمعلومات أكثر عن اصطلاحات الوقف انظر: Ömer Nsuhi Bilmen, a.g.e, c.4

٤- .Öztürk, Elmalı Hamdi, s.47

٥-
Ömer hilmi Efendi,Ahkamü-Evkaf,s.17-30 .
.Bilmen, Hukuku islamiye, c.4, 297
.Öztürk, Elmalı Hamdi, s. 56- 114
Berki, vakiflar, s. 81-89.
Mehmet Şeker, Vakfiyelerin Türk kültürü bakımından Özellikleri, Ege .Üni, Tarih incelemeleri Dergisi (TID), c.8, izmir 1993, s.1
Ahmet Akgündüz, islam hukuku ve osmanlı tatbikatında vakıf .müessesesi, Ankara 1988, s. 192- 193
Zıya kazıcı, siyasi dini kültürel sosyal islam tarihi, osmanlı devleti ve .medeniyetim, Istanbul 1995, c.10, s. 432

٦- محمد عبيد عبد الله الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، بغداد ١٩٧٧، ج١، ٢٥-٢٦؛ .Ahmet Akgündüz, vakıf müessesesi,s.9

7- Ismet kayaoğlu, vakfın menşei-hakkında görüşler, VD,XI, Ankara 1976, s. 50.W. Reuben, "Budist vakıfları hakkında "VD, Ankara 1942, .c.2 ,s.180

.8- Köprülü, Türk islam hukuku, s. 356

٩- Ömer hilmi Efendi,Ahkamü-Evkaf,s.8-9؛ الكبيسي، الأوقاف، ج١، ٢٢؛ .Akgündüz,s. 10 ؛ kayaoğlu,s.50

١٠- تعني هذه الكلمة الاعتماد والضمان، (ريدهاوس، القاموس التركي الإنجليزي، استانبول ١٩٩١، ص ١٠٥٥، أمّا كلمة Foundation فتعني مؤسّسة الوقف (نفس القاموس ص ٣٨٤).
١١- الكبيسي، ج١، ص ٢٩؛..Akgündüz,s. 13-14
١٢- لمعلومات أكثر في هذا الموضوع انظر: kayaoğlu, vakfın menşei, s.49-55
١٣- سورة الرعد آية ٢٢، سورة الشعراء آية ٣٨، سورة الحجّ آية ٣٥.
١٤- سورة البقرة، آية ١٧٧.
١٥- سورة البقرة آية ٢٦٧، سورة إبراهيم ٣١.
١٦- سورة فاطر، آية ٢٩.
١٧- سورة البقرة، آية ٣، سورة البقرة، آية ٢٧١.
١٨- سورة آل عمران الآيات ١١٤- ١٣٤، سورة المائدة، آية ٢، سورة الحديد، آية ١٨.
١٩- سورة يس، آية ٤٧-٤٩، سورة الفجر، آية ١٧-٢٢.
٢٠- أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني، أحكام الأوقاف، مصر ١٣٢٢هـ.
٢١- وبعد وفاته طالبت ابنته فاطمة وعمّه العباس بهذه الأراضي من سيدنا أبي بكر كميراث لهم، ولكنّ أبا بكر بيّن لهم أنّ الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- قال إنّ الأنبياء لا يورثون، وإنّ أراضي فدك هذه وكلّ أموال الرسول إنّما هي صدقة، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، استانبول ١٤١٣هـ،١-٨؛ كتاب الوصايا، ٣٢، استانبول ١٤١٣هـ، ج٣، ١٩٧.
٢٢-الترمذي، الأحكام، ج٣، ٦٢٠.
٢٣- البخاري، كتاب الشروط، ج٣، ١٩؛ الترمذي، الأحكام، ج٣، ٦٢٠.
٢٤- البخاري، الوصايا، ٢٢، ج٣، ١٩٤.
٢٥-الشيباني، أحكام الأوقاف، ص٥.
٢٦- لمعلومات أكثر انظر:
.Berki, Avkaf, s. 4-5. Öztürk, a,g,e, s. 121-130
27- Bahaeddin yediyıldız, islamda vakıf, DGBIT,XIV,Istanbul 1989, s24.
٢٨-الشيباني، سابق، ص١-٢؛ Kurt, Para vakıfları, s.7.
٢٩- محمد محمد أمين، الأوقاف في الحياة الاجتماعية المملوكية في مصر، القاهرة ١٩٩٠، ص١٩.
.30- Bilmen, a.g.e, s. 304
.31- Bahaeddin yediyıldız, a,g,,e , s. 27
٣٢- لمعلومات أكثر عن نشأة الوقف انظر:
Ömer hilmi Efendi,Ahkamü-Evkaf,Istanbul 1304,s2
Nafiz Öztürk,Elmalı M.Hmadi yazır gözü ile vakıflar, Ankara 1995, s. 49
٣٣- لمعلومات أكثر عن أوقاف الذرية انظر:
Ömer Lutfi BArkan – Enver Merçili, Hüdavendgar livası tehrir .defterleri, Istanbul 1988, 126

34-Ömer Hilmi , Ahkam, s. 16-17. Berki, vakıflar, s. 2. Ziya kazıcı, .islami ve sosyal açıdan vakıflar, Istanbul 1995, s. 89-90

٣٦-لمعلومات أكثر عن أنواع الأوقاف انظر:

.Nafiz Öztürk, a,g,e, s. 153-163. Berki ,a,g,e, s. 79- 97

٣٧-المؤلفات التي ألفت في هذا الموضوع هي: محمد محمد أمين، الأوقاف في الحياة الاجتماعية المملوكية في مصر؛

Ömer Lutfi BArkan – Ekrem HakkıAyverdi, Istanbul vakiflari Tahrir Defteri, (1546), Istanbul 1942, Ömer Lutfi BArkan – Enver Merçili, Hüdavendgar livası tehrir defterleri. Hasan Yüksel, Osmanlı sosyo – Ekonomik hayatında vakiflarin Rolü, (1585- 1683), Ankara Üniv, Sosyal Bilimler Enis, Basılmamış Doktora tezi, Ankara 1990, Nafiz Öztürk, Türk yenileşme çerçşevesinde vakif müessesesi, Ankara .1995

٣٨-أسّست إيالة الأناضول عام ٧٩٧هـ، ١٣٩٢م، بعد تأسيس إيالة الرومللى بعام، وكانت من أهمّ التّشكيلات الإدارية في الدّولة العثمانية، أوّل أمير أمراء لها هو قرة تيمور طاش باشا، كان مركزها قديمًا أنقرة ثمّ نقلت إلى كوتاهية، في عام ٩٣٧هـ ١٥٣٠م كان بها ١٧ سنجقًا، هي كوتاهية وخداوندكار، وبورصة، ومانيسا وآيدين ومنتشة، وحميد، واسبرطة، وأنقرة وجانقري، وبولو، وأسكي شهر وقوجة على، وبيجة وقارصي (دفتر تحرير إيالة الأناضول رقم ٤٣٨ (٩٣٧- ١٥٣٠م) ج١، أنقرة ١٩٩٥، ج١٠؛

.Besim Darkut, "Anadolu" IA, c.1, 429

٣٩- الأقجة: اسم للعملة الفضية الصغيرة التي كانت تستخدم عند العثمانيّين اعتبارًا من القرن الخامس عشر، شمس الدين سامي، قاموس تركي، سابق، ٤٤؛

.Halil Sahilioğlu, "Akçe "DIA, Istanbul 1989, c.2, 224

.40- barkan – Merçili, a,g,e,s. 122

٤١- المرجع نفسه، ص ١٢٢.

٤٢-للاطّلاع على دور الأوقاف في تأسيس المدن وإعمارها انظر: محمد أرناءوط، دور الأوقاف في نشأة وتطور المدن خلال العصر العثماني، تونس ١٩٩٣، ج٩-١٠، ص ٤٥.

٤٣- للاطّلاع على الجانب السياسي للوقف انظر:

M.F.Köprülü ,türk islam hukuk, s. 394. Şakir Berki, Vakifların devlete hizmeti, VD VII, Ankara 1968, s.46. Nejat Göynç, Vakiflara Devlet katkısı, OA, XI, istanbul1991, 1-8.

٤٤-تحفظ هذه الوقْفيّات كلها في أرشيف المديرية العامة للأوقاف تحت اسم فهرس أوقاف السلاطين والوزراء والباشوات.

٤٥-أرمني دربندي، اسم مكان قريب من إينة كول.

٤٦- ابن كمال، تواريخ آل عثمان، ج١، (نشر: شرف الدين طوران) أنقرة ١٩٩٢، ص٩٢.

٤٧-قارن، علي همت البركي، أول سلطان عثماني أسّس وقفًا، مجلة الوثائق، ج٨، أنقرة ١٩٦٢، ص ١٢٧- ١٣٥.

48-Barkan- Ayverdi, a,g,e, XVII.

.49-Feridun Emecen, 16. asırda Manisa kazası, Ankara 1989, 275
50- Barkan- Ayverdi, a,g,e, XVll.
51-16. asırda Karahisar sahibi sancağı, A.Ü, S.B.Ens , basılmamış .Doktura tezi, Ankara 1993, s. 139
52-Halime Doğru, 16. yüzyıl Eskişehir ve sultanönü sancağı, Istanbul .1992, s. 146
.53-Zeki Oral, Aksaray tarihi, VD, V, Ankara 1962, 239
54- Bahaeddin yediyıldız, vakıf müeseseninin 180 asırda Türk .toplumundaki Rolü , VD, XlV, Ankara 1984, 2
55- Ahmed Cebeci, 16. asırda Silistre sancağı vakıfları, Gazi Ünv, .S.B.Ens, basılmamış yüksek lisans tezi, Ankara 1994, s. 70
.56- Barkan- Ayverdi, a,g,e,XVll
.57- Barkan- Ayverdi, a,g,e, Xl
.58- Bahaeddin yediyıldız, Rolü, s. 3
٥٩-أوقاف الأموال: هو وقف الأموال، بما يتفق مع شروط الوقف، ولهذا فإنه يشترط في الشيء الموقوف طبقًا للأسس الإسلامية أنْ يكون غير منقول أو مبدّد، ولأن هذين الشّرطين غير محقّقين في أوقاف الأموال فقد كانت أوقاف الأموال مثارَ نزاع طويل وحاد بين العلماء خاصّة في العهد العثماني، وللاطّلاع على معلومات أكثر في هذا الموضوع انظر: الإمام البرجوي، رسالة لإبطال وقف النقود، استانبول بدون تاريخ، أبو السعود أفندي، رسالة في جواز وقف النقود، مكتبة السليمانية قسم وهبى البغدادي، رقم ٤٤٧/ ٢؛
Barkan – Ayverdi, Istanbul vakifları, XXX-XXXVIII. Ismail Kurt, Para .vakıfları, Istanbul, 1996
.60- Bahaeddin yediyıldız, islamda, s. 35
.61- Ahmed Akgöndüz, vakıf, s. 158-159
62-Neşet Çağtay, Türk vakıflarının ictimai yönü, X. T.T.Kong, IV, .Ankara 1993, 1618
.63- Celal Esad Ersebük, Medeni Hukuk 1, Istanbul 1938, s. 298
.64- Mustafa Özdamar, Vakfetmek, VD, XIX, Ankara 1985, 5
65-Şakir Berki, vakıfların gördüğü çeşitli gizmetler, VD, VI, Ankara .1965, 85
.66- Ömer Hilmi , Ajkamü lavkaf ,s. 15
67-Halim Baki kunter, Türk vakfları ve vakfiyeleri üzerine bir Etüd VD, .l, Ankara 1983, 103
.68-Ziya Kazıcı, a,g,e,X, s. 429
69-M.F. Köprülü, Türk islam Hukuk, s. 403
٧٠- محمد الطنجي ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، رحلة ابن بطوطة، (نشر: محمد شريف) استانبول ١٣٣٣-١٣٣٥، ج١، ١١٠.
.71-Ibrahim Kafesoğlu, "kökbürü, "IA, VI, 890

.72- NAfiz Öztürk, a,g,e, s.56
.73-Ibrahim Ateş, a,g,e, s. 56
٧٤- شمس الدين سامي، قاموس تركي، استانبول ١٣١٤هـ، ص ٥٤٥؛ علي سيدي، القاموس العثماني، استانبول ١٣٢٥هـ، ج٢، ص٣٩٤؛ حسين كاظم قدري، المعجم التركي، استانبول ١٩٢٨، ج٢، ٥١٥-٥١٨.
.75-D. Mehmed Doğan, Büyük Türkçe Sözlük, Ankara 1990, 446
٧٦-لمعلومات مفصّلة عن الحرم انظر:
.Salim Öğüt, "Harem ", DIA, XVll,127-132
٧٧- بالرغم من أنّ صيغة التثنية لكلمة الحرم حرمان، إلّا أنّ العثمانيين استخدموا لفظ الحرمين، لأنه أسهل في النطق على اللسان، كما أنهم استخدموا أسماء مثل صلاح الدين ونصر الدين وغيرها منصوبة وليست مرفوعة (وإنني إذ أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور جمال مختار على هذه المعلومة).
٧٨-شمس الدين سامي، مرجع سابق، ص ٥٤٥.
79- Ömer Nasuhi Bilmen, Büyük islam ilmhali, Istanbul tarihsiz, s. .383
٨٠- البخاري، الحج، ج٢، ص ١٤٧-١٤٨.
٨١- القرآن الكريم، سورة التوبة، آية ٢٨.
٨٢-كانت القدس أوّل قبلة للمسلمين، ولوجود المسجد الأقصى بها فإنها تعدّ ثالث مكان مقدس على وجه الأرض بعد الحرمين، لذا اضطلع العثمانيون بتخصيص جزء من الخدمات التي قاموا بها للقدس، ومسجّل ببعض الوقْفيّات المخصصات التي خصصت للقدس، كما أنّ أوقاف القدس الشريف كانت موضوعًا لرسالة دكتوراة.
٨٣-شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، استانبول ١٣١٢هـ، ج٤، ٤٣٨٥- ٤٣٨٦؛ نفس المؤلف، قاموس تركي، ١٣٩٨؛
.M.Sertoğlu, OsmanlıTarih Lugatı, Istanbul 1986, s. 216
٨٤- الترمذي، الحج، ج١-٣، ص ١٧٣؛ تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي الفاسي، (تحقيق: عمر عبد السلام التدمري) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، بيروت ١٤٠٥، ج١، ٨٥.
٨٥- الفاسي، الشفاء، ج١، ص ٨٥.
٨٦-أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار، (تحقيق: رشدي صالح الملحاس،) بيروت ١٣٩٩، ج١، ٣١١.
٨٧-شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص ١١٧٠.
٨٨-القرآن الكريم، سورة آل عمرن، آية ٩٦.
٨٩-الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ٢٥.
٩٠-الأزرقي، ج١، ص ٣٦؛ وقد روي بعض الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع، فقال عليه الصّلاة والسلام، أرسل الله تعالى جبريل لآدم وحواء وأمرهم ببناء بيت وخط لهم حدوده، فحفر آدم الأسس وأقام الجدران، وكانت حواء تحمل المياه والتراب، ثمّ نادى مناد، يا آدم إنّ الله يأمرك أنْ تطوف بالبيت، وقال أنت يا آدم أول البشر، وهذا البيت أول البيوت (عبد القادر حمزة

كوشك، الحرمان الشريفان بين التجربة والرؤية الحضارية، توسعات وعمارة الحرمين الشريفين، جدة ١٩٩١، ص ٥.)
٩١- الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص.٥١
٩٢- القرآن الكريم، سورة إبراهيم، آية .٣٧
٩٣- لبئر زمزم أهمية كبيرة سواء في عهد الجاهلية أو بعد الإسلام، ولأنها كانت مصدر المياه الوحيد الدائم في مكّة فقد كانت ترى اهتمامًا كبيرًا من العرب في الجاهلية أو بعد الإسلام، وقد قال عنها سيدنا إبراهيم خير آبار الأرض بئر زمزم، (الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المجموع الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بغداد ١٩٧٨، ج١٠، ٩٨؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ٥٥).
٩٤-الحسن البصري، فضائل المجاورة في مكة، (الترجمة التركية الأميرالاي مصطفى حامي) استانبول، ص ٢٥، وقد ذكر في الكتاب الكثير من الآيات والأحاديث في فضل مكّة والمدينة).
٩٥- القرآن الكريم، سورة البقرة، آية ١٢٥-١٢٧؛ ولمعلومات أكثر انظر: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، ١٤١٦، ج١، ١٦٣؛
.Elmalı Hamdi yazır, Hak dini Kuran dili, Istanbul 1992, c.1, 402-410
٩٦- القرآن الكريم، البقرة، آية ١٢٥.
٩٧- القرآن، الحج، آية ٢٦-٢٨.
٩٨- القرآن، التوبة، آية ١٩.
٩٩- نفس السورة آية رقم ١٨.
١٠٠- البخاري، فضائل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة، ج١/١، ج٢، ٥٦.
١٠١- تجريد الصريح، ج٤، ١٦٦؛ لمعلومات عن تفضيل مكّة على المدينة انظر: وهبة الزحيلي، موسوعة الفقه الإسلامي، (ترجمه إلى التركية: أحمد أفة وغيره) استانبول ١٩٩٣، ج٤، ١٧١-.١٧٢
١٠٢- روي عن أبي ذر أنه سأل رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- عن أول مسجد أسس على الأرض، فقال له الرّسول (صلى الله عليه وسلم) المسجد الحرام، فقال ثمّ من؟ فقال عليه الصّلاة والسلام المسجد الأقصى، فقال له: وكم سنة بينهم؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أربعون سنة، ثمّ قال علية الصّلاة والسلام: وإذا أدركت الصلاة في أيهما فصلِّ. (كتاب المساجد وموضوعات الصلاة، ج١، ٣٧٠)، وعدد الأربعين المذكور في الحديث الشريف مجازي، لأنّ الشريحة الزمنية بين إنشاء المسجدين كبيرة، وليست قصيرة هكذا، لأننا لو افترضنا أنّ سيدنا إبراهيم هو باني المسجد الحرام وليس سيدنا آدم فستكون المدّة بين إبراهيم وسليمان الذي بنى المسجد الأقصى مئات السنين، كما أنّ لفظ أربعين كان يستخدم بين العرب للدلالة على الفترة الطويلة مجازًا.
١٠٣- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، استانبول ١٤١٣، ج٥، .٦٩٦
١٠٤- الترمذي، الحجّ ٤٩، ج٣، .٢٢٦
١٠٥- لمعلومات أكثر عن الحجر الأسود انظر: الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ٣١١؛ الفاسي، شفاء، ج١، ٣٠٩- .٣١٤
١٠٦- الفاسي، شفاء، ج١، ٢٠٦؛ أحمد راسم، المناقب، ص ٤٥١.
١٠٧- الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ٢٧٩- .٢٨٢
١٠٨- أوليا جلبي، الرحلة، استانبول ١٩٨٥، ج٩، .١٧٤

١٠٩- الفاسي، الشفاء، ج١، ٧٥- ٨٥.
١١٠- شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، ج٤، ٤٢٤٥- ٤٢٤٦؛
.Sert Oğlu, a.g.e, s. 213
١١١- ابن النجار، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة،(تحقيق: محمد زين الدين محمد العزب، المدينة ١٤١٦، ص ٢٩.
١١٢- المرجع نفسه، ص ٢٩.
.113- Semavi Iyice, IA, Istanbul 1993, VII, s. 5
١١٤- التجريد الصريح، ج٤، ٢٠٥.
١١٥- المدّ والصّاع مقياس لحبوب، ويختلف في وزنه طبقًا لكلّ منطقة، فيقال على مدّ المدينة المدّ النبوي، ووزنه ٠٧٥ مثقال. أمّا الصاع فوزنه ٣ مثقال
.Alfrid Bil , "sa "IA, 1993. c.10, 1
١١٦- البخاري، البيوع، ج٣، ٢٢.
١١٧- خليل إبراهيم مولا الخاطر، فضائل المدينة المنورة، جدة ١٤١٣، ١-٢، ص ٥٨.
١١٨- مسلم، كتاب الحج، ٤٧٩، ج١، ١٠٠٣.
١١٩- لمعلومات أكثر انظر: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، القاهرة، ١٣٣٦هـ، ج١، ص.٢
١٢٠- البخاري، فضائل المدينة، ج٢، ٢٢١.
١٢١- المرجع نفسه، نفس الصفحة.
١٢٢- البخاري، فضائل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة، ج٢، ٥٧.
١٢٣- الزحيلي، موسوعة الفقه، ج١٠، ١٧٩.
١٢٤- الفاسي، الشفاء، ج١، ١٠٧.
١٢٥- الفاسي، الشفاء، ١١٦.
١٢٦- ابن النجار، تاريخ المدينة، ص ٣١-٣٣.
١٢٧- ترجم هذا الكتاب إلى التركية الأميرالآي مصطفى حامي باشا، وطبع في استانبول عام ١٢٨٠ تحت اسم فضائل المجاورة في مكة.
١٢٨- الأرزقي، أخبار مكة، (تحقيق رشدي الملحاس، بيروت ١٣٩٩. وتلك هي بعض المؤلفات التي ألفت عن مكّة والكعبة: أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفقيه، أخبار مكّة في قديم الدهر والحوادث، مكّة ١٤٠٧، ٤ أجزاء؛ تقى الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي، الشفاء، (تحقيق عمر التدمري، بيروت ١٤٠٥، جزءان.
١٢٩- أبو زيد عمر بن شبة النميري، كتاب تاريخ المدينة المنورة، جدة ١٣٩٩، ٤ أجزاء؛ وتلك هي الكتب التي ألفت عن المدينة المنورة: عمر فاروق السيد رجب، المدينة المنورة اقتصادية المكان والسكان، جدة ١٣٩٩؛ شهاب الدين بن عباس أحمد السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، بيروت ١٤٠٤، ج١؛ ابن النجار الدرة الثمينة، مرجع سابق، المدينة ١٤١٦.
١٣٠- يطلق هذا التعبير على العرب الذين أصبحوا عربًا، ويقابله العرب العاربة، ولمعلومات أكثر انظر: أبو منصور هشام بن محمد ابن الثائب الكلبي، جمهرة النسب، (تحقيق ناجي حسن) بيروت ١٤٠٧، ص.١٧
١٣١- لمعلومات أكثر عن نسب قريش انظر: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت ١٤٠٥؛ موفق الدين أبو محمد عبد الله ابن قدامة المقدسي، كتاب التبيين في أنساب القرشيين، (تحقيق محمد نائف الديلمي)

بيروت (١٩٨٨) ١٤٠٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: زهير ذكار ورياض الزركلي، بيروت(١٩٩٦) ١٤١٧، ١٣جزء.
١٣٢- الفاسي، سابق، ج٢، ١٠٦-.١١٩
١٣٣- الأزرقي، سابق، ج١، .١٠٣
١٣٤- ابن هشام، السيرة، ج١، ١٤٠.
١٣٥- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، القاهرة ١٣٢٦هـ، ج٢، .١٩
136 – Seyyid muhammed es seyyid Mahmud, "deşişe "DIA, Istanbul 1994, c.10, 214.
١٣٧- الفاسي، سابق، ج٢، ١١٢-١١٣.
١٣٨- الأزرقي، سابق، ج١، .١١٩
١٣٩- ابن هشام، السيرة، ج٢، ١٢٩.
١٤٠- السمهودي، سابق، ج١، .٣٣٨
١٤١- مولا خاطر، سابق، ص .٣٥٥
١٤٢- السمهودي، سابق، ج١، .٣٣٧
١٤٣- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، بيروت ١٤١٠، ج٣، .٥٧١
١٤٤- الأزرقي، سابق، ج١، .٢٥٣
١٤٥- الأزرقي، سابق، ص .٢٥٤
١٤٦- الذراع وحدة قياس قديمة، وطوله من الرسغ وحتى آخر الأصبع الأوسط،(الأختري، أختر الكبير، ج٢، ٣٢٦؛ شمس الدين سامي، القاموس، ص ٦٤٧).
١٤٧- مجدي محمد الحريري، توسعة وعمارة المسجد الحرام، جدة ١٩٩١، ص ٢١.
١٤٨- الحريري، ص ٢٠؛ وذكر أنّ أول مَن وضع القناديل في نفس العام لإضاءة الكعبة هو أبو سفيان، ولكنّ الصواب أنه عتبة بن الأزرق (الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ٢٥٢.)
.149- Semavi Iyice, "Cami" IA, c.8, s. 38
١٥٠- المرجع نفسه، ص ٤٤.
١٥١- ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت ١٤٠٠، ج٨، ٢٥٠-.٢٥١
١٥٢- ابن كثير، التفسير، ج١، .١٧٥
١٥٣- الأزرقي، سابق، ج١، ٢١٨-٢٢٠ ز
١٥٤- الزحيلي، سابق، ج١٠، ١٦٨؛
.Hakkı, Dursun Yıldız, Emeviler, Büyük islam Tarihi, c. 11, s. 369
.155- Münir Atalar, Surre ve Surre Alayları, Ankara 1991, s.3
وبالرغم من أنّ محمد الأمين المكي يذكر أنّ أوّل مَن قام بإرسال الصّرّة هو الخليفة المقتدر بالله من الخلفاء العباسيّين، وأنه لم تقمْ أيّة دولة بإرسالها حتّى عهد العثمانيّين؛ إلّا أنّ هذا يخالف الحقائق التاريخية والمعلومات التي في أيدينا.(محمد الأمين المكي، خدمات سلاطين آل عثمان المبرورة والمشكورة للحرمين، استانبول ١٣١٨، ص،.٩
156- Münir Atalar, Türklerin Mekkeye yaptıkları ekonomik yardımlar, .AÜ, IFD, XXXI, Ankara 1989, 263
.157- Münir Atalar,Surre, s. 3
.158-A.e, s. 3

.159- Seyyid muhammed, "deşişe" , a,g,m , s. 214

١٦٠- الحريري، توسعة المسجد الحرام، سابق، ص ٢٠.
١٦١- ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة١٤١٠هـ، ج١، ١٨٩؛
Eyyup Sabri paşa, mirat Mekke, Istanbul 1301, II-I, 731.Mustafa .Bilge, "Ayni zübeyde" DIA, c.4, Istanbul 1991, s. 270-280
.162- Bilge, a,g,m, s. 280
١٦٣- الأزرقي، سابق، ج٢، ٣٢٧.
١٦٤- المكى، سابق، ٤٠.
١٦٥- الفاسي، سابق، ج١، ص ٣٦٠.
١٦٦- المرجع نفسه، ص ٣٦٤.
.167- Sabri paşa, Mirat Mekke, Istanbul 647
١٦٨- العسقلاني، فتح الباري، ج٣، ٥٨٥- ٥٨٦.
.169- Münir Atalar, "Emir el Hac" DIA, Istanbul 1994, XI, 132
١٧٠- محمد أمين، الأوقاف، ص ١٠٥؛ مصطفى محمد رمضان، وثائق محسنات الحرمين الشريفين في مصر إبّان العصر العثماني، الكتاب الأول، الرياض ١٩٧٩، ص ٢٦٥.
.171- Sabri paşa, Mirat Mekke, Istanbul, s. 850-851
١٧٢- محمد أمين، الأوقاف، سابق، ص ١٠٥.
.173- Şair Nabi Seyahtnamesi, s. 75
١٧٤- فوزية حسين مطر، عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتّى العصر العثماني، مكّة ١٤٠٦، ١١٢- ١٢٣.
١٧٥- المرجع نفسه، ص ١٥٧- ١٦٢.
١٧٦- صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة التطور العمراني والتراث المعمارى، بيروت ١٩٨١، ص ٨٠.
.177- Sabri paşa, Mirat Mekke, Istanbul, s.665-666
١٧٨- لمعي مصطفى، سابق، ص ٨٢.
١٧٩- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٣٨٦، ج٥، ٨٣٩. استمر هذا العمل الذي شرع فيه السّلطان بيبرس في العهد العثماني، وحتى الآن تغسل الكعبة كلّ عام بماء الورد الذي يستخرج من ورود إقليم إسبرطة بتركيا.
180- Ibrahim Ateş, Osmanlılar zamanında Mekke ve Medineye gönderilen para ve hediyeler, VD, XIII, Ankara 1981, s. 115.Bahl, ."mahmel" IA, VII, s. 151-152
١٨١- الأردب اسم يعطى للتّسع كيْلات استانبولية، ولأنّ الكيلة الاستانبولي تساوي ٢٥ كيلو فإنّ الأردب ٢٢٥ كيلو جرامًا، (الأختري، ج١، ص٢٩.)
١٨٢- للاطّلاع على وقفية دشيشة بيبرس انظر: TSMK رقم ٣٠٢٦.
١٨٣- ستانفرد شو، التطور والتنمية في مصر العثمانيّة من عام ١٥١٧ حتّى ١٧٩٨، برينستون ١٩٦٢، ص ٢٦٩؛ عبد اللطيف إبراهيم، وثائق الأوقاف على الأماكن المقدسة، الكتاب الأول، الرياض ١٩٧٩، ص ٢٥٢.

١٨٤- كان يرسل ١٢ حملًا من البقسماط لفقراء الحرمين عام ٩٨٧هـ من دخل أوقاف الغوري. (الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، ج XL ص ٣٥٨).
١٨٥- TSMK.EH ٣٠٢٦.
١٨٦- محمد أمين، الأوقاف، ص ١٠٦.
١٨٧- عبد اللطيف إبراهيم، وثائق الأوقاف، ص ٢٠٣- ٢٠٤.
١٨٨-المقريزي، كتاب العز والاعتبار في ذكر الخطط والأعصار، مصر ١٣٢٤، ج١، ص ٢٩٥.
.189-Ziya Kazıcı, islam müeseseleri tarihi, Istanbul 1991, s. 198
.190-Erdoğan Merçil, Gazneliler devleti tarihi,Ankara 1989, s. 93
١٩١- ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ٦١.
.192- M.F. Köprülü, Türk islam Hukuk Tarihi,Istanbul 1986, s. 384
١٩٣- ابن خلدون، العبر، سابق، ج٧، ص ٢٦٥؛
Ismail Yiğit, Siyasi, Dini , kültürel sosyal Tarihi Endelüs Beni Ehmar .devleti, Istanbul 1995, c.9, 222
.194- Ramazan Şeşen, Eyyubiler, DGBIT, Istanbul 1989, VI, 409
١٩٥- عبد اللطيف إبراهيم، وثائق، ص ٢٥١- ٢٥٢.
.196- - Sabri paşa, Mirat, s. 670. Ibrahim Ateş, Osmanlılar, s. 115
١٩٧-عبد اللطيف إبراهيم، سابق، ص ٢٥١- ٢٥٢.
.198- M. Atalar, Türklerin Kabeye, s. 263

حواشي القسْم الأوّل

١- محمد نشري، كتاب جهاننما، (نشر فائق رشيد أوناط)، أنقرة ١٩٨٧، ج١، ص ١٠٢.
٢- فريدون بك، منشآت السلاطين، استانبول ١٢٧٥، ج١، ص ١٤٥- ١٤٦.
٣- نصائح السّلطان مراد الثاني لمحمد الفاتح (نشر عبد الله أوجمان، استانبول، بدون تاريخ، ص)٢٩؛
Osman Turan, Türk Cihan Hakimiyeti Mefkuresi, Istanbul 1993, c.2, .60-71
٤- خوجة سعد الدين أفندي، تاج التواريخ، استانبول ١٢٧٩هـ، ج١-٢، ص ٤٦ ؛
Muhemmed Harb, I.Selimin Surye ve mısır seferi, Istanbul 1986, s. .26
٥- للاطّلاع على معلومات أكثر بخصوص إمارة "ذو القادر" انظر:
Refet Yinanç, Dulkadir Beğliği, Ankara 1989, s. 62- 79. Harb, a,g,,e, .s. 27-28

.6- Ismail Hakkı Uzunçarşılı, "Bayezid II" c.2, Istanbul, 1993, IA, 392
٧- دورسون بك، تاريخ أبو الفتح محمد خان، استانبول ١٣٣٠هـ، ص ١١٦.
٨- للاطّلاع على معلومات أكثر انظر:
M. Yakub Muğul, portekizliler kızıldenizde mücadele ve Hicazda osmanlı hakimiyetinin yerleşmesi hakkında bir vasika, Belgeler, T.T.B.D, Ankara 1976, 1-11, 37- 46. Hulusi Yavuz, 16. asırda islam dünyasında osmanlı portekiz mücadelesinin sebebleri, Marmar Üni, .Ilahiyat Fak dergisi, sayı 3-4, Istanbul 1985, s. 49 -77
٩- لمعلومات أكثر انظر:
Mustafa Güler, Yavuz Sultan Selimin Mısır seferi, M.Ü, sosyal .Bilimler Enis, Basılmamış yüksek lisans Tezi, Istanbul 1994, 17-18
.10- Mehmet Ali Ünal, Osmanlı Müeseseleri tarihi, isparta 1997, s. 9
١١- لمعلومات أكثر عن حملة سليم على مصر انظر:
.Mustafa Güler,a,g,e , s. 20-37
١٢- جلال زادة مصطفى، سليم نامة (نشر أحمد أوغور مصطفى جوخة دار،) أنقرة ١٩٩٠، ص ٤١٦.
١٣- لأنّ فتح مصر يعني الاعتراف بتبعية الحجاز للدّولة العثمانيّة فقد اكتفينا هنا بتلك المعلومات فقط، ولمعلومات أكثر انظر: Mustafa Güler,a,g,e، ابن إياس، بدائع الزهور في وقايع الدهور، القاهرة ١٣١١هـ، ج٤-٥، Salaheddin Tansel, Yavuz Sultan Selim , Ankara 1968، سلاحشور، فتح نامة ديار عرب، (صلاح الدين طانسل)الوثائق التاريخية، ١٧/١، استانبول ١٩٥٨، ص ٢٩٤- ٣٢٠ ؛ حيدر جلبي، روزنامة، استانبول ١٩٧٧.
١٤- بعض من تلك الأمانات المقدسة سلمت للسّلطان سليم في مصر وبعضها الآخر تداركه سليم في استانبول وحفظت كلها في غرفة الأمانات المقدسة بقصر طوب قابي سراي وهي: أثر قدم النبي، زوج من نعال النبي، الخرقة الشريفة، سجادة النبي، سجادة أبي بكر، الراية الشريفة، سيف الرسول وعصاه، وعاء نوح، وعاء سيدنا إبراهيم، قميص يوسف، رأس سيدنا زكريا، سيف داود، قميص حمزة، قميص السيدة عائشة، مسبحات الخلفاء الراشدين، وسيوفهم، وألويتهم، وسيوف العشرة المبشرين بالجنة، نسخة من القرآن الكريم بخطّ سيدنا عثمان، وأخرى بخطّ علي بن أبي طالب، مفاتيح الكعبة، باب التوبة، باب مقام إبراهيم،
.Sabri paşa, Mirat Mekke, a,g,e, s. 673-676
15- I.H.Uzunçarşılı, Mekke mukarama Emirleri, Ankara 1972, 17.
١٦- ابن إياس، بدائع، ج٥، ص .١٩٠
١٧- جلال زادة، سليم نامة، ص.٤٣٥
١٨- المكى، الخلفاء العظام، ص .٢١
١٩- صولاق زادة محمد همدمي جلبي، صولاق زادة تاريخي، استانبول ١٢٩٧هـ، ج٢، ٤١٠، مصطفى نوري باشا، نتايج الوقوعات، استانبول ١٣٢٧، ج١، ص.٨٢
٢٠- خوجة سعد الدين أفندي، تاج التواريخ، ج٢، ٦١٥؛
.Osman Turan, Türk cihan, c.2, s. 77-78
21- I.H.Uzunçarşılı, Mekke, s. 18..

٢٢- عندما حدثت ثورة القرامطة عام ٨٩٤م استولى الثوار على مدينتي مكّة والعراق، وفي عام ٩٣٠م أخذوا الحجر الأسود من مكانه ونقلوه إلى البحرين.
.L. Masignon, "Karmati "IA, c. 6, 353
23- I.H.Uzunçarşılı, a,g,e, s.4
.24-A.e ,s. 70
.25-A.e, s.70
٢٦- مشايخ الحرم هم الأشخاص الذين ينوبون عن السّلطان العثماني في المدينة ومكة، وكان أكثر اهتمامهم بشئون الصّرّة والحج، وبمرور الوقت أصبح أمراء مكّة هم الذين يقومون بهذا الدور.
27- Seyyid muhammed es seyyid Mahmud, 16. asırda Mısır eyaleti, .Istanbul 1990, s. 265
28- Hulusi Yavuz, 160 asırda Osmanlı- Hicaz Münasebetleri .Hakkında Notlar, IM, IV, 2 istanbul 1979, 67
.29- Seyyid muhammed es seyyid Mahmud, a,g,e, s. 282
30-Hulusi Yavuz, Kabe ve Haremeyn için Yemende Osmanlı .Hakimiyeti, istanbu 1984, s. 45
.31- I.H.Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, Istanbul 1994, c.1 , 414-415
.32- Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 125
٣٣- ستانفرد شو، التنظيم المالي والإداري في مصر العثمانية، برينستون ١٩٧٩، ص .٢٥٢
.34-Yılmaz Öztuna, Büyük Türkiye Tarihi, Istanbul 1979, XIV, 12
.35- Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, s. 167
٣٦- ثريا فاروقي، الحجّاج والسلاطين، الحجّ في العهد العثماني، استانبول ١٩٩٥، ص.٨٢
٣٧- ثريا فاروقي، مفهوم الدّولة العثمانيّة والحج، مؤتمر التاريخ التركي العاشر، أنقرة ١٩٩٣، ص ٢١١٠.
38- Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 166.
٣٩- الشريف محمد صادق، مادر دنيا، استانبول ١٣٢٤هـ، ص ٤٧
40- Hulusi Yavuz, Yemen, a,g,e, s.134.
٤١- عبد الرحمن الحبري، مناسك المسالك، مكتبة السليمانية، قسم لالة إسماعيل أفندي، رقم ١٠٤؛
.Eyyup Sabri , miret ceziretülarap, Istanbul 1301, 234 -244
Latif Armağan, Osmanlılar zamanında Hac yolu ve menziller, ist.Ünv, .S.B.Ens, basılmamış yüksek lisans tezi, Istanbul 1990
.42- Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9,209
٤٣- تاريخ صولاق زادة، ج٢، ص ٣٢٨.
.44- BOA, MAD, III, 563
٤٥- للاطّلاع على وقفية صقوللو محمد باشا انظر: مكتبة ملتْ، التاريخ رقم، ٩٣٣، ورقة ١٩-٢٣ أ.
٤٦- يعدّ هذا المكان- أيضًا- نزلًا للقادمين لزيارة قبور الأنبياء الموجودة في القدس وخليل الرّحمن.
٤٧- للاطّلاع على وقفية لالة مصطفى باشا، VGMAرقم ٢١٣٤، ص ١٥٢- .١٥٤
٤٨- نفس الوقفية، .١٥٥

٤٩- VGMAKرقم ٧٤٧، والتمليك على هذا الشكل:
قدوة الأماجد والأكارم جامع المحامد والمكارم المختص بمزيد عناية الملك العلام دفتردار تيمارات الروملي محمود دام مجده، عندما يصل أمري هذا لتعلم أنْ، أرسل مصطفى باشا أمير أمراء الشّام رسالةً لسدّة السّعادة لقد كانت قرية قوناى ترا الواقعة بالقرب من جسر اليعقوب التي على طريق مصر القدس مجمعًا للأعراب المفسدين وقطّاع الطرق، وكانوا دائمًا ما يتلفون أموال وبضائع التجّار وأبناء السبيل، وكان يلزم وضع قلعةٍ على النزل المذكور للتخلص من فساد هؤلاء العربان، كما بني تكية وحمّامًا وجامعًا شريفًا وحمّامًا ودكّاكين لروح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقفت لها بعض القرى والمزارع القابلة للتمليك بالحساب الشرعي، ولكن نظرًا لتحصيل العشر منها استاءَ الملّاك، وأصبحت أوقاف المدينة المنورة الموجودة في تلك الديار حرّة مرفوعة القلم، وقد أصدرت أمري بأنْ تكون تلك القرى والمزارع كسائر أوقاف الحرمين الشّريفين خاليةً من العشر وما شابه ذلك، وعندما يصل مكتوبي هذا ليتمّ العمل بما جاء فيه من إعفاء لتلك القرى والمزارع التي اشتراها المُشار إليه من العشر وسائر الرسوم الأخرى، وأن تسير على نفس الأصول التي تسير عليها أوقاف الحرمين الشريفين، وليعتمد هذا بالختم الشريف تحريرًا في أواخر ذي القعدة سنة ٩٧٤هـ.

٥٠- للاطّلاع على وقفية لالة مصطفى باشا انظر: VGMA، رقم ٧٤٧ ص ١٥٦ -١٥٨.

.51- Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 104

٥٢- للاطّلاع على وقفية فاطمة خاتون زوجة مصطفى باشا انظر: VGMA، رقم ٧٤٧، ٣٠٤.

.53- I.H.Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, c.2, s. 370

.54-A.e s. 389

.55- Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 114

56- BOA, MAD,XLVIII, 749.

٥٧- VGMAkرقم ٧٣٩، ص ٦٦.

٥٨- أوليا جلبي، الرحلة، ج٩، ص ١٤٩.

٥٩- للاطّلاع على وقفية طورخان سلطان انظر: مكتبة طورخان سلطان، رقم ١٥٠، ورقة ١٤-١٦.

٦٠- للاطّلاع على معلومات بخصوص أغا دار السّعادة محمد أغا بن عبد الكريم ووقفيته انظر: TSMK.EHرقم ٣٠٠٠.

.61- BOA, EV, HMK, SR, nr 392, vr 5a-b

.62- BOA, EV, HMK, SR, nr 398

.63- BOA, EV, HMK, SR, nr 398

٦٤- لمعلومات أكثر في هذا الموضوع انظر: ماركو سلاطي، العربان والعواصم، وأسرة الزهراوي، حمص ١٩٩٥، ص ١٨٥- ٢٠١.

٦٥- الدفتردار صاري محمد باشا، زبدة الوقعيات، (أعدّه للنشر عبد القادر أوزجان) أنقرة ١٩٩٥، ص ١٢٨.

٦٦- ثريا فاروقي، مرجع سابق، ص ٤٦.

.67- BOA, MD, LXII, 120

68-Rakun Bdor, 16 -17. yüzyıllarda Osmanlı imparatorluğunda Ürdün .–Şam Hac yolu, Ankara 1993, s. 64

.69- BOA, MD,XXVI, 98
.70- BOA, MD,XXXV, 377
٧١- للاطّلاع على الحكم الصادر لأمير أمراء الشّام والدفتر دار في ١٢/ رجب/ ٩٨٦ انظر: الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، XXXV/ .٥٦٠
٧٢- للاطّلاع على وقفية ماهبيكر كوسم سلطان انظر: مكتبة ملت، التاريخ رقم .٩٣١
٧٣- VGMAرقم، ٧٤٤، ص ٤١-٤٢، هذه الوثيقة موجودة بمكتبة السليمانية مؤرّخة بتاريخ ١٠٦٦هـ وتحتوي على الشروط الواردة بها.
٧٤- VGMAرقم ٧٣٩، ص .٦٦
٧٥- ليواديا مقاطعة تقع شمال غرب أثينا حاليًا في اليونان.
٧٦- للاطّلاع على وقفية ماهبيكر كوسم سلطان انظر: مكتبة ملتْ، التاريخ، رقم ٩٣١،
.Müctepe Ilgürel, Kösem Sultan vakfiyesi, TD, XVI,16, Istanbul 1966
٧٧- وقفيّة طورخان سلطان، مكتبة السليمانية، قسم طورخان سلطان، رقم ١٥٠، ورقة ١٤-.١٦
٧٨- للاطّلاع على وقفية مصطفى أغا انظر: TSMK.EHرقم .٢٢٩٥
٧٩- شو، مرجع سابق، ص .٢٥٠
٨٠- وقفية كوسم سلطان، سابق، ص .٩٣١
.81- BOA, MD,XIV,331
٨٢- حكم لقاضي المدينة مؤرّخ بتاريخ ٩/ شوال/ ٩٧٣هـ، الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، ج٥، .١٢٦٥
٨٣- حكم لأشراف المدينة المنورة مؤرخ بتاريخ ٢٥/ شعبان/ ٩٨٤هـ، الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج٢٨، .٤٨٣
.84- BOA, MD,XXII, 250
٨٥- حكمٌ مرسل لأمير الحجّ المصري بتاريخ ١٤/ صفر/ ٩٨٥هـ، الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج٣٠، .٢٧٧
٨٦- TSMA.٥/١١٥٧٥
٨٧- ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة١٤١٠هـ، ج١، ١٨٩؛ أيوب صبري باشا، مرآة، ج٢، ص٤١؛
.Mustafa Bilge, Ayin zübeyde, a,g,m, s. 270-280
88-Eyyup Sabri, Mirat Mekke, s. 738.Ahmed Rasim , menakib el .islam, istanbul 1325, c.2 , s. 103
.89- Eyyup Sabri, Mirat Mekke, s.739
.90-Seyyid Muhammed, "deşişe" a,g,m , 214
.91- Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 184
.92- Sabri paşa, Mirat,a,g,e,s. 740 -741
.93-A.e ,s. 740
.94-M. Cavid Baysun, "Mihrimah sultan "IA, c.8, 308
.95-M. L. Bilge, "Ayni zübeyde "DIA, Istanbul 1991, c.4, 280

٩٧-محمد أمين المكي، سابق، ٢٦؛ الأرقام المعطاة عن إنشاء طريق المياه مختلفة فقد كانت في البداية ٣٠.٠٠٠ عملة فلورية، ثمّ أصبحت ١٠٠.٠٠٠، ثمّ أصبحت ٥٠٠.٠٠٠ عملة فلورية، وهذا ما ذكره المكي، أمّا أحمد راسم فيذكر أنّ هذا الرقم ١٠٠.٠٠٠ عملة فلورية.

.98- BOA, MD, VII, 690

.99- BOA, MD,VII, 691

.100- BOA, MD,VII, 914

.101- BOA, MD,VII, 981

.102 BOA, MD,VII, 983

.103- BOA, MD,VII, 984

.104- BOA, MD,XIV,1416

.105- BOA, MD,XVI, 41

.106- BOA, MD,XIX,704

.107- BOA, MD,XXIX, 335

١٠٨- محمد صادق، سابق، ص ٦٥؛ المكي، سابق، ص٣٦؛ ولمعلومات أكثر انظر: أيوب صبري باشا، سابق.

.109- BOA, MD,XXIV, 227

.110- Ahmed Rasim, a,g,e, s. 114

١١١-المرجع نفسه، نفس الصفحة؛ المكي، ص ٣٣.

١١٢-وقفية صقوللو محمد باشا، ورقة ١٩أ- ٢٤ ب؛ أيوب صبري، سابق، ج٣-٤، ص ٧٢٠-٧٢١.

.113- Sabri paşa, Medine, s. 723

114- rasim, c. 2. s. 690. Mekki, s. 42.

.115- BOA, MD,XLIII, 533

١١٦-وقفية طورخان والدة سلطان، ورقة ٧١-٧٢.

١١٧-البركة، المكان الذي تتجمع فيه المياه في المساجد وغيرها، انظر: الأختري، سابق، ج١، ص ٩٧؛ شمس الدين سامي، سابق، ص ٢٨٩.

١١٨- VGMAرقم٧٤٤، ص ٤١-٤٢.

١١٩- VGMAرقم ٧٤٧، ص ٢٧٣-٢٧٤.

١٢٠- VGMAرقم ٧٤٧، ص ٣٠٤.

121- I.H.Uzunçarşılı,Osmanlı tarihi, c.2 , s. 389. Aktepe, "Kemenkeş .Mustafa paşa "IA, c.8, 332

١٢٢- TSMK.EHرقم ٢٩٩٥.

.123- BOA, MAD, nr 1806, vr 6b. BOA ,EV, HMK, SR, nr 10, vr 13 b

١٢٤- فون هامر، سابق، ج٤، ص ٢٣٩.

١٢٥-لمعلومات أكثر انظر: نهال بولند، آثار المعمار سنان في مكّة والمدينة، استانبول ١٩٨٨، ص ٣٤٦.

.126- BOA, MD, nrLVIII, 699

.127- Sabri paşa, Mekke, s. 850

١٢٨- ستانفرد شو، سابق، ص ٢٥٩.
١٢٩-المرجع نفسه، نفس الصفحة.
١٣٠-للاطّلاع على وقفية القانوني لكسوة الكعبة انظر: مكتبة بايزيد، قسم ولي الدين أفندي، رقم ٢٣٩٨/ ورقة ٧٥ أ- ٧٩ ب.
١٣١- محمد صادق، سابق، ص ٣٨.

.132- BOA, MD, XVI, 405
.133- BOA, MD, XXX, 41
.134- BOA, MD, XLII, 204
135- Sabri paşa, Medine , s. 753.

١٣٦- نعيما مصطفى أفندي، تاريخ نعيما، استانبول ١٢٨١هـ، ج٢، ٨٣.
١٣٧- نفس المصدر، والصفحة، وينقل أيوب صبري باشا عن عمل الكسوة في استانبول وإرسالها للحرم المكّي ما نصّه:
صنعت الستارة الشّريفة التي أمر السّلطان المشار إليه بصنعها في استانبول من قماش يزن ٤٨.٠٠٠ درهمًا، و ١.٠٦٠ حرير حلبي، قد كانت غاية في الصنعة والمهارة في النسج بدرجة يمكن القول معها أنّه لم يصنَعْ مثلها قبل ذلك، كما بدء في السّنة المذكورة في نسج نطاق بيت الله الحرام، وكذا كسوة لمرقدِ السّيدة فاطمة (أيوب صبري باشا، مرآة مكة، سابق، ص ٨٦١-٨٦٢).
١٣٨- نعيما، مرجع سابق، ص ٨٣.

.139- Nihal Bülent, a,g,e, s. 346

١٤٠- القرآن الكريم، سورة النمل،آية ٣٠.
١٤١- المكي، مرجع سابق، ص ٢٥.

.142- Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9167
143- Sabri paşa, Mekke, s. 761 -762.

١٤٤- محمد أفندي الأدرنوي، نخبة التواريخ والأخبار، استانبول ١٢٧٦، ص ١٣٢.
١٤٥- المرجع نفسه، ص ١٣٣.
١٤٦- حكم مرسل لأمير أمراء مصر في ٢١/ ذي الحجة/ ٩٨٠هـ/ ٢٤/ ٤/ ١٥٧٣.(الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ٢١/ ٤٨٥).

.147- BOA, MD,XXI, 486
.148- BOA, MD, XXI, 487
.149- BOA, MD,XXI, 488
.150- BOA, MD,XXIII, 6
.151- BOA, MD,XXIII, 7
.152- BOA, MD,XXIII, 8

١٥٣- الأدرنوي، نخبة، سابق، ص ١٣٣.
١٥٤- نفسه، ونفس الصفحة.

.155- BOA, MD,XXVII, 397
.156- BOA, MD,XXVII, 882

١٥٧- محمد صادق، سابق، ص ٣٩-٤١.

١٥٨- الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج ١٠/ ٣٩١؛ هامر، الدّولة العثمانية، ج٤، ص ٢٨٧ ؛ ويذكر مكي عن هذا المبلغ "وأنفق السّلطان من جيبه الخاص ٢١٠.٠٠٠ مثقال ذهب بخلاف مخصّصات مصر "(الخلفاء العظام، سابق، ص ٢٩.).

.159- BOA, MD, XXXIII, 1

.160-Bekir kütükoğlu, "Murad III" IA, c.8 , 625

١٦١- الأزرقي، أخبار مكة، سابق، ج١، ص ٣٥٥.

١٦٢- المرجع نفسه، ص .٣٥٦

١٦٣- الأزرقي، سابق، نفس الصفحة..

١٦٤- ذكر رشدي صالح الملحاس في آخر هذا الكتاب الذي قام بتحقيقه؛ إنشاءات الكعبة حتّى يومنا هذا، وخاصّة التي أمر السّلطان مراد الرابع بعملها (أخبار مكة، ج١، ص ٣٥٦- ٣٧٣.).

١٦٥- الأزرقي، سابق، ج١، ٣٥٣- ٣٧٦.

١٦٦- محمد باشا، زبدة، سابق، ص ١١٧- .١١٨

١٦٧- مكي، سابق، ص .٢٥

١٦٨- أيوب صبري باشا، مكة، سابق، ص ٧١٨- ٧١٩ ؛ صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة التطوّر العمراني والتراث المعماري، بيروت ١٩٨١، ص ٨٨-.٨٩

١٦٩- أيوب صبري باشا، مكة، سابق، ص ٨٦٠- ٨٦١، المكان المذكور على أنه قبر عليّ يجب أنْ يكون مقامًا؛ لأنّ سيدنا عليّ استشهد في الكوفة، ودفن في قبر غير معلوم.

.170- BOA, MD,X, 549

.171- BOA, MD, XXVII, 397

.172- BOA, MD, XL, 201

١٧٣-الأرشيف العثماني، الدّفاتر المدورة من المالية، رقم ٧٢٢٢، بالرغم من أنّ الدفتر يحوي معلومات عن حسابات هذا العمل الإنشائي، إلّا أنه لم يكن ممكنًا التّحقق من أسماء بعض العمّال الذين شاركوا فيه أو تحديد الرّاتب الذي كانوا يتقاضوه نتيجة لوجود ثقوب في الورق، لذا رأينا أنّه من الأنسب ذكر المبالغ الإجمالية.

.174- BOA, MD, XLIII, 143

.175- BOA, MD, LVIII, 706

.176- BOA, MD, LVIII, 708-709

.177- BOA, MD,XLV, 124

١٧٨- الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، ج ٥٣/ ٨٦٢ ؛ للاطّلاع على الأعمال التي تمّت للمسجد النبوي والترميمات التي تمّت في عهد السّلطان محمود الثاني انظر: إبراهيم آتش، محاولات توسعة المسجد النبوي حتّى اليوم، مجلة الوثائق، عدد ٤٤، أنقرة ١٩٩٤، ص ٥-.٤٣

١٧٩- ابن الأمين، الأوقاف، سابق، ج١، ص ٧١٧.

.180- BOA, MD,XLIII, 157

.181- BOA, MD,V, 1084

١٨٢- السمهودي، كتاب الوفا بأخبار دار المصطفى، بيروت ١٤٠٤، ج١، ٣٩٤- ٣٩٦..

١٨٣ وهبة الزحيلي، موسوعة الفقه الإسلامي، (ترجمة: أحمد أفندي) استانبول ١٩٩٣، ج٤، ص ١٦٨-

١٨٤- لمعي مصطفى، المدينة المنورة، سابق، ص .٨٠

.185- BOA, MD, XL, 201

١٨٦- صولاق زادة، التاريخ، سابق، ص ٦٩٧؛ مكي، الخلفاء، ص ٣٣.

١٨٧- مصطفى نوري باشا، نتايج، سابق، ج٢، ص ٣٤.

١٨٨- المكي، الخلفاء، سابق، ص ٣٣

١٨٩- صولاق زادة، سابق، ص ٦٩٧.

١٩٠- خليل إبراهيم مولا خاطر، فضائل المدينة المنورة، جدة ١٤١٣، ج١، ص ٣٥٥.

١٩١- المكي، سابق، ص ٢٣.

.192- BOA, MD, VI, 93

١٩٣- المكي، سابق، ص ٣٢.

١٩٤- محمد صادق، سابق، ص٢.

١٩٥- المكي، سابق، ص ٣٣.

١٩٦رقم TSMK.EH-٣٠٠٠ .

.197- BOA, EV ,HMK, SR, 12, vr 10

.198- Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9. 182

١٩٩- المرجع نفسه، ص ١٨٦.

٢٠٠- نفس المرجع، والصفحة.

٢٠١- نفس المرجع، ص ١٨٢- ١٨٣.

202- Sabri paşa, Mekke, s. 758- 759. Ahmed Rasim, a,g,e, s. 107..

.203- BOA, EV ,HMK, SR, 10, vr 11 b

٢٠٤- ابن الأمين، الأوقاف، ج١، رقم ١٢٣٣.

٢٠٥- بالرغم من أنّ الأعداد التي ذكرها أوليا جلبي في رحلته عن عدد المدارس الموجودة في مكّة والمدينة، وأنّ عدد مدارس مكّة كان يبدو وكأنّه أعلى من المدينة، إلّا أنه عندما ننتبه إلى عدد السكّان بالمدينة سيتّضح لنا أنّ إقامة التعليم في المدينة أعلى في المعنى الحقيقي في عدد المدارس.
.Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9.137-138

٢٠٦- VGMA رقم ٦٣٥، ص ١٤٥

٢٠٧- وقفية صقوللو محمد باشا، ورقة ١٩ أ..

٢٠٨. نفس الوقفية، والورقة

.209- BOA, EV ,HMK, SR, nr 422, vr 9a

.210-Tayyip Gökbilgin, a,g,e, s. 510

211- Cahid Baltacı, 15 -16. asırlarda Osmanlı medreseleri teşkilatı .tarihi, Istanbul 1976, s. 504

.212- Baltacı, a,g,e, s. 286

.213- Sabri paşa, Mekke, s. 738

.214- BOA, EV ,HMK, SR, nr422, vr 14-15

.215-BOA, MD, XIX, 157

.216- BOA, MD, nr 5643

٢١٧- للاطّلاع على وقف التفسير المخصص للمدينة انظر: مكتبة السليمانية، قسم برتونيال، رقم ٩٠٩، ورقة ٣٨ب- ٣٩ أ.

٢١٨- الحكم المرسل لأمير أمراء مصر في ١/ شعبان/ ٩٨٨هـ/ ١١/ ٩/ ١٥٨٠، الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج٣١، ٨٢٠.

219- Tayyip Gökbilgin, "Hurrem sultan" IA, V-I, 595-596.

٢٢٠- الحكم المرسل لأمير أمراء مصر في ٣/ شعبان/ ٩٨٣/ ٨/ ١١/ ١٥٧٥، الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج٢٧، ١٧١.

.221- Sabri paşa, Medine, s.727

٢٢٢-- المرجع نفسه، ونفس الصفحة.

٢٢٣ - أحكام مرسلة لأمير أمراء مصر في ١٢/ رجب/ ٩٨٨هـ/ ٢٤/٨/ ١٥٨٠، الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج XLIII/ ٣٦٥، ٣٨٦- ٣٩٥- ٣٩٦.

٢٢٤- ابن الأمين، الأوقاف، ج١، رقم ١٣٤٧..

225-Nafiz Öztürk, Türk yenileşme tarihi çerçeveside vakif müesesesi, .Ankara 1995, c.1, s. 181

.226- BOA, MD, XXVIII, 2

٢٢٧-الآيات الواردة بالوقفية هى: آية ٩٤ من سورة الأنعام؛ وآية ٣٨ سورة المدثر؛ وآية ٢٦١ من سورة البقرة؛ وآية ٨٨-٨٩ من سورة الشعراء؛.

٢٢٨- VGMA ١٤٣-١٤٤، ص ١٨-١٩.

٢٢٩-نفس الوقفية، ص ٣٢-٤٠.

٢٣٠- نفس الوقفية، ص ٤٠-٥٠.

٢٣١- نفس الوقفية، ص ٥٥-٥٦.

٢٣٢-نفس الوقفية، ص ٦٧.

٢٣٣- ذكر في الوقفية أنه قد تمّ تخصيص مبلغ ٢.٤٠٠ للإبل المستخدمة في النقل، وخصّص مبلغ ٤١٠ لعمل الاستعدادات (نفس الوقفية، ٥٩).

٢٣٤-نفس الوقفية، ص ٧١-٧٥.

٢٣٥-نفس الوقفية، ص ٧٥- ٧٦.

٢٣٦-نفس الوقفية، ص ٥٠- ٥٥.

٢٣٧- سورة البقرة، آية ١٨١.

٢٣٨- VGMA ١٤٣- ١٤٤، ص ٧٩.

.239- Sabri paşa,Medine , s. 722

.240- Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 185

٢٤١- TSMK.EH رقم ٣٠٠٠.

.242- BOA, MD, LXVII, 356

.243- BOA, MD, LXIX, 136

حواشي القسْمِ الثّاني:

1-Midhet Sertoğlu, Il.Muradın vasiyetnamesi, VD, VIII, Ankara 1961, .67-69

2-Tayyip Gökbilgin, Paşa livasıve Edirne, Vakıflar- Mukattalar-
.Haslar, Istanbul 1952, s. 317
.3-A.e, s.317
.4-A.e,s.318
٥- للاطّلاع على وقفية السّلطان بايزيد الثاني انظر: مكتبة ملتْ، قسم ابن سينا، ف.ك ٤٤، ص ٢٨.
.6- BOA, MAD, nr 1806, vr 2a
٧- الوقفيات، أنقرة بدون تاريخ.ص ١٨٥- ١٩٥.
٨- يذكر م.ج. أولوجاي أنّ اسم هذه الأميرة هو"شاة سلطان "
.M.Ç.Uluçay, padişahların kadıNlarıve kızları, Ankara 1992, s. 24
.9- Tayyip Gökbilgin, a,g,e, s. 386
١٠- الوقفيات، ص ٢٠٧-٢١١.
١١- المرجع السابق، نفس المكان.
12- Ömer Lutfi Barkan – Ekrem Hakki Ayverdi, istanbu vakıfları tahrir
.defteri (1546), Istanbul 1942, s. 95
١٣- عبد الباقي، تاريخ مكّة المكرمة إعلام العالم، ترجمة، مكتبة ملتْ، تاريخ علي أميري، رقم ٥٥٩، ورقة ٩٤ أ- ب.
١٤- وقفية سليمان القانوني لكسوة الكعبة، مكتبة بايزيد، قسم وليّ الدين أفندي، رقم ٢/٢٣٨٩، ورقة ٧٥أ- ٧٩ب.
15- F. Cangüzel, Mihrimah Sultanın VGMAda bulunan vakfilerinin
değerlendirmesi, Gazi Ünv, S.B.Ens, yüksek lisans tezi, Ankara
1989, s. 49.
١٦- للاطّلاع على وقفية خاصكي سلطان انظر: مكتبة السليمانية، قسم أسعد أفندي، رقم ٣٧٥٢، ص ١٦-٢٧،
١٧- VGMAرقم ١٩٦١، ص ٤.
.18- BOA, EV, HMK, SR, 130, vr 4b
١٩-م.عاشق حنفي، ترجمة تاريخ مكّة والمدينة، مكتبة ملتْ، تاريخ عليى أميري، رقم ١٢١٧، ورقة ٢٠١ أ.
٢٠- VGMAرقم ٧٢، ص ١٠٢-.١٠٣
٢١- مكتبة بايزيد، رقم .٥١٥٧
٢٢- رقم ١٩٦٦، ص .٢٣
.23- BOA, EV, HMK, SR, nr 8, vr 7b
.24- BOA, EV, HMK, SR,nr 411, s. 45
٢٥- VGMA٧٤- ١٦٠٧، ص ٥١-.٥٢
٢٦- VGMAرقم، ٦٣٢، ص .٤٥٣
٢٧- VGMAرقم ١٧٦٣، ص ٩ب.
.28- BOA, EV, HMK, SR,130, vr 9b
٢٩- VGMAرقم ٧٤٧، ص ١٢٠ -.١٢٢

٣٠- VGMAرقم ٣- ١٦٢١.

.31- BOA, EV, HMK, SR,401, vr 26b

32-Nafiz Öztürk, "Bayezid oğulları vakıfları ", VD, XXVI, Ankara 1997, .47

.33- BOA, EV, VKF, 8-15

.34- BOA, EV, HMK, SR,nr 8, vr 4b

.35- BOA, EV, VKF, 4-1

.36- BOA, EV, VKF8-18

.37- BOA, EV, HMK, SR,nr 8, vr 4b

.38- BOA, EV, HMK, SR,nr 130, vr 9b

.39- BOA, EV, VKF6-6

.40- BOA, EV, HMK, SR,nr 411, s. 43

٤١- VGMAرقم ٧٤٧، ص ٢٥٦.

٤٢-مكتبة السليمانية، قسم كوبرلو، الملاحق ١، وللوقفية ميكروفيلم بنفس المكتبة مسجل برقم ٤٣٧٠.

٤٣-مكتبة السليمانية، قسم كوبرلو، الملاحق ٢.

٤٤- مكتبة السليمانية، قسم كوبرلو، الملاحق ٤، وللوقفية ميكروفيلم بالمكتبة مسجل برقم ٤٠٢٧.

٤٥- VGMAرقم ١٧٦٣، ص ٣٤٣-٣٤٤.

.46- BOA, EV, HMK, SR,nr 130, vr 4a

٤٧-الاسترباح هو عملية قرض يمنحه إداريو الوقف لذوي الحاجة في الأوقاف المالية.

٤٨- VGMAرقم ٧٣٧، ص٤٥-٤٧.

49- BOA, EV, VKF 22-25.

٥٠- أتان مصطفى هاشم، تاريخ أوقاف قبرص، لفكوشا ١٩٨٦، ج١، ٩٢.

٥١- نفس المرجع، ج١، ٩٣.

52- BOA, EV, HMK, SR,nr 10, vr 70 b.

.53- BOA, EV, HMK, SR,nr 130, 10b

.54- BOA, EV, HMK, SR,nr 130, 9a

VGMA 55رقم ٩٧، رقم مسجل ١١٥١.

.56- BOA, EV, VKF, 15-49

TSMK.EH-٥٧ رقم ٣٠٢٩.

58- BOA, EV, HMK, SR,nr130,11 a.

٥٩- الأرشيف العثماني، دفاتر الصّرة، رقم ١٣٠، ورقة ١١أ، وتوجد- أيضًا- ستة قرى تابعة لسيلسترة كانت ضمن تلك الأوقاف، وتلك هي القرى ودخلها السنوي:

الاسم	الدخل السنوي
بك كوى	٥١.٢٣٤
مزرعة قزانلى	٥.٣٨٠

صو صيغيريق	٦.٦٦٤
أخلاطلى	١٨٣٨
قورد قوفاجة	١٦٧٣٩
مزرعة خضر الفقيه	٦.٩٣١

.60- Tayyip Gökbilgin, a,g,e, s.317

٦١-بعد أنْ تمّ تنفيذ شروط وقف بكتاش خليفة باستانبول وغالاطة، خصّص ثلث المبلغ المتبقي لفقراء المدينة، والرّقم المُعطى عاليه هو محصول الخمس سنوات التي أرسلت للمدينة عام ٩٩٧هـ (الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، رقم ١٨٠٦، ورقة ٥أ).

٦٢-محمد ثريا، سجل عثماني، ناشر، على أطقان، استانبول ١٩٩٦، ج٣، ص ٣٨٢.

٦٣- أمكن تحصيل ٢٠.٠٠٠ أقجة من هذا الوقف عام ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٣م(الأرشيف العثماني، دفاتر الصّرة، رقم ٨، ورقة ٣ أ).

.64-Münir Aktepe, "Kemankeş Mustafa paşa" IA, VIII, 332

.65- BOA, EV, HMK, SR,nr130, 5b

.66- BOA, EV, HMK, SR,nr130, 5b

.67-Mehmed Süraya, sicil osmani, Istanbul 1995, c.1, 200

68- BOA, EV, HMK, SR,nr422, 47 b.

.69- BOA, MAD, nr 1806, vr 3a

.70- BOA, EV, HMK, SR,nr401, 41b

.71- BOA, EV, HMK, SR,nr401, 41b

٧٢-هذا الواقف الذي اشتغل بأمير السنجق في لابطة أوقف دخل مزرعته هناك، (ألطان مصطفى هاشم، مرجع سابق، ج١، ٩٢).

73- BOA, EV, HMK, SR,nr 8, vr 3a.

74- BOA, EV, HMK, SR,nr 8, vr 3a.

75- BOA, EV, HMK, SR,nr 411, 43 a.

.76- BOA, EV, HMK, SR,nr 10, 69 b

77- BOA, EV, HMK, SR,nr 10, 69 b.

78- BOA, EV, HMK, SR,nr 10, 64 b.

.79- BOA, EV, HMK, SR,nr10, 65b

.80- BOA, EV, HMK, SR,nr130, 6a

.81- BOA, EV, HMK, SR,nr130, 14 a

.82- BOA, EV, HMK, SR,nr130, 44 a

.83- BOA, EV, HMK, SR,nr 130, 50b

.84-Barkan- Ayverdi, Istanbul vakıfları, a,g,e, s. 164

85- BOA, EV, HMK, SR,nr130, 10a.

.86- BOA, EV, HMK, SR,nr 130, 10a

٨٧- كانت حاصلات هذا الوقف عام ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٣م ٣.٤٠٠ أقجة، (الأرشيف العثماني، دفاتر الصّرة، رقم ٨، ورقة ٣ أ)

٨٨- المبلغ المحصّل من هذا الوقف عام ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٣م كان ٤٠٠ أقجة.
٨٩- نفس المرجع السابق، ورقة ٩ ب.
٩٠- نفس المرجع، ورقة ٦٣ب.
٩١-نفس المرجع، ورقة ٦٦ أ.
.92- BOA, EV, HMK, SR,nr 422, 79 b
.93-BOA, D.HMH, nr 21375
.94- BOA, EV, HMK, SR,nr 10, 3 ab
.95- BOA, EV, HMK, SR,nr422 , 18 b
.96- BOA, EV, HMK, SR,nr130 , vr 2-15
.97- BOA, EV, HMK, SR,nr411 , vr 20b
.98- BOA, EV, HMK, SR,nr 10-12-422
٩٩-يلاحظ أنّ المبلغ المذكور كان يوزّع ٥ سكات حسنة لكلّ شخص.
.100- Nafiz Öztürk, a,g,e, s. 169
١٠١- VGMA رقم ٧٤٤، ص ٤١-٤٣.
١٠٢- الأرشيف العثماني، الأوقاف، وقفية رقم ١٩/١٩، وللاطّلاع على معلومات أكثر عن إيواز باشا ووقفيته انظر:
Ismail Hakkı Uzunçarşılı, Haci ivaz paşaya dair, TD,XIV, 10- Istanbul 1959, 25-49.Abdülkadir Özcan, "haci ovaz paşa" DIA, XIV, Istanbul .1997, 486
١٠٣- مكتبة ملتْ، قسم ابن سينا، F.K ٤٤، ورقة ٢٨.
104- Reşad Ekrem Koçu, "Ali paşa hadim", IA. C.1, Istanbul 1993. s. .331
١٠٥-طيب كوك بيلكين، سابق، ص ٣٨٣ – ٤٠٠، وفي نفس الوقت الذي يوضح فيه المؤلف أنّ الواقف هنا هو علي باشا الخادم يذكره برقان بأنّه علي باشا الشهيد.
.106- Barkan – ayverdi,a,g,e s. 369
١٠٧- VGMAرقم ٧٣٤، ص ١٦، وقد فصّلت المعلومات عن المصروفات التي تمت لمكّة، وطلب إظهار نفس المبالغ في المدينة.
108- Müctepe Ilgörel, "Kösem sultan bir vakfiyesi, TD, XXI, 16, .Istanbul 1966, 89-91
١٠٩- رقم ٧٤٤، ص ٤١-٤٢.
١١٠- محمد ثريا، سجل عثماني، ج٢، ٧٦-٧٧.
١١١-لم نتمكّن من قراءة اسم القرية لأنه ممسوح.
١١٢- VGMAرقم ٦٢٤، ص ٢٠٨-٢١٠.
113- BOA, EV, HMK, SR,nr422, vr6.
١١٤- مصطفى هاشم، الأوقاف التركية بقبرص، ج١، ٩٢.
.115- M. Sertoğlu, "2. Murad vasiyetnamesi" VD, VIII,67-69
١١٦- ذكر في الدّفتر أسماء القرّاء الذين كانوا يقرأون الختم الشريف ومقدار ما كانوا يأخذونه، (الأرشيف العثماني، دفاتر الصّرة، رقم ٤٢٢، ورقة ٨٧-٨٨).

.117- T. Gökbilgin, a,g,e, s. 383
.118-BOA, MAD, nr 1806, vr 9b
119- BOA, EV, HMK, SR,nr 10 , vr 55b.
١٢٠- وقفية الفهرست السّلطاني لمسيح باشا، مكتبة السليمانية، قسم مسيح باشا، رقم ٧٢، ورقة ٧ أ.
١٢١-عبد الباقي، تاريخ مكّة، ورقة ٩٠ أ.
122- Ahmed Akgöndüz, Şeriye sicilleri ve seçme hükümler, Istanbul 1988, c.1, s. 238.
١٢٣- ذو الفقار، مهرماة، ص ٧١.
١٢٤-نفس المرجع، .٤٨
١٢٥- VGMAرقم ٦٣٥، ص .١٤٥
١٢٦- VGMAرقم ٦٢٤، ص ١٢١- .١٢٤
١٢٧- مكتبة ملتْ، تاريخ علي أميري، رقم ٩٣٣، ورقة ١٩ أ- ٢٤ أ.
.128-M. Şehabeddin Tekindağ, "Mahmud paşa "IA, c.7, 188
.129- BOA, EV, HMK, SR,nr 95. BOA, EV, HMK, SR,nr 417
.130- BOA, EV, HMK, SR,nr 96
.131- BOA, EV, HMK, SR,nr 422 , vr 52- 54
.132- BOA, EV, HMK, SR,nr 422, vr 54
١٣٣- TSMA.Dورقة ١١-.١٧
.134- BOA, EV, HMK, SR,nr 10, 64 b
.135- BOA, EV, HMK, SR,nr 130, 4a
.136- Ilgörel, a,g,e, s. 89-91
١٣٧-وقفية طورخان سلطان، ورقة ١٤-١٦.
١٣٨- VGMA K 143- 144ص ٨٠-.٨٩
١٣٩- TSMA.Dرقم ٧٠٢٥، ص ١٧-.٢٢
١٤٢- TSMA.D، ٧٠٢٥، ورقة ١-.١٠
.143- BOA, EV, HMK, SR,nr 10 , 11 b
.144- BOA, EV, HMK, SR,nr 130
.145- BOA, EV, HMK, SR,nr 12, 6a
١٤٦-وقفية أياس أغا بن عبد الله، مكتبة ملتْ، تاريخ علي أميري، رقم ٩٤٤.
١٤٧- للاطّلاع على وقفية فريدون بك انظر: مكتبة ملتْ، تاريخ علي أميري، رقم ٩٣٣، ورقة ١٤.
١٤٨- VGMAرقم ٦٠٧، ص ١-.٣
١٤٩- VGMAرقم ١٧٦٦، ص .١٥١
150- Vahid Çabuk, Tarihimizde vakıf kuran kadınlar, Istanbul 1990, .22

١٥١- للاطّلاع على وقفية صنوبر خاتون انظر: VGMAرقم ٧٤٣، ص ٥٥٧، واشترط في هذا الوقف إنشاء سبيل بالدخل الذي سيتحصّل من إيجار ٤ غرف، و٤٠ حانوتًا بالقرب من أوقاف رستم باشا.
١٥٢- نفس الوقفية، ص ٥٥٨.
.153- BOA, EV, VKF, 20-26
١٥٤- TSMA رقم ٣٠٣٦، ورقة ٤٨.
١٥٥- TSMAرقم ٣٠٠٥.
١٥٦- VGMAرقم ٧٤٤، ص ٥١٣- ٥١٤.
١٥٧-فهرس الأوقاف ٨/ ١٨.
١٥٨- VGMAرقم ٦٣٢، ص ٤٥٣.
١٥٩- نفس الوقفية.
١٦٠- نفس الوقفية.
١٦١- نفس الوقفية.
١٦٢- VGMAرقم ٢١٣٨، ص ١٩١.
١٦٣- وقفية الحاج محمد أفندي بن عثمان، VGMAرقم٧٤٧، ٤٧٩، ٤٨١.
١٦٤- نفس الوقفية.
١٦٥- TSMK.EHرقم ٣٠٠٠.
١٦٦- TSMA.EHرقم ٣٠١٨.
١٦٧- VGMAرقم ٧٤٤، ص ٢٥٧.
١٦٨- VGMAرقم ٧٤٤، ص ٢٢٤.
١٦٩- نفس الوقفية ص ٢٢٥.
١٧٠- نفس الوقفية ص ٢٢٥.
١٧١- نفس الوقفية ص ٢٢٧.
١٧٢-للاطّلاع على وقفية علي أغا انظر: مكتبة ملتْ، قسم ابن سينا، أ/ ١٢٩، (وبالرغم من عدم تسجيل أي تاريخ على الوقفية إلّا أنها من شكل كتابتها ولغتها يمكن تأريخها بالقرن السّابع عشر).
١٧٣- VGMAرقم ٧٤١، ص ٥٢.
١٧٤- للاطّلاع على وضع تلك المؤسّسة قبل العثمانيين انظر:
Ziya kazıcı- Mehmed Şeker, islam türk medeniyeti tarihi, Istanbul .1982, 161-162
175-I.H.Uzunçarşılı, Mekke mukarama Emirleri, Ankara 1972, 9.
.176-A.e, s. 9
177- Mehmet Ipşirli, Osmanlıdevlet teşkilatı, istanbul 1994, c.1, s. 271.
.178- A.e, s. 271
.179-KAzıcı- Şeker, a,g,e, s.161

١٨٠- بالرغم من أنّه استخدمت عدة عمامات حتّى عام ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م إلّا أنّ والي مصر الشّريف محمد باشا أصدر قرارًا بتخصيص عمامة خضراء للسادة من بعد هذا التاريخ، ولم يكنْ هذا الإجراء سوى في مصر فقط.

181- I.H.Uzunçarşılı, Osmanlı devletinde ilmiye teşkilatı, Ankara .1988, s. 169

182-Murad Sarıcık, Osmanlı imparatorluğunda Nakibül eşraf müesesesi, Atatürk Ünv, S.B.Ens, basılmamış Doktura tezi, Erzurum 1989.

١٨٣- صولاق زادة محمد الهمدمي، تاريخ صولاق زادة، استانبول ١٢٩٧هـ، ج١، .١٨٨

١٨٤- فريدون بك، منشآت السلاطين، استانبول ١٢٧٥، ج١، .٥٥

١٨٥- هامر، تاريخ الدّولة العثمانية.

١٨٦- ستانفرد شو، التنظيم الإداري في مصر العثمانيّة (١٥١٧- ١٧٩٨) برينستون ١٩٦٢، ص ٢٥٨.

.187- Evliya Çelebi, seyahetname, s. 166

.188- BOA, MAD, nr 4- 649

.189- BOA, MAD, nr 15 -100

.190- BOA, MAD, nr 15 -1048

.191- BOA, MAD, nr 15- 1118

.192- BOA, MAD, nr 15-990

١٩٣- المرمّم، هو الشخص الذي يقوم بعملية الترميم في أبنية الوقف.

.194- BOA, MAD, nr 15-1002

١٩٥- علي أميري، محمد الرابع، رقم .٢٠٠٨

١٩٦- VGMAرقم ١٣٨٧، عام، دفتر ١٤٠، ص ١٦١-.١٦٢

١٩٧- VGMA رقم ١٨٢، ص ٣٤٥- .٣٦٢

١٩٨-ذو الفقار، ص ٧١.

١٩٩- VGMAرقم ١٧٥٦، ص .١٥١

٢٠٠- VGMA رقم ٢١٣٨، ص .٧٨

.201-Ibrahim Ateş, Mimae sinan vakfı, Istanbul 1990, s. 8

.202-BOA, EV, VKF, 20-25

٢٠٣- VGMA رقم ٧٢، ص ١٠٢- ١٠٣.

حواشي القسْمِ الثّالث:

١- صورة وقفيّة خاصكي سلطان، مكتبة السليمانية، قسم أسعد أفندي، رقم ٣٧٥٢، ص ١٦-١٧.

٢- VGMAرقم ٧٤١، ص ٢٣-.٢٥

٣- VGMAرقم ٩٧، تسجيل .١١٥١

٤- القرآن الكريم، سورة النساء، الجزء الرابع، آية ١٧٦.
٥- لمعلومات أكثر عن هذا الموضوع انظر:
Ömer Lutfi Barkan – Ekrem Hakki Ayverdi, istanbu vakıfları tahrir defteri (1546), Istanbul 1942, XX-XXVll. Hasan Yüksel, Vakıf .müsadere ilişkisi, OAD, Xll, Istanbul 1992, 408
٦- VGMAرقم ٧٤٧، ص ٢٥٩-٢٦٠.
٧-الوثيقة السابقة.
8- BOA, MAD, XXlll, 506.
٩- VGMAرقم، ١٧٦٣، ص ٣٤٣-٣٤٤.
١٠- نفس الوثيقة.
١١- VGMAرقم، ١٧٦٣، ص ٢٦٢.
١٢- VGMAرقم، ١٧٦٣، ص ١٣٠.
13- Ömer lutfi Barkan – Enver Merçil, Hüdavindgar livasıTahrir .Defterleri, Istanbul 1988, s. 58
١٤- VGMAرقم ٢١١٤، ص ٤٤.
.15- BOA, EV, VKF, 8-31
16- Fatma Üstek, Hicri 984 tarihli Defteri evkaf ruma gore Tokat merkez kazasıvakıf kayıtları, Basılmamış yüksek lisans Tezi , Ankara .1985, s. 110
.17- BOA, EV, VKF, 8- 73
18- BOA, EV, VKF, 1-33.
.19- BOA, EV, VKF, 14-3
٢٠- VGMAرقم ٧١٨، ص.١
21- BOA, EV, VKF,5-45.
.22- BOA, EV, VKF, 5-68
23- Ahmed Akgödüz, Şeriyye sicilleri katalogu, Istanbul 1988, c.1, s. .239
.24- BOA, EV, VKF, 2-28
٢٥- VGMAرقم، ١٩٦٦، ص.٢٢
26- BOA, EV, VKF, 6-26.
.27- BOA, EV, VKF, 8-32
.28- BOA, EV, VKF, 8-15
٢٩- VGMAرقم، ٧٤٣، ص.٥٥٧
.30- BOA, EV, VKF, 14- 37
٣١- VGMAرقم ٧٣١، ص ١٠٧.
.32- BOA, EV, VKF, 6-6
.33- BOA, EV, VKF, 16-5
.34- BOA, EV, VKF, 11-11

.35- BOA, EV, VKF,10-53
.36- BOA, EV, VKF, 1-40
37- BOA, EV, VKF, 17-31

٣٨- VGMA رقم ٧٤٧، ص ٤٥.
.39- Fatma Üstek, a.g.e, s.110
.40- Bahaeddin yediyıldız, a.g.e, s 30
٤١- دفتر حسابات ولاية الأناضول المرقوم برقم ١٦٦، أنقرة ١٩٥، ص ٥٠٩-.٥١٠
42- Mustafa Akdağ, Türkiyenin iktisadi ve ictimai yapısı (1453- 1559), .Istanbul 1977, c.2, s. 59
٤٣- وبعض تلك القرى هي: مدكيسا، درة بودوميا، أوداميش، أداجيدا، بانالي، دوغانلي.
.44- BOA, MAD, nr 1806, vr 7a
٤٥- TSMK ٣٠٥٤.
.46- BOA, MAD, nr 1806, vr 6b
٤٧- دفتر تحرير أراضي ولاية الأناضول (١٥٣٠م) أنقرة ١٩٩٥، ص .٣٨٨
.48- BOA, MAD, nr 1806, vr 7a
٤٩- TSMK ٩٥٢٩.
.50- BOA, MAD, nr 1806, vr 7b
٥١- رسم الجفت، (ضريبة الحقل) هي الضريبة التي تحصل من الأراضي التي تبلغ مساحتها القدر الذي يمكن لبقرتيْن العملَ بها، وبالرغم من أنّ كمياتها كانت تختلف من مكان لآخر، إلّا أنّ أقلّها كان ٢٢ وأكثرها كان ٥٧ أقجة.
Mehmet Zeki Pakalin,Deyimler, a.g,e ,c.3, s. 30.
٥٢- رسم الجبا، هي الضريبة التي تحصّل ممّن يعملون بالتجارة ولا توجد أراضي تيمارات في عهدتهم، وكانت عن المتزوّجين ١٢، وعن العزّاب ٦ أقجات سنويًّا.
.Mehmet Zeki Pakalin,Deyimler, a.g,e ,c.1, s. 253
53- Nazim Kuruca, 16. yüzyılda Kastamunu sancağı vakıf tahrir defteri, IÜ, sosyal bilimler enistetüsü,basılmamış yüksek lisans tezi, .Istanbul 1995, s 234
٥٤- نفس المرجع والمكان.
.55- BOA, MAD, nr 1806, vr 7b
56- BOA, MAD,XLI, -401.
57- Kuruca, a,g,e ,s. 259.
.58- BOA, D.HMH, 21363
.59- BOA, MAD, nr 1806, vr 5b
60- Ahmet cebeci, 16. yüzyıl silistre sancağı vakıfları, Gazi Ünv, .sosyal bilimler enistütüsü, Y.L.T, Ankara 1994, s. 46
.61-BOA. EV, HMK,SR, nr 8, vr 6a

62- Feridun Nafiz Uzluk, Fatih devrinde karaman eyaleti vakıfları, Ankara 1970, s.54.
63- Ibrahim Hakki Konyalı, Abideleri ve kitabeleri ile Erğili tarihi, .Istanbul 1970, s. 220
.64-F.N. Uzluk, a,g,e, s.54
.65- Ömer Hilmi Efendi, a,g,e, s. 26
.66-I.H. Konyalı, a,g,e, s. 220
٦٧- كنماذج انظر:
Ömer Lutfi Barkan, 15 -16. asırlarda osmanlı imparatorluğunda ziraii .ekonomisinin hukuk ve mesasları, istanbul 1943, s. 41
68- Şenol Çelik, Erğli kazası, marmara Ünv, S.B.E, basılmamış .yüksek lisans tezi, Istanbul 1990, s. 41-45
.69- Konya evkaf tahrir defteri, nr 584, vr 51 b
.70- BOA, MAD, nr 1806, vr 8a
.71- BOA. EV, HMK,SR, nr 130, vr 15b
72-Adnan Gürbüz, Toprak ve vakıf ilişkileri çerçevesinde 16. yüzyıl Amasya sancağı, Ankara Ünv, S.B.Ens, Basılmamış doktura tezi, .Ankara 1993, s. 82
73-Adnan Gürbüz, 1576 Tarihli Defteri Evkaf Ruma göre Amasya sancağından Haremeyne gönderilen yardımlar, E.Ü.TID, V. izmir .1990, 258- 262
74-Yasmin Özırmak, Tahrir ve evkaf defterlerine göre kayseri .vakıfları, basılmamış yüksek lisans tezi, Ankara 1985, s. 92

٧٥- مجمع التاريخ التركي، رقم ٨٠٢.
٧٦-نفس المجلة.

.77- F. Üstek, a,g,e, s. 53-54
78- Refet yınanç- Mesut elibüyük, Maraş tahrir defteri (1563), Ankara .1988,c.2, 799-800
79- Hüseyin Özdeğer, 160 asırda Ayıntab livası, Istanbul 1988, c.1, .s. 370
.80- A.e, s. 399
81- Albay Bizbirlik, 16. yüzyıl ortalarında Diyarbekirde vakıflar, S. Ü, .S.B.Ens, basılmamış Doktora tezi, Konya 1995, s. 353
.82-A.e, s. 353
83- Ahmed Nezihi Turan, 16. asırda Ruha sancağı,A.Ü, S.B.Ens, .basılmamış Doktora tezi, Ankara 1993, s.199
.84-Turan, a,g,e, s. 203

.85- BOA. EV, HMK,SR, nr 130, vr 12b
.86-Albay, a.g.e, s. 381
.87- BOA. EV, HMK,SR, nr 130, vr 12b
٨٨- للاطّلاع على أوقاف الصّرّة في الشّام انظر ص ١٩٣ – ١٩٦.
.89- BOA. EV, HMK,SR, nr 167, vr 51a
٩٠-محمد الأرناءوط، دور الأوقاف في نشوء وتطوّر المدن العثمانيّة نموذج لمقارنة بلاد البلقان ببلاد الشّام، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، تونس ١٩٩٣، ج ٩- ١٠، ص ٥٥.
91- Süheyl Alemdar, 1034 Numaralı Şam icmal defteri, Inönü Ünv, Ü, .S.B.Ens, basılmamış yüksek lisans tezi,Malatya 1992, 34
٩٣- TSMK رقم ٣٠٦١.
.94- BOA, MAD, nr 1689
٩٥- TSMA. E رقم ٩٢٩٧/ ٢٩.
.96- BOA, MAD, nr 1806, vr 8b
.97- BOA. EV, HMK,SR, nr 130, 12b
.98- BOA. EV, HMK,SR, nr 130,vr 11a
99- BOA, MAD, nr 5999.
.100- BOA, EV, HMH, nr 94
101- Feridun Emecen, 16. asırda Manısa kazası, Ankara 1989, s. .140 – 141
102- Cengiz Orhunlu, Osmanlı imparatorluğunda Aşiretlerin iskanı, .istanbul 1987, s. 79
103- Ahmed Refik, Anadoluda Türk Aşiretleri (966- 1200), Istanbul .1989, s.209
.104- A.e,s.92
.105-A.e.s. 162
.106-F. Üstek, a,g,e, s. 46
.107- BOA, D.HMH, nr 21355
108- M. mehdi Ilhan, diyarbekir şehrinin nüfusu ve vakıfları (1518- .1540) , Ankara 1994, s. 54
.109- BOA. EV, HMK,SR, nr 130,vr 9a
١١٠- نفس الوقفية، ورقة ٨ ب.
.111- BOA. EV, HMK,SR, nr 130,vr9a
١١٢- نفس الوقفية، رقم ٩ب.
.113- BOA. EV, HMK,SR, nr8,vr 7a
.114- BOA. EV, HMK,SR, nr 130, vr 14b
.115- Albay Bizbirlik, a,g,e, s. 353

١١٦-محمد ثريا، دفتر عثماني، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٧٦.

١١٧- وقفية حمزة باشا، TSMKرقم ٢٩٩٢، ص ٤-.٥
١١٨- نفس الوقفية، ورقة ١٣ أ.
١١٩- VGMAرقم ٧٤٣، ص .٥٥٧
.120- BOA. EV, HMK,SR, nr 130, vr 9b
١٢١- VGMAرقم ١٧٦٣، ص .٩٦
١٢٢- مكتبة السليمانية، قسم كوبرولو، الملاحق، ج.٤
.123- EV, VKF, 4-1
.124- TSMK, EH, 3030
.125- VGMA, s. 747, s. 45
.126- Barkan – Ayverdi, a,g,e, s.95
١٢٧ - وقْفيّات نظارة الأوقاف، ١٥/.٤٩
.128- Turan, a,g,e, s. 199. Bizbirlik,a.g.e.,s. 377
١٢٩- VGMAرقم ١٧٦٣، ص .١٣٠
١٣٠- VGMA رقم ١٧٦٣، ص ٣٤٣- .٣٤٤
١٣١- مصطفى هاشم، أوقاف قبرص، ج١، ٩٢.
١٣٢- VGMAرقم ٦٣٢، ص .٤٥٣
.133- BOA. EV, HMK,SR, nr10, vr 70 a
١٣٤- وقْفيّات الأوقاف، ٢٥/٢٢.
١٣٥- وقْفيّات الأوقاف ١١/١١.
١٣٦- وقْفيّات الأوقاف، ٥/.٤٥
١٣٧- TSMKرقم .٣٠٢٤
١٣٨- نفس الوقفية، ورقة ١١ أ-ب.
١٣٩- نفس الوقفية، ورقة ١١ أ-ب.
١٤٠- نفس الوقفية، ورقة ١٤ أ- ب.
١٤١- لتقييم أوقاف الدشيشة في عهد القانوني انظر:
Ibrahim Ceylean, Kanuninin Haramеyn deşişe vakifları ve vakfiyesi, .V. Miletler arası Türkoloji Kongeresi, Istanbul 1985, s. 163- 174
.143- BOA, MD, XXXVI,421
144- Eyyup sabri, miret Medine, c. 3-4, s. 732. Muhemmed el seyyid .Mehmud "Deşişe "DIA, Istanbul 1995, c.10, 214
١٤٥- ثريا فاروقي، الحجّ في العهد العثماني، ترجمة: جول جغالي جوفان، استانبول ١٩٩٥، ص.٨٩
.146- BOA, MD,III, 42
.147- BOA, MD, VII, 1378
.148- BOA, MD, XII, 115
.149- BOA, MD, XII, 115
.150- BOA, MD, XXI, 53
.151- BOA, MD,XXI, 56

.152- BOA, MD, XXXIV, 551
١٥٣- حسابات أوقاف الدشيشة بالسويس، الأرشيف العثماني، كامل كبة جي، رقم ٣٢٨٥.
154- Muhemmed el seyyid Mehmud "Deşişe "DIA, Istanbul 1995, .c.10, 215
155- Muhemmed el seyyid Mehmud "Deşişe "DIA, Istanbul 1995, .c.10, 215
156- Muhemmed el seyyid Mehmud "Deşişe "DIA, Istanbul 1995, .c.10, 215
.157- BOA, MAD, nr 999, ve nr 4522
١٥٨- ستانفرد شو، التطوير والتنمية في مصر العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٥٠.
.159- BOA, MD, XIV, 270
.160- BOA, D.HMH, nr 21361
١٦١- ستانفرد شو، مرجع سابق، ص ٢٦٩.
١٦٢- شو، مرجع سابق، نفس الصفحة.
١٦٣- شو، سابق، نفس الصفحة.
١٦٤- شو، سابق، ص ٢٧٠.
١٦٥- شو، نفس الصفحة.
166- Seyyid Muhemmed el seyyid, 16. asırda Mısır Eyaleti, Istanbul .1990, 113
١٦٧- المرجع نفسه، ص ٢٦٧.
168- BOA, MD, XXXIV, 664.
.169- BOA, MD, XLVIII, 725
170- Ismail Hakkı Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, Ankara 1994, c.2, .426-427
١٧١-نفس المرجع، ص ١٢١.
١٧٢- ثريا فاروقي، سابق، ص٨٧.
١٧٣-نفس المرجع، ص ٨٨.
١٧٤-شو، سابق، ص ٢٦٨.
١٧٥- شو، سابق، ص ٢٤٦.
١٧٦-شو، سابق، ص ٢٦١.
.177- Ali Amiri, 1. Ibrahim, nr 504
١٧٨- البال جيق اسم يطلق في مصر على الأراضي الطينية والتي تروى من مياه النيل.
.179- BOA, MD, XXXIX- 12

حواشي القسْمِ الرّابع:

١- مصطفى بن شمس الدين القرة حصاري الأختري، أختر الكبير، استانبول ١٣٣٢هـ، ج١، ص ٥٧٨؛ شمس الدين سامي، قاموس تركي، استانبول ١٣١٤هـ ص.٨٢٦

٢- شمس الدين سامي، نفس المصدر والصفحة؛ M. Zeki Pakalın, a.g.e, c.3, s. 280.؛ أمّا علي سيدي بك فيعرّف الصّرّة تعريفًا مختلفًا عمّا سبق فيقول "هي الأموال وسائر الأشياء الأخرى التي كانت تُهْديها الخلافة لأهالي الحرمين "(علي سيدي، القاموس العثماني، ج٢، استانبول ١٣٢٥، ص ٦٢٤).

.3- BOA, MD, lll, 281

٤- أعداد الدّفاتر المنظمة كانت تختلف من عام لآخر، على سبيل المثال نظم في عام ١١٠٠هـ ١٦٨٩م ١٣ دفترًا، أصبح في عام ١١٧٥م ٢٦ دفترًا، أمّا في عام ١٢١٨هـ فوصل إلى ٢٩ دفترًا وهو أعلى رقم تمّ تسجيله.

٥- زادت الأموال المرسلة من هذا الوقف وكذا عدد الأشخاص الذين يأخذون منه زيادة خارقة عام ١١٠١هـ ١٦٩٠م، فقد وصل عدد الأشخاص إلى ٦٣٧٨ شخصًا، والأموال إلى ١٠٨٨.٥ سكة، الأوقاف، رقم .٤٢٢

.6- BOA, EV, HMK, SR, nr. 130

.7- BOA, EV, HMK, SR, nr.167, vr 10-20a

.8- BOA, EV, HMK, SR, nr. 167

٩- مصطفى محمد رمضان، وثائق محسنات الحرمين الشّريفين في مصر إبّان العصر العثماني، دراسة تاريخية لشبه الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الرياض، ص .٢٦٠

١٠- ستانفرد شو، التنظيم والتنمية في مصر العثمانية، برينستون ١٩٦٢، ص.٢٥٤

11- BOA, EV, HMK, SR, nr.164.

١٢- "توزّع وتقسّم الصّرر والغلال المعينة والمشروطة في الوقْفيّات المعمول بها على أهالي المدينة ومكّة من أوقاف الدشيشة الكبرى والدشيشة الصغرى في مصر المحروسة وكذا من سائر أوقاف الحرمين الشريفين في مصر، على أنْ يكون التوزيع بالتساوي بين الأشخاص ليكون نصيبُ كلّ شخص حصة منها، وبينما كان يتمّ العمل بالشكل والمنوال المشروح سابقًا، إلّا أنّه بمرور الوقت والأيام بدأ مجموعة من أصحاب النفوذ في الحصول على حصص الفقراء، وأصبحوا متصرّفين في ٣٠٠ و٤٠٠ و٥٠٠ حصة، بينما نجد معظم الفقراء في عَوَز لحبّة أو أقجة واحدة، وعندما وصل إلى مسامعنا أنّ هذا الوضع دعا لإلحاق الضّرر بالأهالي، لذا أرسلنا بعضًا من رجالنا ليتفحصوا الأمر ويحققوا فيه، وذلك لشفقتنا على أهالي الحرمين الفقراء المساكين، وأن يقوم رجالنا هؤلاء بإرجاع الأمور إلى نصابها، وأن يجعلوا الأوقاف على حسب ما جاء بالوقفيّات وشروطها، وعهدنا بهذه المهمّة إلى الحاجّ إسماعيل خليفة أحد أغوات القصر القديم، ومعه سبعة من رجال القابجي وكتبنا لهم خطًّا همايونيًّا بإجراء هذه المهمّة، ووصلوا إلى مصر، وجمعوا الدشيشة الكبرى والصّغرى وبقية الأوقاف الأخرى وأرسلوها للمدينة، وهناك قاموا بقراءة الخط الهمايوني الشّريف في حضور أغوات الحرم وكبار رجال المدينة، وامتثالًا من أهالي المدينة للخط الهمايوني، ولأنّهم كانوا راضين عن تقسيم الصّرّة والغلال بمقتضى الوقْفيّات وبما ورد في فرمان سلطاننا صاحب المرحَمَة على فقراء المدينة وسكانها؛ فقد تمّ توزيع تلك الغلال والصّرة على أهالي المدينة لكلّ واحدٍ حصّة، وذلك بمعرفة شيخ الحرمين، وتم تحرير دفتر بهذا، وأرسلَ على شكل دفتر مختوم وموقّع بواسطة الركاب الهمايوني، وبذلك وجد فقراء الحرمين الرحمة وشعروا بها، وأصبح هذا

الدّفتر بمثابة دستور العمل لهم بعد اليوم، ويحفظ في الرّوضة، وإذا ما توفي أحد المتصرّفين على الدشيشة أو الصّرة، توزّع الصّرّة والدشيشة بمعرفة القاضي أو شيخ الحرم، بأنْ يعطى لكلّ فردٍ حصّة، ولا يعطى لأي شخص زيادة قط، كما أنّه لا يحرم أي شخص من هذه الصّرّة أو هذه العطايا، وليستمروا على هذا، وإذا ما طلب العمل بخلاف ما ورد فيه فالأمرُ والفرمان حينئذ لسلطاننا صاحب الشوكة." الأرشيف العثماني، نظارة الأوقاف العثمانية، دفاتر الصّرة، ١٦٤، ورقة ٢.

.13- Mehmed Zeki Pakalın, a.g.e, c.1, 527

١٤- لم يشترك الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- في أوّل حج تمّ بعد فتح مكة، ولكنه أرسل أقربَ أصحابه سيدنا أبا بكر للحجّ في هذه السنة ليعلم الناس أمور دينهم في الحج، ويعلّمهم أركان الحج، والأحكام القرآنية، واستمرّت مهمّة إمارة الحجّ منذ ذلك الوقت وحتى وقتٍ قريب.

15- M. Atalar, surre-ihümayun, s. 171.

١٦- الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، ج٣، ص ٣٨٩؛ الأرشيف العثماني، ج٤،ص ٤٤٨؛ TSMA.D١١٥٢-١٦٢١-١٢١٣. لمعلومات أكثر عن الذين يقومون بتلك الوظيفة في الدّولة العثمانيّة انظر: M. Atalar, a.g.e, s. 171-182.

17-BOA, MD, III, 1381.

.18- BOA, MD, III, 1186

.19- BOA, MD, XXXI, 862

.20- BOA, MD, XXXIX, 567

٢١-لإيضاح تلك المصطلحات انظر: M. Atalar, a.g.e, s.182-206.

٢٢- شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص ١٣٠٤؛ علي سيدي، قاموس عثماني، ص ٩٣١؛ الأختري، ج٢، ص ٩٤٩؛ المعجم الوجيز، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٣٢.

٢٣-المخروطي، اسم يعطى للأشكال المخروطية التي تشبه البنجر.

٢٤-الشريف محمد صادق، مادر دنيا، ص ٦٧.

٢٥-فيليب هيتي، تاريخ السياسة والثقافة الإسلامية، (ترجمة: صالح طوغ) استانبول ١٩٨٩، ج١، ص ٢٠٤-٢٠٥.

٢٦- نفس المرجع، ج١، ص ٢٠٥؛ F. Buhl, "mahmel" , IA, Istanbul 1993, c.7.s.151-152.

٢٧- محمد صادق، مرجع سابق، ص ٦٨؛ Eyyüb sabri, miret mekke, Istanbul 1301, II-I, 876.

٢٨- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

٢٩-نفسه، ص ٨٧٤.

٣٠-نفس المرجع والصفحة.

.31- Sabri paşa, a.g.e, s.870, Atalar, a.g.e, s. 215-219

32- Söylemezoğlu süleyman Şefik, Hicaz seyahetnamesi, Istanbul .Ünv. ktp, nr 4199,s. 88

٣٣- شمس الدين سامي، سابق، ص ٤٤؛ Halil sahilioğlu, "Akçe" IA, Istanbul 1989, c.2, s. 224.

.34- Halil sahilioğlu, a.g.m, s. 226

35- M.Z.Pakalın, a.g.e, c.1, s. 454-455. Halil sahili, "Dirhm "DIA, .Istanbul 1994, c.9,s. 368-371
36- B. Sitkki Baykal, Osmanlı imparatorluğunda 17 -18. yüzyıllar bounca para düzeni ile ilgili Belgeler, TTBD, sayı 4, s.7-8, Ankara .1969, 44- 77
37- Halil sahilioğlu, a.g.m, s.227.
38- M.Z.Pakalın, a.g.e, c.2, 326-327.
٣٩- دفتر حسابات قصر استانبول، مجلة وثائق التاريخ التركي، عدد٩، /١٣، أنقرة ١٩٧٩، ص ١-٣٨٠؛ ثريا فاروقي، الحجّ في العهد العثماني، سابق، ص ٨٤.
40- Von Hammer, Devlet osmaniye tarihi (1494- 1520), Istanbul .1330(1915)
41- Ibrahim Ateş, Osmanlılar zamanında Mekke ve Medineye .(gönderilen para ve hediyeler, VD, 13, Ankara 1981
٤٢-TSMA.E ١١٥٧١/ ١٠
.43- BOA, MAD, nr 1806, vr 11 a
.44- BOA, EV, HMK, SR, nr 8, vr 7a
٤٥- ثريا فاروقي، مرجع سابق، ص ٨٦.
.46- BOA, EV, HMK, SR, nr 130
47- Ömer Lutfi Barkan, 16. yüzyılın ikinci yarısında Türkiyede fiat .harketleri, Belleten, sayıXXXIV, Ankara 1970, 599
٤٨- الأرقام الواردة بالمصادر عن مقدار الصّرّة المرسلة في عهد يلدريم بايزيد مختلفة، ويذكر مصطفى نوري باشا أنّ يلدريم هو أوّل مَن أرسل الصّرّة من العثمانيين ولكنه لم يحدد مقدارَها (مصطفى نوري باشا، نتائج الوقوعات، ج١، ص ٣٢) أمّا مكى أفندي فيذكر أنّ مقدار صرّة بايزيد كان ٨٠.٠٠٠ عملة ذهبية. (محمد الأمين المكى، مرجع سابق، ص ١٩)؛ أمّا إبراهيم جيلان من الباحثين المعاصرين فيقول إنّ مقدارها كان ٣.٥٠٠ عملة ذهبية، (وقفية القانوني لدشيشة الحرمين، مؤتمر اللغة التركية الدولي الخامس، استانبول ١٩٨٥، ص ١٦٥).
٤٩-عاشق باشا زاده، تواريخ آل عثمان، استانبول ١٣٣٢، ص ١٩٦؛ نشري، مرجع سابق، ص ٥٥١.
٥٠- أمرت السيدة أصفهان شاه إحدى بنات الشيخ الأدبالي وزوجة جاندرلى إبراهيم باشا الصدر الأعظم في ذلك الوقت ببناء مدرسة للقدس الشريف وأوقفت لها أوقاف، واستمرت أوقافها حتّى القرن الخامس عشر، وتوجد وقفيّة لها مؤرّخة بتاريخ ٨٣٠هـ/ ١٤٢٧/ ولكن صورتها ليست كاملة (علي أميري، مراد الثاني، رقم ٩، ولكن دفاتر الصّرّة فيما بعد ذلك أوضحت أنّ تلك الأوقاف لسيدة هي ابنة شخص يدعى الشيخ محمود في إزنيك وليست ابنة الشيخ الأدبالي، وأوضح الدفتر أنّ الدخل السنوي لها كان ٢٨.٨٠٠ سكة، ومن المعلوم أنّ نصفَ هذا المبلغ حصل عام ٩٩٤هـ، والنصف الآخر حصل عام ٩٩٦هـ (الأرشيف العثماني، الدّفاتر المدورة من المالية، رقم ١٨٠٦، ورقة ٦ أ.
51- Çağtay Uluçay, Padişahların kadınları ve kızları, Ankara 1992, s. .17

٥٢-لقب الوالده سلطان: لقب تحمله والدات السلاطين طوال فترة بقاء أبنائهن في الحكم، ولمعلومات أكثر انظر: مادة والدة سلطان بالموسوعة الإسلامية، استانبول ج٨، ص ١٧٨.
٥٣- أمّا الهانم سلطان: فهو لقب يمنح لبنات السلاطين.
.54- Şerefettin Turan, "sinan paşa "IA, c.10, 673- 674
إذا ما انتبهنا إلى أنّ الدوقة الذهبية كانت تساوي ١٢ أقجة فإن ثروة هذا الباشا حينئذ تكون ٧٢.٠٠٠.٠٠٠ أقجة.
٥٥- يتحدّث بهاء الدين يدي يلديز عن بشير أغا فيقول: كان بشير أغا أغا للبنات، ظل في القصر العثماني ٣٠ عامًا امتاز بالقوة والنفوذ، وتوفّي في ٣/٧/ ١٧٤٦، وكان عمره ٩٦ عامًا، كان أصله عبدًا حبشيًّا اشتراه القصر بثلاثين قرشًا، توفي وترك خلفه ٢.٠١٨.٠٠٠ كيسًا من العملات الفضية، و١٦٠ طاقمًا، و٨٠٠ ساعة جيب مطعّمة بالمجوهرات، أنشأ في استانبول دارًا للحديث، ومكتبًا للصّبيان، وسبيل ومكتبة وعندما احترق قصر الصدر الأعظم افتتح مكتبًا آخر، دفن بجواره.
Türk vakıf kurucularının sosyal tabakalaşmadaki yeri, OAD, Istanbul .1982, c.3, 163-164
56- Nafiz Öztürk, "Bayezid oğulları vakıfları" VD, XXVI, Ankara 1997, .47

حواشي القسْمِ الخامس

1- Ibnül Emin Mahmud Kemal Inal – Hüseyin Hüsamüddin, Evkaf Hümayun Nezaretinin Tarihçe Teşkilatı ve Nüzarın teracim ehvalı, Istanbul 1312, s. 6.
.2-ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, aynı yer
ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e,s. 10-11. 3-
4-ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 11.
.5-ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s.12
.6-ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 13
.7-ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, aynı yer
.8-Ismail Kurt , Para Vakıfları, Istanbul 1996, 148
.9-Aynı eser, aynı yer
١٠-ثريا فاروقي، الحجّاج، مرجع سابق، ص ٨٣.
11- Bahaeddin yediyıldız , islamda vakıf, DGBIT, XIV, Istanbul 1989, .62
.12- Kurt, a.g.e, s. 148
.13- ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 13

١٤- هذا نصّ الحكم:
حكمٌ لأمير أمراء الأناضول والقضاة في الأناضول:
تمّ منح نظارة أوقاف الحرمين الشّريفين الواقعة في الممالك المحروسة لأغا دار سعادتي افتخار الملوك والسّلاطين محمد أغا، وقد أصدرت له حكمي الشريف المفصل والمشروح من المالية لكي يقوم بالتفتيش على أوقاف الحرمين الواقعة تحت إدارتكم، وقررت الآتي، عندما يصل فرماني هذا يجب عدمُ الإهمال أو التساهل ساعة أو حتّى لحظة واحدة، وأمرناه بعدم تضييع حبّة أو أقجة من الأموال المسجّلة في المالية، ولا يسجّل ما هو مشكوك فيه أو مُبْهَم، ولا يسجل إلّا كلّ ما هو صحيح، ويتأكّد من صحّته، ويجب عليكم أنّ تعلموني بشكركم أو شكايتكم من أغا دار سعادتي محمد أغا، ويجب عليكم أنْ تهتمّوا بما ورد في همايوني الشريف وما جاء في رسالة الأغا المذكور، وأنْ تعملوا بمقتضى ما ورد فيهما، ونكرر عليكم بأنه يجب الاحتراز من ضياع ولو حبّة واحدة من أموال الأوقاف. في ٢/ رجب/ ٩٩٦هـ/ ٢٨/ /٥/ ١٥٨٨ / ". الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج LXII/ .٥٦٣

.15- TSMA.E K 9297- 22
16- ١ /١١٥٧ .TSMA.E
.17- BOA, MAD, nr 1806, vr.5b

١٨- ابن الأمين– حسام الدين، مرجع سابق، ومذكور فيه تلك المعلومات المتعلقة بتأسيس نظارة الحرمين، "ولأنّ محمد أغا الحبشي أغا دار السّعادة كان صاحب نفوذ بين كلّ أغوات باب السّعادة، فقد عيّن كأوّل ناظرٍ لأوقاف الحرمين، وبذلك يكون تاريخ تأسيس نظارة أوقاف الحرمين ٩٩٥هـ، أمّا الملحوظة الواردة بتلك المعلومة فواردٌ بها فرمان أرسل من السّلطان مراد الثّالث لمحمد أغا الحبشي أغا دار السّعادة في أواسط المحرم عام ٩٩٨هـ/ أكتوبر ١٥٨٧م بخصوص تمليك موقع باسم إسماعيل كجيد يقع على نهر الطونة، والذي يلفتُ الانتباه هنا أنّ المرحوم المؤلف ذكرَ أنّ تاريخ تأسيس النظارة كان عام ٩٩٥هـ، أمّا في الملحوظة فذكر أنّ تاريخ تأسيسها كان عام ٩٩٨هـ، وبالرغم من أنّ الفرمان وارد بالكتاب، إلّا أنّ القسمَ المكتوب به التاريخ مقطوع، وذلك هو القسم المتعلق بالوظيفة في الفرمان والتي نقلت استنادًا على صفحة ٤٧٢ من دفتر الهمايوني المرقم برقم ١١:

" نظرًا لأنّ محمد أغا- أغا دار السّعادة- دام علوه وزاد سموه مشهود له بالصدق والاستقامة الوطنية، وبمقتضى درايته وتدينه، ولخدماته المشكورة في مجال خدمات الحرمين؛ فقد عيّنّاه ناظرًا على حسابات أوقاف الحرمين الشريفين شرّفهما الله وعظمهما "(ابن الأمين حسام الدين، مرجع سابق، ص ١٤-١٥).

19- Ismail Hakkı uzunçarşılı, Osmanlı devletinde saray Teşkilatı, Ankara 1988, s 177-178.
20- Mehmed Zeki Pakalın, Osmanlı Tarih deyimleri ve terimleri sözlüğü, c.1, Istanbul 1993, s. 744- 745.
a.g.e, s. 177-178, 21- ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 13. Ismail Hakkı,
.22- ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 16
.23- ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 16
.24- ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 16

a.g.e, s.743. 25- Mehmed Zeki Pakalın,
a.g.e, s. 743, Ismail Hakkı, a.g.e, s. 177-178. 26- Mehmed Zeki Pakalın,
. 27- Ismail Hakkı, a.g.e, s. 179
28- BOA, Ali Emiri , 4. Mehmed, nr 2552
29- Ismail Hakkı, a.g.e, s. 179
٣٠- TSMA.E ٦٨٩٦/ ١٠٨.
31- Ismail Hakkı, a.g.e, s. 179
.32- BOA, EV, HMH, nr. 63
33- BOA, EV, HMH, nr. 6 .
34- BOA, EV, HMH, nr. 69 .
35- BOA, EV, HMH, nr. 81 .

٣٦- على سبيل المثال هذه هي العريضة المتصدرة الدفتر رقم ١٨٠٦ بالأرشيف العثماني، حسابات أوقاف الحرمين:

" كانت حاصلات أوقاف الحرمين فيما سبق تُجمع وتحصّل مهما بلغ مقدارها، وكان يرسل الفرمانُ العالي لهذا العبد لإرسالها إلى فقراء مكّة والمدينة، وبينما كان على وشك إرسال الستة آلاف عملة ذهبية المتحصلة السنة الماضية لفقراء الحرمين، قام بعض الأشخاص بإرسال بدل تلك المحاصيل من خزينة مصر المحروسة، وصدر فرماني الشريف للتمسك بهذا، إلّا أنّ هؤلاء الأشخاص لم يتمسّكوا بما ورد في فرماني الشريف، والآن تمّ التشاور مع بعض أهل الوقوف، وبمراجعة دفاتر الشّئون اليومية لعهود أجدادي العظام السّلطان بايزيد خان والسلطان سليم خان والسّلطان سليمان خان عليهم الرحمة والغفران وجدنا أنه في عهودهم كان يرسل للحرمين كلّ عام ١٥.٢٠٧ سكة كعطيّة سلطانية، وكانت محاصيل الأوقاف ترسل من الآستانة، وفي عهد المرحوم السّلطان سليمان خان عليه الرّحمة والغفران أحيلت تلك المحاصيل والعطية السلطانية، وبلغت وقتها ١٢.٩٩٧ سكة فلورية لمصر المحروسة، وهذا مسجّل في دفتر اليوميات، ولكن مع زيادة دخل أوقاف الحرمين أصبحت أموالُ الأوقاف غير معلومة، ولأنّ تعيين البدل المجهول غير مشروع، ولأنّه قد وردت عطايا كثيرة من أوقاف السلاطين لفقراء الحرمين، وفي حالة تكرير المحصول المرسَل من مصر من أوقاف الأموال للحرمين على بدل الوقف؛ فإنّه لن يرسل من مصر غير البدل، لذا تقرر أنّ يرسل الأغا المذكور كلّ محصول أوقاف الحرمين بتمامه سواء كان من أوقاف الحرمين أو كان من عطايا السّلطان إلى فقراء الحرمين، أمّا إذا قطع بأنه يرسل من مصر فإنّه ستنقطع بذلك نفقات بعض فقراء الحرمين، وبالتالي سيكون حالهم مشوش، والأمر في هذا لسلطاننا صاحب الفرمان.

.37- BOA, MAD, nr. 1806, vr, 10b
.38- BOA, MAD, nr.6005
39- Abdülkadir Özcan, Eyyubi effendi kanunnamesi, Istanbul 1995, s. .31

الأرقام المذكورة سابقًا ليست هي قيمة المبالغ المرسلة للحرمين في تلك السنوات إنما هي مجموع دخل كلّ الأوقاف التابعة لكلمتي المحاسبة والمقطعة.

٤٠- TSMK.EH رقم ٣٠٦٣.

41- BOA, EV, HMH, nr.164

.42- BOA, EV, HMH, nr.467,vr 1a-b
.43- BOA, EV, HMH, nr.2a
.44- BOA, EV, HMH, nr.2-3
.45- BOA, EV, HMH, nr.2-3
٤٦- خوجه سعد الدين أفندي، تاج التواريخ، استانبول ١٢٧٩،ج١، ٥١١.
٤٧-المرجع نفسه، ص .٢٧١
.48- BOA, MD, Vll, 1839
.49- BOA, MD, XXXIX, 453
.50- BOA, MD, ll, 896
٥١-أصل العريضة كما يلي:
" هذا هو ما يعرضه عليكم عبدُكم الحقير، وفدَ إلى المجلس الشرعي أهالي قرية جوبوق التابعة لقضاء زيل، وقد أبرزَ عبدُكم إبراهيم بن المرحوم محمد باشا المتولى على وقف والده الواقع في طوقاد رسالةً فيها أنّ عشرَ محصول القرية المذكورة موقوفٌ لأهل المدينة المنورة، وذلك مذكور في الوقفية المعمول بها التي في أيدينا، لذا فقد صدرَ الأمر الشريف المقرون بالسعادة بأن تعفى تلك المحاصيل من الضّرائب وسائر الرسوم الأخرى "(TSMA.E ٦٨٩٦ /٣٧).
٥٢- VGMA رقم ٧٤٧، ص ٣٠٤، توجد تسجيلات كثيرة جدًّا في الأرشيف عن المعفاة من الضّرائب، ولمعلومات أكثر يمكن الاطّلاع على تلك الوثائق: TSMA.E رقم ٥٢٢٣/ ٧٢٧٠٧٥/ ٩٥٢٩؛ الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج٤٢، / ٣٤.
.53- BOA, MD, LXIV, 285-286
54- Mustafa Akdağ, Türkiyenin iktisadi ve ictimai yapısı (1453- 1559), .Istanbul 1977, c.2, s. 59
٥٥- TSMA.E٦٨٨٦/١٨-١٩.
٥٦-للاطّلاع على الدفتر الذي يضمّ الإقطاعات الخاصة التي كانت تتمّ من أموال وقف الحرمين انظر: الأرشيف العثماني، كامل كبة جي، رقم ٣٣١١، ورقة ٣ أب.
٥٧- الوثيقة الصّادرة في ذلك محرّرة في ١٥/ جمادى الآخر/ ١١٠١هـ(TSMA.E ٩٢٩٠/ ١٢).
٥٨-كمال باشا زاده، تواريخ آل عثمان، ج١٠، (أعده للنشر: شفاء الدين سفرجان) أنقرة ١٩٩٦، ص ٥٩.
.59- Mekki, Hulafa i izam, s.4
60- Yakub Muğul, Portekizlilerle kızıldenizde ve Hicazda osmanlı hakimiyetinin yerleşmesi hakkında bir vasika, Belgeler, T. T. B. .dergisi, II-3-4, Ankara 1965, 37-50. Hulusi Yavuz , Yemen, s. 134
.61- Şinasi Altundağ, Selim 1, IA, Istanbul 1993, c.10, 429
62- Ömer Lütfi barakan, 15-16. asırlarda osmanlı imapratorluğunda zirai ekonomik, hukuki ve mali esaslar, kanunlar, Istanbul 1943, c.1, .296
.63- BOA, MD, VI, 19

٦٤- أبـو القاسـم سـعد الله، رحـلات الجزيـرة الحجازيـة، خـلال العهـد العثمـاني، دراسـة تاريخيـة للجزيرة العربية، الكتاب الأوّل، الرياض ١٩٨٩، ص ٣٣٥.

.65- BOA, MD, XXXI, 744

.66- BOA, MD,LXIV, 44

.67- BOA, MD, VII, 337

.68- BOA, MD, VII, 337

٦٩- TSMA.E ١١٥٧٥/ ٥.

٧٠- "أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العزة والإكرام المختصّ بمزيدِ عناية الملك العلّام، أمير أمراء ديار بكر، وأقضى قضاة الملك والولاة الموحدين معدن الفضل واليقين وارث العلوم والأنبياء والمرسلين حجّة الحقّ على الخلق المختصّ بمزيد عناية الملك المعين زيدَ فضلُه وقدوة أرباب الإقبال عمدة أصحاب الجلال جامع الحقوق والأموال أمير.... بأحسن الأعمال المختصّ بمزيد عناية الملك الباري دفتر دار الخزينة العامرة بديار بكر دام علوّه، عندما يصلك توقيعي الرّفيع الهمايوني لتعلم أنّ ناظر أوقاف الحرمين الشّريفين أغا دار سعادتي محمد أغا زيد عمره قدوة الخواص والمقربين عمدة أصحاب العز والتّمكين معتمد الملوك والسلاطين قام بإرسال دفتر الأوقاف لدار سعادتي، وأنه بينما كانت كلّ القرى الموقوفة للحرمين في الإيالة المذكورة حرّة من كافة الوجوه تدخل أمير الأمراء وأمراء السناجق والضبّاط وقبضوا محاصيل تلك الأوقاف، ولم يخلو عن التضرّع بعد ذلك، لذا صدر أمري الشّريف بعدم تدخل أيِ شخص في شئون أوقاف الحرمين وأن يكون رعايا تلك القرى معافين كما كانوا، وليس جائزًا قطعيًّا التدخلُ في هذا الأمر من الخارج، وقد قررت ما يلي، عندما يصل فرماني الشّريف هذا ليتمّ التنبيه والتأكيد على أمير الأمراء وأمراء السّناجق، وسائر الضباط بأن يتركوا رعايا الأوقاف المذكورة معافين وأحرارًا، ولا يتدخلوا في شئون محاصيلها، وأنه يجب عليهم إعادة كلّ ما أخذوه من تلك المحاصيل، وإذا ما صدر تجريم الرّعايا المذكورين فليحاكموا بالعدل وليعتمد هذا بخاتمي الشريف. تحريرًا في ٢٧/ جمادى الآخر/ ٩٩٨هـ/ ٣/ ٥/ ١٥٩٠م. (TSMA.E 6896-19).

.71- BOA, MD, LXIX, 472

الفهرس